



الإمام محمد بن عبد الوهاب

حياته، آثاره، دعوته السلفية

د. محمد بن عبد الله السكاكر

مكتبة الملك عبد العزيز العامة

الرياض ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

الإمام محمد بن عبد الوهاب

حياته - آثاره - دعوته السلفية

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م

تأليف

الدكتور محمد بن عبد الله السكاكر

١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م

ح مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السكاكر ، محمد بن عبدالله

الإمام محمد بن عبد الوهاب : حياته ، آثاره ، دعوته السلفية
(١١١٥ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م) / محمد بن عبدالله السكاكر . - الرياض

..... ص : ٢٤٨ سم

ردمك ٩٩٦٠ - ٦٢٤ - ٣١ - ٥

١ - عمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان ، ت ١٢٠٦ هـ ٢ - الدعوة السلفية السعودية

١ - العنوان ب - السلسلة .

١٨ / ٢٠١٧

ديوي ١١٧ ، ٩٢٢

رقم الإيداع : ١٨ / ٢٠١٧

ردمك : ٩٩٦٠ - ٦٢٤ - ٣١ - ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ

سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ

اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(سورة يوسف ١٠٨)

تصدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد .

لقد دأبت مكتبة الملك عبد العزيز العامة منذ افتتاحها عام ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م على إصدار الأعمال العلمية والبيبلوجرافية التي تدخل في نطاق برامجها التي تستهدف تحقيق أهدافها ورسالتها في نشر العلم والمعرفة العلمية والثقافية . ويتمحور المحتوى العلمي لهذه الخطط والبرامج حول الموضوعات ذات الصلة بتاريخ الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - ، والجزيرة العربية وتاريخ المسلمين وإنتاجهم الفكري والحضاري وكذلك كل ما يتعلق بالمملكة العربية السعودية ما بين دراسة وتأليف وتحقيق وترجمة إضافة إلى الأعمال البيبلوجرافية التي تخدم مرتادي المكتبة من الباحثين والدارسين .

واليوم تقدم المكتبة عملاً آخر من الأعمال العلمية المتميزة ضمن أعمالها المحكّمة وهو كتاب « الإمام محمد بن عبد الوهاب : حياته - آثاره - دعوته السلفية : ١١١٥ - ١٢٠٦ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م » تأليف الدكتور محمد بن عبد الله السكاكر ، وتنبع أهمية هذا الكتاب من كونه يتناول حياة إمام الدعوة السلفية ذلك المصلح الكبير والمجدد العظيم الذي أعاد لعقيدة التوحيد صفاءها وأزال ما علق بها من غبار البدع والخرافات والشرك وناصره على ذلك الإمام محمد بن سعود الذي أقام دولته وأسس كيانه على هذا الأساس العقدي السليم ، واستمرت هذه الدولة

المباركة ملتزمة بهذا المنهج الصحيح القائم على منهج السلف الصالح إلى يومنا
الحاضر.

ويتميز هذا الكتاب بأسلوبه الرصين ومنهجه الواضح وتوثيقه للنصوص لذلك
جاء عملاً علمياً متكاملًا، ونأمل أن يحقق هذا الإصدار الهدف الذي أعد من أجله
والله من وراء القصد، ،

مكتبة الملك عبد العزيز العامة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن المتتبع لأحداث التاريخ ، وما يذكره المؤرخون ، وأصحاب السير عبر القرون يلحظ اتفاق الأديان السماوية على توحيد الله - عز وجل - وإفراده بالعبادة .

هذا هو الأصل الذي اتفقت عليه الأديان السماوية قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الآية (١) .

كما ثبت في صحيح السنة في الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ﴾ (٢) .

فالتوحيد والصلاح هما الأصل الذي كانت عليه البشرية في أول وجودها ، والإلحاد ، والشرك ، والوثنية ، والفساد في الأرض من الأمور الطارئة بما كسبت أيدي الناس .

ولم تنزل آيات الله تنزل على رسله ، يعقب بعضها بعضاً ، كلما انتشر الفساد ، والإلحاد في الأرض وعمّ الجهل والضلال بعث الله فيهم رسله يدعون الناس إلى التوحيد ويحذرون من الشرك .

(١) سورة النحل : ٣٦

(٢) رواه مسلم : ج ٤ : ٢١٩٧

فمن رسالة نوح عليه السلام إلى بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - تقوم دعوة كل رسول على أساس الإيمان بالله وحده لا شريك له .

وكل رسول يبعث في قومه خاصة إلا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد بعثه الله إلى الناس كافة . قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١) .

وختم الله برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - جميع الرسالات السماوية إلى يوم الدين قال تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (٢) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون ﴾ (٣)

فكانت بعثته رحمة للناس قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .
وقال صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنما أنا رحمة مهداة ﴾ (٥) .

والعلماء ورثة الأنبياء يدعون الناس إلى دين الله ويبينونه للناس في كل عصر ومصر .

وكلما حدثت فتنه أو تغشَّت في الناس ضلالة انبرى لها علماء أجلاء يذبون عن دين الله - عز وجل - ويوضحون للناس الطريق المستقيم .

وفي العصور المتقدمة من دولة الإسلام انفتح على المسلمين أبواب واسعة تسربت منها الآراء المنحرفة ، والمذاهب الفاسدة المتلبسة بالزيغ والإلحاد والزندقة

(١) سورة سبأ : ٢٨

(٢) سورة الأحزاب : ٤٠

(٣) رواه أحمد : ج ٢ : ٤١٢ ، والترمذي ج ١ : ٢٩٣ .

(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ج ١ : ٣٥ .

والتصوف فوقف في وجه هذه التيارات الضالة نخبة من العلماء؛ أمثال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام، ابن تيمية، وشمس الدين بن قيم الجوزية، وغيرهم من علماء المسلمين ردوا شبه المبطلين وكيد المكارين، رحمهم الله.

وإمام الدعوة السلفية في نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - واحد من أولئك العلماء الأعلام الذين حباهم الله هذه المهمة الجليلة فقد قام بدعوته المباركة في وقت اشتدت فيه حاجة الناس إلى من يعيدهم إلى دين الله الصحيح، وإخلاص العبادة له.

وهذا ما ستحدث عنه في هذا الكتاب - إن شاء الله - في تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

أما التمهيد : فنذكر فيه الأحوال الدينية والسياسية في بلاد نجد قبل الدعوة السلفية وقيام الدولة السعودية .

الباب الأول : نتناول فيه حياة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .

الباب الثاني : نتناول فيه تاريخ دعوته السلفية وانتشارها .

الباب الثالث : نذكر فيه ما أثير حول الدعوة من شبه وافتراءات والرد على أشهر المعارضين للشيخ ودعوته .

الباب الرابع : نتناول فيه ثناء العلماء والمفكرين على الدعوة السلفية وآثارها الحميدة في بلاد العالم الإسلامي .

أما الخاتمة : فنذكر فيها أهم الفوائد التي حصلت لهذه الديار الشاسعة المترامية الأطراف بسبب هذه الدعوة المباركة، والمقارنة بين عهد الشقاق، والفوضى، والسلب، والنهب، والقتل، وخراب الديار، وبروز مظاهر الشرك والوثنية . وعهد

الوحدة والأمن والاستقرار والازدهار، وزوال آثار الشرك والبدع وصفاء العقيدة كل ذلك ممثلاً بقيام دولة التوحيد (الدولة السعودية الأولى) على يد الإمامين الجليلين محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله .

والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه، ومن الله نستمد العون والتسديد.

تمهيد :

الأحوال الدينية والسياسية في نجد قبل الدعوة السلفية وقيام الدولة السعودية

بلاد نجد منذ أقدم العصور مسكونة إلا أن هناك غموضاً في تاريخ هؤلاء السكان ، وأحوالهم ، بسبب قلة المراجع التاريخية لأخبار هذه البلاد .

وبعد البعثة المحمدية اشتهر أمرها ، وانتشرت قبائل العرب في صحاريها وقفارها ، وأوديتها ، وقامت فيها أسواق تجارية وأدبية ، وتوسعت فيها الحركة العلمية ، واشتهر رجال برواية الأحاديث النبوية .

ولما انتقلت العاصمة الإسلامية من المدينة المنورة إلى خارج الجزيرة العربية بعد انقضاء عصر النبوة والخلافة الراشدة ، وتعددت العواصم في الشام والعراق والأندلس ومصر ضعف الاهتمام بالجزيرة العربية العامة ، وفي بلاد نجد بخاصة من قبل الدولة الإسلامية فانتشر الجهل في هذه الديار ، وعمت الفوضى ، وظهرت العادات الضارة والخرافات والبدع ، وقلَّ التمسك بالدين ، وهذا ما ستحدث عنه من الناحيتين الدينية والسياسية .

الحالة الدينية:

قلنا فيما سبق إن هناك قلة في المراجع التاريخية لهذه الديار وأكثر من كتب عنها يستند - غالباً - على ما ذكره مؤرخا نجد ، وهما الشيخ حسين بن

غنام^(١) والشيخ عثمان بشر^(٢) وبعض الرحالة الغربيين الذين جاءوا إلى نجد أو ما حولها مثل الخليج العربي وشمال الجزيرة العربية أو من نقل عنهم من الكتاب والأدباء .

أما ابن غنام فيقول :

(كان أكثر الناس في مطلع القرن الثاني عشر الهجري قد ارتكسوا في الشرك وارتدوا إلى الجاهلية ، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى لغلبة الجهل عليهم ، واستعلاء ذوي الأهواء والضلال فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلالة . . وأحدثوا من الكفر والفجور والشرك بعبادة أهل القبور ، وصرف النذور إليهم والابتغال بالدعاء لهم . .)^(٣) .

أما ابن بشر فيصور الحياة الدينية في بلاد نجد بمثل ما ذكر ابن غنام لكنه يذكر السبب الذي أحدث في الناس هذه الأفعال السيئة .

يقول ابن بشر:

(إن الأعراب^(٤) إذ انزلوا في البلدان وقت الثمار يكون معهم رجال ونساء يتطبلون^(٥) ويدأون المرضى . . فيأتيهم المرضى يسألونهم عن دواء لعلتهم ، فيقولون لهم : اذبحوا في الموضوع الفلاني كذا وكذا إما خروفاً بهيماً^(٦) وإما تيساً

(١) هو الشيخ حسين بن غنام الأحسائي ، ولد في الأحساء ونشأ فيها وتلمذ على علمائها ، ثم انتقل إلى الدرعية حيث درس على علمائها أيضاً وهو مؤرخ مشهور ، وعالم جليل له عدة مصنفات منها : العقد الثمين في علم التوحيد وأصول الدين (مطبوع) ومنها تاريخه المشهور (روضة الأفكار والأفهام) المعروف بـ (تاريخ نجد) (مطبوع) توفي في الدرعية سنة ١٢٢٥ هـ رحمه الله .

(٢) هو الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر ولد في بلدة جلاجل من أعمال سدير سنة ١٢١٠ هـ مؤرخ مشهور له عدة مصنفات من أشهرها تاريخه المشهور (عنوان المجد في تاريخ نجد) طبع أكثر من مرة ، وتوفي في بلدته جلاجل سنة ١٢٩٠ هـ رحمه الله .

(٣) تاريخ نجد لابن غنام ، ص ١٠ تحقيق ناصر الدين الأسد ، طبعة المدني .

(٤) الأعراب : هم بادية العرب .

(٥) يتطبلون : يدعون معرفة الطب ، ومداوة المرضى بأعمال شركية مما يستخدمه السحرة والكهان وعباد الجن والشياطين .

(٦) بهيماً : أي أسود اللون .

أصم^(١) ولا تسموا الله على ذبحه ، وأعطوا المريض منه كذا وكذا ، وكلوا منه كذا وكذا ، واتركوا منه كذا وكذا ؛ فربما شفى الله مريضهم فتنه لهم واستدراجاً ، وربما يوافق وقت الشفاء حتى كثر ذلك في الناس وطال عليهم الأمد ، فوقعوا في عظام وليس للناس من ينهاهم . . .^(٢) .

وينقل الدكتور منير العجلاني قولاً للرحالة الإنجليزي (وليم بلجريف)^(٣) .

يقول :

(أصبح الدين - أي في بلاد نجد - ذكرى بعيدة غامضة محتها الأيام وظهرت عبادة الجن في ظل شجرة أو في أعماق كهف ، وقَّدس الناس الموتى ، ونذروا للقبور ، وأحيوا عادات قديمة وثنية سيئة . . .)^(٤)

ويبالغ هذا الإنجليزي فيقول : إن سكان نجد قبل الدعوة السلفية أهملوا القرآن ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج ، وما عادوا يعرفون في أي جهة تقع القبلة^(٥) .

وهذا الكلام فيه نظر ، فإن بلاد نجد في تلك الحقبة من الزمن لم تخل في وقت من الأوقات من وجود علماء ، وفقهاء ، وقضاة في بعض المدن يعلمون الناس ويفتونهم ، ويفصلون في خصوماتهم في حكم الله وسنة رسوله لكن كان جلّ اهتمام أولئك العلماء في دراسة علم الفقه الحنبلي ودقائق مسائله .

أما علم العقائد وأصول الدين فاشتغالهم بها قليل لا يكاد يذكر ، ومما يؤيد ذلك ويؤكدّه وجود عدد من الكتب التي تترجم عن علماء نجد قبل الدعوة السلفية .

(١) أصم : أي ليس له أذنان .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر ج ١ : ١٦ ، ١٧ طبعة وزارة المعارف السعودية .

(٣) هو وليم جيفورد بلجريف مستشرق إنجليزي نصراني الديانة يعمل لصالح فرنسا جاء إلى الجزيرة العربية سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٢م وهو متنكر في صورة طبيب سوري خوفاً من انكشاف أمره .

(٤) تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني ج ١ : ٣٧ طبعة دار الكتاب العربي .

(٥) المرجع نفسه .

مثل كتاب (السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة) ^(١) للشيخ محمد بن عبدالله ابن حميد ^(٢) وكتاب (علماء نجد خلال ستة قرون) ^(٣) للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام ^(٤).

وللدكتور عبدالله بن يوسف الشبل ^(٥) نبذة ^(٦) عن التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تحدث فيها عن حركة التعليم في تلك الفترة أساليبه، وطرقه، وأسماء بعض العلماء في ذلك الوقت.

وعلق الأستاذ حمد الجاسر ^(٧) على كلام (بلجريف) بقوله:

هذا الوصف غير صحيح، وذلك أن نجداً منذ أن انتشر فيها الإسلام بعد وقعة اليمامة ^(٨) بقيت محافظة على التمسك بالدين، والتقيد بتعاليمه حتى انتشر الجهل في القرون الأخيرة، وامتزجت بالدين عادات سيئة ليست منه من الخرافات وتقديس القبور... وأن الخلاف بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومخالفيه إنما كان على أساس التوحيد أما بقية أعمال الإسلام فلم يعارض فيها أحد... إلخ ^(٩).

(١) مطبوع في مجلد سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

(٢) ولد في عنيزة من أعمال القصيم سنة ١٢٢٣ هـ ونشأ بها وتعلم على علمائها، وارتحل إلى الحجاز، وتولى إمامه المقام الحنبلي في المسجد الحرام إلى أن توفي بالطائف سنة ١٢٩٥ هـ من مؤلفاته كتاب (السحب الوايلة على ضرائح الحنابلة) وهو عبارة عن تراجم لعلماء الحنابلة منذ توقف ابن رجب في كتابة (الذيل على طبقات الحنابلة) ومما يؤخذ على ابن حميد أنه يثني على المعارضين للدعوة السلفية، ويتجاهل المؤيدين لها، ويتناولهم بالتجهيل والتضليل عند كل مناسبة -عامله الله بعدله.

(٣) مطبوع في ثلاثة مجلدات سنة ١٣٩٨ هـ في مكة.

(٤) كبير القضاة في مكة وعالم جليل له اهتمامات في دراسة الحديث وشرحه من مؤلفاته (تيسير العلام شرح عمدة الأحكام) في الحديث، وكتاب (علماء نجد خلال ستة قرون) عبارة عن تراجم لعلماء نجد قبل الدعوة السلفية وبعدها، أثابه الله.

(٥) أستاذ جامعي متخصص في التاريخ الحديث، تولى تدريس التاريخ في كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويعمل حالياً مديراً للجامعة.

(٦) بحث أعد بمناسبة انعقاد مؤتمر (الحضارة الآسيوية والأوروبية في جامعة (هاواي) بأمريكا أول عام ١٩٨٣ م.

(٧) أديب سعودي رائد، وصاحب دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، وصاحب مجلة العرب، له اهتمامات كبيرة في دراسة تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها، نفع الله بعلمه.

(٨) وقعة اليمامة سنة ١٢ من الهجرة بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، قتل فيها مسيلمة الكذاب، فعاد أهل اليمامة إلى حظيرة الإسلام بعد الردة.

(٩) تاريخ البلاد العربية السعودية، ج ١ : ٤٥١.

أما الأديب اللبناني أمين الريحاني^(١) فيقول:

كان العرب في نجد بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة العربية منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف^(٢) ومن الأهواز^(٣) أو بالأحرى من بلاد فارس فكان ولا يزال القرامطة^(٤) أثر في الإحساء، وكان للقبور شفاعاة لا شفاعاة فوقها فأحلها الناس المحل الأعلى في العبادة والتوسل أبعدت العرب بادية وحاضرة عن حقيقة الدين الكبرى^(٥).

ويقول أحد علماء اليمن^(٦) شعراً في وصف ما كان عليه أهل نجد قبل الدعوة السلفية بقوله:

أعادوا بها معنى سواع ومثله يعوق وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل وملتمس الأركان منهن بالأيدي

والواقع أن هذه العادات الضالة إنما انتشرت في هذه الديار في القرون المتأخرة حين عمّ الجهل، وقلت المعرفة بأمور الدين، وامتزج بالدين ما ليس منه من العادات السيئة، والخرافات وتقديس القبور والأشجار والأحجار، وقلّ التمسك بأهداب الدين والتقيد بتعاليمه، وأحكامه إلا عند القليل من الناس.

وكما قدمنا يوجد من العلماء من عاشوا في تلك الفترة في نجد وما جاورها كالحجاز والأحساء واليمن اشتهروا في العلم والخلق والاستقامة، لكن التاريخ لم

(١) مؤرخ وأديب لبناني زار نجداً والحجاز وتوفي سنة ١٩٤٠م له اهتمامات في تاريخ العرب وملوكهم، من مصنفاته كتاب (نجد وملحقاتها) في مجلد.

(٢) مدينة في العراق.

(٣) مدينة في إيران.

(٤) فرقة ضالة تنسب إلى مؤسسها (حمدان قرط بن الأشعث).

(٥) كتاب نجد وملحقاتها، لأمين الريحاني ص ٣٥ طبعة دار الريحاني - بيروت.

(٦) هو الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني من كبار علماء اليمن، سلفي المنهج، له مؤلف مشهور في الحديث (سبل السلام)، توفي سنة ١١٨٣هـ.

يذكر شيئاً عن نشاطهم في الدعوة إلى إصلاح العقيدة، وتخليصها من شوائب الشرك والوثنية مثلما حصل من الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ومن جاء بعده من أئمة الدعوة السلفية.

وقد انحصر نشاط علماء نجد في ذلك الوقت في دراسة الفقه ومسائله وفروعه، وقلَّ المشتغل بمعرفة أصول الدين وتحقيق التوحيد، كما وجد من يشتغل بترهات الصوفية، وتخيلاتهم يقرأونها في الموالد مثل منظومة البردة^(١) للبوصيري^(٢) وكتاب دلائل الخيرات^(٣) وكتاب فصوص الحكم^(٤) وروض الرياحين في حكايات الصالحين^(٥).

وقد يبلغ الحماس في بعضهم إلى الانتساب إلى طرق الصوفية فيسمي نفسه بقوله: فلان بن فلان النقشبندي^(٦) أو ولي الله فلان بن فلان^(٧).

الحالة السياسية:

ذكرنا فيما سبق قلة اهتمام الدولة الإسلامية في بلاد نجد وهذا الاهتمام يتضح من فراغها من القيادة الإسلامية في أوقات مختلفة.

فعمت الفوضى، وتقطعت الطرق، وفقد الأمن والاستقرار وكان الحكم في البلاد الإسلامية في القرون المتأخرة للدولة العثمانية ولم تشهد بلاد نجد وجود

(١) منظومة مملوءة في الغلو في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل قوله مخاطباً الرسول: فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم فماذا ترك لله!؟

(٢) هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، توفي سنة ٦٩٥ هـ.

(٣) (دلائل الخيرات) كتاب ألفه محمد بن سليمان بن عبد الرحمن الجزولي في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو مملوء بالغلو.

(٤) (فصوص الحكيم) كتاب ألفه محمد بن علي الأندلسي المعروف بـ (ابن عربي) من القائلين بوحدة الوجود، وقد تضمن هذا الكتاب الكفر والإلحاد.

(٥) تأليف عبد الله اليافعي اليمني المتوفي سنة ٧٦٨ هـ، يحتوي هذا الكتاب على خمسمائة قصة عن الأولياء.

(٦) النقشبندية طريقة صوفية معروفة.

(٧) انظر: كتاب (علماء نجد خلال ستة قرون) للشيخ عبد الله البسام ج ١ : ١٩.

ولاية عثمانين مثلما هو موجود في البلاد المجاورة لها في الحجاز والأحساء، ولعل السبب في ذلك قلة موارد نجد المادية وبعدها عن مركز الخلافة.

أما أشرف مكة فكان لهم غارات حربية متقطعة على بلاد نجد.

يقول المؤرخ عثمان بن بشر:

(في هذه السنة - ٩٨٦ هـ سار الشريف حسن بن أبي نمي^(١) صاحب مكة إلى نجد وحاصر معكال^(٢) المعروف في الرياض، ومعه من الجنود نحو خمسين ألفاً، وطال مقامه فيها، وقتل فيها رجالاً ونهب أموالاً، وأسر منهم أناساً من رؤسائهم^(٣)) انتهى.

ونتيجة هذا الفراغ السياسي تعددت الإمارات في بلاد نجد في تلك الفترة كل إمارة تستقل في وقت وتخضع للأخرى في وقت آخر، فلم يكن هناك روابط سياسية تجمعها، بل كانت العلاقات بين الجميع يعترئها الفتور والجفاء والمحاربة.

فكل إمارة مستقلة بحاميتها، وإدارتها القوى منها يعتدى على الضعيف. في الدرعية^(٤) حاكم مستقل فيها يتبعه بعض القرى المجاورة له. وفي العيينة^(٥) حاكم مستقل فيها يتبعه بعض القرى المجاورة له. وفي الرياض^(٦) حاكم مستقل فيها يتبعه بعض القرى المجاورة له.

(١) هو الشريف حسن بن أبي نمي محمد بن بركات، تولى إمارة مكة بعد وفاة أبيه ولد سنة ٩٣٢ هـ وتوفي سنة ١٠١٠ هـ.

(٢) معكال : قرية كانت قرب مدينة الرياض وهي الآن جزء منها.

(٣) عنوان المجد ج ، ١ : ٢٨ الطبعة الثالثة .

(٤) الدرعية : بلدة تقع في الشمال الغربي عن مدينة الرياض على ضفة وادي حنيفة الغربية ، وعظم شأنها عند قيام الدولة السعودية الأولى وهي الآن جزء من مدينة الرياض عامرة بالسكان والبساتين .

(٥) العيينة : تصغير عين ، بلدة قديمة تقع في الشمال الغربي عن مدينة الرياض ازدهرت في عهد أمرائها آل معمر قبل قيام الدولة السعودية وهي الآن عامرة بالسكان والبساتين .

(٦) الرياض : مدينة غنية عن التعريف ، قامت على أنقاض (حجر اليمامة) المعروف عند المتقدمين ، وهي الآن عاصمة المملكة العربية السعودية .

وهكذا الحال في كثير من مدن بلاد نجد في أشقير^(١) وحريملاء^(٢) والتويم^(٣) وغيرها .

يقول المؤرخ عثمان بن بشر:

(في سنة - ١١٢٠ هـ - تولى في التويم محمد بن فوزان فتمالا عليه أربعة رجال من رؤساء البلد وقتلوه ، ولم يستقم لأحدهم ولاية فقسموا البلد أرباعاً كل واحد شاخ في ربعها . فسموا (المربوعة) وصار فيها أربعة رجال كل منهم يدعي الولاية على ما هو فيه^(٤) .

ويقول المؤرخ إبراهيم بن عيسى^(٥) .

(في هذه السنة - ١١٣٨ هـ - قتل إبراهيم بن عثمان رئيس بلد القصب^(٦) قتله أبوه عثمان بن إبراهيم على طلب الرياسة . .)^(٧) .

من هذا يتضح أن الحكم في بلاد نجد في تلك الفترة من الزمن كان للقوة من سيطر على بلد أصبح هو أميرها ، وصاحب السيادة فيها .

هكذا كانت الحياة السياسية في نجد قبل الدعوة السلفية ، وقيام الدولة السعودية الأولى .

أما بعد ذلك فقد توحدت البلاد واستتب الأمن ، وأمنت الطرق وازدهرت البلاد في الزراعة والتجارة والصناعة ، وعمّ الرخاء ربوع نجد وغيرها وانتشر التعليم

(١) أشقير : بلدة في الوشم قديمة .

(٢) حريملاء : تصغير حرملة بلدة تقع شمال الرياض تبعد عنها حوالي (١٠٠) كيلاً ، أهلة بالسكان والبساتين .

(٣) التويم : بلدة قديمة في إقليم سدير .

(٤) عنوان المجدد ج ، ١ : ٢٧ طبعة وزارة المعارف .

(٥) هو الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى من بني زيد ولد في بلدة أشقير سنة ١٢٧٠ هـ ، مؤرخ مشهور وعالم بالأنساب من مؤلفاته في التاريخ (عقد الدرر) و(تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد) ، توفي في عتيرة سنة ١٣٤٣ هـ .

(٦) القصب : بلدة في الوشم .

(٧) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ص ٩٨ ، طبعة دار اليمامة بالرياض .

وتعددت أنواعه وطرقه ، وزالت معالم الشرك والبدع والخرافات ، وصار الحكم
لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وسيأتي الحديث عن هذا بشيء من
التفصيل في ثنايا مباحث هذا الكتاب إن شاء الله .

الباب الأول

حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ويشتمل على أربعة فصول

الفصل الأول : في نسبه، ومولده، ونشأته.

الفصل الثاني : في رحلاته وشيوخه.

الفصل الثالث : في مؤلفاته.

الفصل الرابع : في عقيدته ونهاية حياته ووفاته وما قيل

في رثائه.

الفصل الأول :

في نسبه ، ومولده ، ونشأته

نسبه :

هو الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الوهاب^(١) بن سليمان^(٢) بن علي بن محمد أحمد بن راشد بن بريد بن مُشَرَّف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبه بن سُنيح بن نهشل ابن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي مسعود بن مالك بن حنظلة^(٣).

ومن حنظلة المذكور ينحدر بطن كبير من بطون قبيلة بني تميم الأربعة المشهورة.

قال الشاعر جرير بن عطية الخطفي التميمي^(٤):

يعد الناسبون إلى تميم بطون المجد أربعة كبارا
يعدون الرباب وآل سعد وعمرأثم حنظلة الخيارا^(٥)

وأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعرف قديماً في نجد بـ (آل مُشَرَّف) من الوهبة من تميم . سموا بذلك نسبة إلى جدهم (مُشَرَّف) المذكور في سلسلة نسبهم

(١) هو الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن علي آل مشرف ، ولد في العيينة في آخر القرن الحادي عشر الهجري ، أحد علماء نجد تولى قضاء العيينة ، وحرملاء وتوفي في حرملاء سنة ١١٥٣ هـ .

(٢) هو الشيخ سليمان بن علي آل مشرف ولد في أشيقر في الوشم وتعلم على علمائها ثم انتقل إلى العيينة وتولى القضاء فيها في عهد آل معمر ، من أكبر علماء نجد توفي في العيينة سنة ١٠٧٩ هـ .

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد ج : ٨٢ طبعة وزارة المعارف

(٤) هو جرير بن عطية بن حذيفة التميمي من أهل اليمامة ولد ومات بها ، أشعر أهل زمانه ، له مساجلات مشهورة مع الشاعر الفرزدق .

(٥) معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ، ج ١ : ١٢٥ طبعة دمشق .

آنفاً. هذا هو المشتهر في نسب الشيخ محمد من قبل أبيه لدى مؤرخي نجد، وعلماء الأنساب، وأئمة الدعوة السلفية.

وهناك أقوال مخالفة لما ذكرنا صرفنا النظر عنها لعدم ثبوتها. أما نسب أمه فهي إحدى بنات الشيخ محمد بن عراز أحد علماء أشقير. وآل عراز عشيرة من آل مشرف أحد فخذي الوهبة من قبيلة بني تميم المذكورة. ذكر ذلك الشيخ عبدالله البسام في كتابه (علماء نجد خلال ستة قرون)^(١). وبهذا يكون نسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب من آل مشرف من قبل أمه وأبيه.

تاريخ ومكان ولادته :

ولد الشيخ محمد في بلدة العيينة سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة (١١١٥هـ / ١٧٠٣م).

هذا هو الصحيح في تاريخ ومكان ولادته^(٢) ولا عبرة بقول من خالف ذلك.

نشأته :

نشأ الشيخ في بلدة العيينة مسقط رأسه، وتربى في بيت علم وفضل بين والده الشيخ عبد الوهاب^(٣) وعمه الشيخ إبراهيم^(٤) بن سليمان، وأخوه الشيخ سليمان ابن عبد الوهاب^(٥) وابن عمه الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم^(٦) وجده من قبل أمه

(١) كتاب علماء نجد، ج ١ : ٣٢٩ الطبعة الأولى.

(٢) تاريخ نجد لابن غنام، ج ١ : ٧٥، تحقيق ناصر الدين الأسد؛ وعنوان المجد لابن بشرج ١ : ٣٧٠ ط ٣.

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) هو الشيخ إبراهيم بن سليمان بن علي آل مشرف ولد في أشقير، وتوفي في العيينة سنة ١١٤١هـ.

(٥) ولد في بلدة العيينة، وتعلم على يد والده، وعلى غيره من علماء نجد في ذلك الوقت وتولى قضاء حريملاء، بعد وفاة والده، وكان الشيخ سليمان معارضاً لأخيه الشيخ محمد ودعوته، وفي آخر حياته ندم على ذلك ورجع عن معارضته، وحسنت حاله على ما سنذكره في مبحث الرد على المعارضين للدعوة في هذا الكتاب وتوفي الشيخ سليمان في الدرعية سنة ١٢٠٨هـ، عفا الله عنه.

(٦) هو الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم، فقيه وكاتب توفي في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ.

الشيخ محمد بن عراز ، وخاله الشيخ سيف بن محمد بن عراز^(١) .

هؤلاء من أعيان علماء نجد في ذلك الوقت مشهود لهم بالعلم والمعرفة .

لهذا نشأ الشيخ محمد في بيئة علمية ، وأسرة صالحة أشتهر أفرادها بالعلم والصلاح والتقوى فجاء الإمام ثمرة طيبة من تلك الأغصان المباركة .

لم يكن الشيخ محمد في طفولته على ما كان عليه أقرانه الصبيان من اللعب ، والعبث وقضاء الأوقات دون فائدة .

فقد اشتغل في أول حياته بدراسة وحفظ القرآن الكريم على والده الشيخ عبد الوهاب حتى حفظه وعمره لم يتجاوز السنة العاشرة وكان - رحمه الله - حاد الفهم ، سريع الحفظ والاستيعاب .

بعد حفظه للقرآن ، وتعلم القراءة والكتابة اتجه إلى دراسة العلوم الشرعية ، والعربية ، فدرس التفسير والحديث والفقه ، وما يتعلق بالعقيدة ودرس النحو ؛ درس هذه العلوم على والده وعلى غيره من العلماء حوله .

وفي السنة الثانية عشرة من عمره بدت عليه علامات البلوغ والرشد ؛ فقدّمه والده لإمامة الناس في صلاة الجماعة في المسجد ، يقول والده الشيخ عبد الوهاب : رأيت أهلاً للصلاة بالجماعة ، وزوجته في ذلك العام يعنى في السنة الثانية عشرة من عمره .

وفي السنة الثالثة عشرة توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج سنة ١١٢٨ هـ / ١٧١٦ م .

وبعد فراغه من المناسك وأعمال الحج توجه من مكة إلى المدينة قاصداً زيارة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك عاد من المدينة الى بلده العيينة .

(١) هو الشيخ سيف بن محمد بن عراز من علماء بلدة أشقير ، تولى الإفتاء والتدريس فيها وتوفي سنة ١١٢٩ هـ .

وقد شاهد في هذه الرحلة بعض ما كان عليه أكثر الناس في تلك الديار في ذلك الوقت من تعظيم الأولياء ، والتوسل بأصحاب القبور وما يفعل عند بعض الأشجار والأحجار ، فأثر ذلك في نفسه ، وأنه لا بد من تخليص الناس من هذه الشبه التي ما أنزل الله بها من سلطان ولم يفعلها سلف هذه الأمة .

هذا بالإضافة إلى ما كان يرى عليه بعض الجهال في نجد من فعل البدع والخرافات وقصد السحرة والكهان في طلب الشفاء من الأمراض أو دفع العين أو طلب الولد أو تحبيب الزوج لزوجته .

أدرك - رحمه الله - أن الحاجة ملحة إلى معرفة أصول العقيدة وما يخالفها ، ودعوة الناس إلى تحقيق توحيد الله في العباد ، ونبذ كل ما يخالف ذلك .

فأعاد الشيخ القراءة ، والدّرس على والده وعلى غيره من العلماء حوله ، وأكثر من المطالعة في كتب كبار العلماء من أهل السنة والجماعة أمثال الإمام أحمد بن حنبل^(١) وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) وتلميذه العلامة شمس الدين ابن القيم^(٣) وغيرهم من العلماء والعارفين بمذهب السلف الصالح من هذه الأمة .

فأثر ذلك فيه ، وشرح الله صدره لمعرفة أنواع التوحيد ، وما يضادها ، كان منزل والده الشيخ عبد الوهاب في بلدة العيينة مقصداً لطلاب العلم في كثير من الأوقات ؛ لمكانة الشيخ عبد الوهاب العلمية ، وتوليّه القضاء والإفتاء والتدريس ، وإمامة الناس في الصلاة .

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ ، إمام الحديث والفقه والعقائد واللغة ، وإليه ينسب المذهب الحنبلي المشهور ، وله عدة مصنفات أشهرها (المسند) في الحديث ، وكتاب الإيمان ، وغيرهما امتحن في فتنة القول بخلق القرآن فصبر ، وتوفي سنة ٢٤١ هـ ، رحمه الله .

(٢) هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم المعروف بـ (ابن تيمية) ولد في العراق سنة ٦٦١ هـ ، ودرس اللغة والفقه والأصول والحديث والتفسير حتى أصبح حجة في العلم له مجموعة من المؤلفات منها (منهاج السنة) و(الجواب الصحيح) وغيرهما ، وقد جمعت فتاواه في (٣٥) مجلداً ، توفي في دمشق سنة ٧٢٨ هـ - رحمه الله .

(٣) هو شمس الدين بن محمد بن أبي بكر المعروف بـ (ابن القيم) ولد سنة ٦٩١ هـ ، وتتلّمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية في مختلف العلوم ، له مجموعة من المؤلفات أشهرها (زاد المعاد) و(مدارج السالكين) وتوفي في دمشق سنة ٧٥١ هـ ، رحمه الله .

كان هذا المنزل عبارة عن مدرسة عالية يأتي إليها طلاب العلم يأخذون ويعطون ، فتطرح المسائل العلمية ، والقضايا والآراء فيتناولها الحاضرون بالبحث والمناقشة .

وكان الشيخ محمد يشارك الحاضرين في المناقشة وإبداء الرأي معتمداً في ذلك على الأدلة الصحيحة - وهذا ما سنعرفه في فصل مصنفاته ورسائله وفتاواه - إن شاء الله .

وكثيراً ما يرجع الحاضرون لرأيه . يقول والده الشيخ عبد الوهاب :
لقد استفدت من ولدي محمد فوائد شتى في الأحكام .

وهكذا بقى الشيخ محمد في بلده العيينة يواصل القراءة والاطلاع ويناقش العلماء حتى تمكن من استيعاب مألديهم ، ولكن نفسه تتوق لطلب المزيد من العلم والمعرفة كما قيل : (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال) .

فطلب المزيد من العلم ؛ ولو كان خارج وطنه نجد ، وهذا ما سنعرفه إن شاء الله - في الفصل التالي : رحلات الشيخ في طلب العلم .

الفصل الثاني

في رحلات الشيخ محمد وشيوخه

أولاً : رحلاته :

اختلفت رواية المؤرخين ، والكتاب في رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .

فالبعض يقصر رحلته على الحجاز والبصرة فقط ، ولمرة واحدة ومنهم من يقول بأن ذلك تكرر أكثر من مرة .

وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك فيبالغ في تعداد الديار وينفرد بذكر أنواع من العلوم يقال : إن الشيخ اكتسبها في هذه الرحلات الطويلة ، والتي استغرقت أكثر من عشرين سنة .

أما أهل القول الأول وهم الذين عاصروا الشيخ أو بعده بقليل فإن قولهم أخرى بالقبول ؛ لأن ما ذكره هو المشهور عن رحلات الشيخ وهو المعروف لدى أئمة الدعوة وعارفي الشيخ .

يقول مؤرخ نجد الشيخ حسين بن غنام وهو من معاصري الشيخ محمد : إن الشيخ محمداً بدأ بحج بيت الله الحرام ثم أقام في المدينة حيناً أخذ فيه العلم عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي ، وعن الشيخ محمد حياة السندي ، ثم خرج من المدينة إلى نجد ، وقصد البصرة في طريقه إلى الشام^(١) .

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام، ج ١ : ٧٦، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، الطبعة الأولى .

ثم يزيد ابن غنام فيحدد أنواع العلوم التي تلقاها الشيخ محمد في البصرة فيقول:

سمع الحديث، والفقه وقرأ بها النحو وأتقنه، وكتب الكثير من اللغة والحديث^(١) لكنه لم يوضح أسماء المشايخ الذين أخذ عنهم الشيخ في البصرة بل يقول: أخذ هذه العلوم عن جماعة كثيرين، ويضيف بأن الشيخ أعلن الدعوة إلى الله في البصرة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله، يكفر من صرف منها شيئاً لسواه، وأن محبة الأولياء، والصالحين إنما تكون باتباع هديهم، وأثارهم، وليست باتخاذهم آلهة من دون الله. فأذاه بعض أهل البصرة بسبب ذلك أشد الأذى وأخرجوه منها وقت الهجيرة، فاتجه إلى الشام؛ لكن نفقته التي كانت معه ضاعت في الطريق، فانشئ عائداً إلى نجد، ومر في طريقه إليها بالأحساء ثم اتجه منها إلى بلدة حريملاء. هذه رواية ابن غنام وهو من معاصري الشيخ محمد، ومن العارفين بحاله.

ويقول المؤرخ عثمان بن عبد الله بن بشر مؤكداً ما ذكره ابن غنام: إن الشيخ محمداً تجهز من بلده العيينة إلى حج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه سار إلى المدينة واتصل بالشيخين عبد الله بن إبراهيم بن سيف، ومحمد حياة السندي، فأقام في المدينة ما شاء الله ثم خرج منها إلى نجد وتجهز إلى البصرة يريد الشام فلما وصلها أي البصرة جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة^(٢) اسمه الشيخ محمد المجموعي^(٣).

لكن ابن بشر رحمه الله لم يبين نوع العلم الذي تلقاه الشيخ في البصرة بل يذكر شيخه فيها فقط مع أن ابن غنام عُدَّ العلوم التي درسها الشيخ محمد في البصرة.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المجموعة: محلة من محلات البصرة بالعراق، تقع في أعلى البصرة.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد، للشيخ عثمان بن بشر، ج ١: ١٧ طبعة وزارة المعارف السعودية.

ثم يمضى ابن بشر فيسرد بقية مراحل الرحلة ، فيقول :

إن الشيخ أعلن الدعوة إلى الله في البصرة وأظهر إنكاره للشرك ، والبدع ويذكر نوع الأذى الذي لقيه الشيخ من بعض رؤساء البصرة وإخراجهم له وقت الهاجرة يقول ما نصه :

« فلما خرج الشيخ من البصرة ، وتوسط الطريق فيما بينها وبين بلد الزبير^(١) أدركه العطش وأشرف على الهلاك وكان ماشياً على رجله فوافاه صاحب حمار مكاري^(٢) يقال له : أبو حميدان^(٣) فسقاه وحمله على حماره حتى أوصله الزبير ثم إن الشيخ أراد أن يصل إلى الشام فضاعت نفقته التي معه فانثنى عزمه عن المسير إليها فخرج من تلك الديار وقصد الأحساء فلما وصل إليه نزل على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي ثم إنه خرج من الأحساء وقصد بلدة حريملاء . لهذا يتضح أنه لا تعارض بين رواية ابن غنام ، وابن بشر بل إن رواية ابن بشر ، مؤكدة لرواية ابن غنام .

لكن ابن غنام وابن بشر لم يوضحا - رحمهما الله - متى بدأ الشيخ محمد في هذه الرحلة ؟ ومتى عاد منها ؟ وكم المدة التي قضاها في البصرة ؟

وللإجابة عن ذلك نقول :

إن من المعلوم ، والمؤكد أن الشيخ محمداً - رحمه الله - ولد في عام (١١١٥هـ) حسب الروايات الصحيحة .

ويروي الشيخ حسين بن غنام : أن الشيخ عبدالوهاب بن سليمان والد الشيخ محمد قد كتب إلى بعض إخوانه رسالة ذكر فيها أن ابنه بلغ الاحتلام قبل أن يكمل

(١) بلدة قديمة في العراق تقع قرب البصرة أغلب سكانها ينحدرون من أصول نجدية .

(٢) أي يؤجر حماره .

(٣) لم أعثر على اسمه كاملاً .

اثنتي عشر سنة من عمره وأنه رآه حينئذ أهلاً للصلاة بالجماعة فقدّمه ليؤم الناس في صلاة الجماعة، وزوجه وهو ابن اثنتي عشرة سنة بُعيد بلوغه ثم أذن له بالحج، فحج، وأمضى في ذلك مدة شهرين، ثم رجع إلى نجد بعد أن زار المدينة^(١).

وهذه الرواية، إن لم تنص صراحة على أنه حج في نفس العام الذي بلغ فيه، فإنه يفهم منها أن حجه كان قريباً من ذلك، ولا يبعد أن يكون في العام الذي يليه حين بلغ ثلاث عشرة سنة، وقد أكد هذه الرواية الدكتور عبد الرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم في كتابه «الدولة السعودية الأولى فقال مانصه:

وفي سن الثالثة عشر تهيأ لأداء مناسك الحج والعمرة وزيارة قبر رسول^(٢) الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة حيث مكث هناك شهرين كاملين^(٣).

كما أن الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ يذكر في كتابه «مشاهير علماء الدعوة وغيرهم» مضمون هذه الروايات.

فعلى هذا يوافق وقت حج الشيخ محمد عام ١١٢٨ هـ تقريباً.

أما الأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد فيذكر في كتابه «الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ما نصه:

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره رآه والده أهلاً للإمامة في الصلاة فقدّمه إماماً للناس في المسجد^(٤).

ثم يقول: وفي سبيل الله ومن أجل العلم سافر الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١١٣٦ هـ ١٧٣٣ م إلى مكة حاجاً لله.

(١) تاريخ نجد، لحسين بن غنام، ج ١: ٧٧، تحقيق ناصر الدين الأسد، الطبعة الأولى.
(٢) الصحيح أن يقول: زيارة مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ لأن قصد زيارة القبور لا تجوز.
(٣) الدولة السعودية الأولى، للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ص ٢٠، طبعة عام ١٩٦٩ م.
(٤) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لعبد الله بن سعد الرويشد، ص ١٢، طبعة عام ١٣٩٢ هـ.

وهذا القول خلاف الروايات الأخرى السابقة والتي تقول بأن والده قدمه للإمامة وعمره اثنتا عشرة سنة بغير بلوغه،

ولعل الأستاذ الرويشد استند في هذا على القاعدة الشرعية التي تحدد سن البلوغ بخمس عشرة سنة، وهو مستند وجيه، ولكن هذه القاعدة غير مطردة؛ لأن الشارع قد جعل هذا أقصى حد لسن البلوغ، وقد يبلغ الفتى، والفتاة قبل هذا السن، وهذا ما تم بالفعل للشيخ محمد بن عبد الوهاب فإن النص صريح في ذلك، وعلى الأخذ بقول الأستاذ الرويشد فإن سفر الشيخ إلى مكة للحج يوافق سنة (١١٣١هـ).

والأقرب للصواب - والله أعلم - أن حجه كان في أواخر العقد الثالث من القرن الثاني عشر الهجري؛ لأن معظم الروايات تنص على هذا.

أما وقت سفر الشيخ رحمه الله إلى البصرة فلم يحدد بسنة معينة إلا أنه تم بعد عودته من الحجاز حاجاً.

وأكثر الذين كتبوا عن سيرة الشيخ محمد، ومنهم الشيخ حسين بن غنام، والشيخ سليمان بن سحمان^(١) والشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي^(٢) والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم جامع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»^(٣) وكتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»^(٤) هؤلاء، وغيرهم يذكرون أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد عودته من المدينة جلس يقرأ على والده في التوحيد والتفسير والحديث والفقه، فلا بد أن هذه القراءة ودراسة هذه العلوم المختلفة استغرقت

(١) هو الشيخ سليمان بن مصلح بن مسفر بن سحمان، ولد في عسير سنة ١٢٦٦هـ، ثم انتقل إلى الرياض شاعر مجيد له ردود طيبة في الدفاع عن الدعوة السلفية، توفي في الرياض سنة ١٣٤٩هـ.

(٢) قاضي المحكمة الشرعية في قطر.

(٣) مجموع يقع في خمسة وثلاثين جزءاً.

(٤) مجموع يقع في اثني عشر جزءاً.

وقتاً لاسيما إذا كانت في كتب المطولات ؛ لأن همة هذا الإمام تطلب التوسع ، والتزود من العلم .

وهذا ما ظهر أثره حين قدومه البصرة ؛ فقد جعل يناقش ، ويجادل مخالفيه حتى دحضهم بالحجة والدليل الصحيح ، ولا يتم هذا إلا عن دراية تامة ودراسة طويلة .

والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ يحدد مدة إقامة الشيخ محمد بالعيينة بعد عودته من الحجاز بسنة فقط ، فيقول - رحمه الله - : إنه ظل على هذا سنة (١) .

فعلى هذا يكون وقت سفر الشيخ إلى العراق في أول العقد الرابع من القرن الثاني عشر الهجري ، هذا هو الواضح من كلام المؤرخين والعلماء - والله أعلم .

والأستاذ عبد الله بن رويشد يحدد سفر الشيخ محمد إلى العراق بعام (١١٣٦هـ) (٢) ومن المعلوم أن سفره إلى العراق بعد عودته من الحج ، وربما كان مستند الأستاذ الرويشد ما تقدم من تحديد سن البلوغ بخمس عشرة سنة ، وقد قدمنا الكلام على ذلك .

أما عودة الشيخ محمد من البصرة إلى نجد فكذلك لم يحدد بسنة معينة إلا أنه عاد بعد انتقال والده الشيخ عبد الوهاب من العيينة إلى حريملاء على أثر الخلاف الذي وقع بينه وبين أمير العيينة محمد بن حمد بن معمر الملقب «خرفاش» وذلك في عام (١١٣٩هـ) فهذا العام حدد فيه انتقال الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء لا عودة الشيخ محمد من البصرة وقد درج بعض الكتاب على تحديد عودته بهذا العام

(١) كتاب مشاهير علماء نجد ، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص ٢٢ طبعة دار الإمامة الرياض .

(٢) كتاب الإمام محمد بن عبد الوهاب للأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد ، ص ١٧ ، ١٨ ، طبعة عام ١٣٩٢هـ .

لكن النصوص الصحيحة مثل رواية ابن غنام ، وابن بشر ، وغيرهما ممن له إمام في حياة الشيخ لا تدل على ذلك .

ولا شك أن قدومه من البصرة بعد انتقال والده إلى حريملاء عام (١١٣٩هـ) وقبل وفاة والده الشيخ عبد الوهاب المحدد بعام (١١٥٣هـ) بسنوات .

فابن غنام وابن بشر يقولان : فأقام الشيخ محمد في حريملاء يقرأ على أبيه سنين إلى أن توفي أبوه سنة (١١٥٣هـ) .

ولكننا لا ندري ما مقدار هذه السنين ، ويميل الدكتور منير العجلاني إلى أن تاريخ عودة الشيخ من البصرة إلى حريملاء ما بين عام (١١٤٣هـ) وعام (١١٥٠هـ)^(١) والواقع قريب من ذلك ، بأن لفظه سنين محتملة لهذا .

وقد ذكرنا أن الشيخ في بداية هذه الرحلة كان ينوي مواصلة رحلته إلى الشام لا سيما وهي بلد الشيخين ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، والعلامة ابن القيم اللذين أكثر من المطالعة في مؤلفاتهما وتأثر بأرائهما وربما جاءت دعوته إمتداداً لدعوتهما إلى تجريد عقيدة التوحيد من كل ما يشوبه ، وسد كل ذريعة تؤدي إلى الشرك ، فما الذي يا ترى ثنى عزمه عن الوصول إليها رغم محبته لها؟

يقول الشيخ حسين بن غنام : آذاه أهل البصرة أشد الأذى ، وأخرجوه منها وقت الهجيرة ، فاتجه إلى الشام ، ولكن نفقته التي كانت معه ضاعت في الطريق فانشى عائداً إلى نجد^(٢) .

ويؤكد هذا ابن بشر فيقول :

ثم إن الشيخ أراد أن يصل إلى الشام فضاعت نفقته التي معه فانشى عزمه عن المسير إليه^(٣) .

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ، ج ١ : ٢٠٨ ، طبعة دارالكتاب العربي بيروت .

(٢) تاريخ نجد ، ج ١ : ٧٧ ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، الطبعة الأولى .

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ١ : ٢٨ طبعة وزارة المعارف السعودية .

ويقول المؤرخ العراقي إبراهيم فصيح الحيدري في تاريخه^(١) :

إن الشيخ محمد النجدي المذكور أراد السفر إلى الشام فضاق زاده فانشى عزمه عن المسير إليها .

ثم أكد ذلك كتاب آخرون .

فهذا يدلنا على أن سبب عدول الشيخ عن السفر إلى الشام قلة النفقة .

وقد قال بهذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية وهو عالم محقق معروف - حفظه الله - ونفع المسلمين بعلمه^(٢) .

ولا دليل لمن ربط سبب عودته - أي الشيخ محمد - إلى نجد ، وعدوله عن السفر إلى الشام بالخلاف الذي وقع بين والده الشيخ عبد الوهاب وبين أمير العيينة ، وترك الشيخ عبد الوهاب قضاء العيينة ، وانتقاله إلى حريملاء ، وأن الشيخ محمداً جاء عائداً إلى نجد للاطمئنان على أحوال والده^(٣) .

ولا عبرة أيضاً بقول من قال : إن سبب عدوله عن السفر الشام وقوع الشام تحت سيطرة الأتراك فعدل عن ذلك خشية أن يلاقي من المتاعب والأذى مثل الذي لقيه في البصرة الواقعة تحت حكم الأتراك فأثر العودة إلى نجد ؛ لوجود المناصرين له فيها ، ولعدم سيطرة الأتراك عليها^(٤) .

ونقول : إن هذه الآراء مبنية على تحريات وتخربات لا تؤيدها نصوص ؛ بل النصوص تذكر خلاف ذلك ، فلا يطرح النص الثابت لمجرد تحر استمد من وقائع لاصلة لها بالموضوع .

(١) عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد : ص ٢٢٩ طبعة دار البصري بغداد .
(٢) محاضرة لسماحته بعنوان « الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ، ص ٢١ ، الطبعة الثالثة الرياض .
(٣) قال ذلك حسين خزعل في كتابه « حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ، ص ٦٤ ، طبعة دار الكتاب بيروت .
(٤) انظر كتاب (درب الانتصار) لعبد الوهاب فتال ، ص ٥٧ طبعة بيروت .

كما أن الروايات السابقة توضح أن الشيخ عاد من البصرة إلى الأحساء ماراً بالزبير، ومن الأحساء اتجه إلى بلدة حريملاء .

والأستاذ أمين سعيد يوضح واسطة النقل التي استخدمها الشيخ في عودته فيقول : فامتطى إحدى سفن الخليج إلى الأحساء^(١) .

لكن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم يذكر أن الشيخ خرج من البصرة إلى نجد قاصداً الحج، فلما قضى الحج قصد المدينة ، ثم ارتحل يريد الشام فحصل له عائق فقصده نجداً^(٢) .

فهذا القول نستخلص منه مسألتين :

١- أن الشيخ عاد من البصرة إلى الحجاز ثم تحول إلى نجد .

٢- أن الشيخ عزم على السفر إلى الشام وهو في المدينة .

ومما لا شك فيه أن الشيخ عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله - من المهتمين بالدعوة وأصحابها وقد بذل جهداً يشكر عليه في جمع وتسجيل ما كتبه أئمة الدعوة من فتاوى وما كانوا عليه ، متحريراً الدقة ، والصدق فيما كتبه .

قلت : أما المسألة الأولى فمن الممكن أن يكون الشيخ محمد قد زار مكة وهو في طريقه إلى نجد ، فالرواية لاتنفي مروره بالأحساء ، بل ذلك محتمل ، ووارد إذ ربما أن الشيخ بعد خروجه من الأحساء ذهب إلى الحجاز ثم تحول إلى نجد .

أما المسألة الثانية : وهي قصده السفر إلى الشام من المدينة . فلا يبعد أيضاً أن يكون قد عزم مرتين ؛ مرة وهو في البصرة ، ومرة وهو في المدينة فالحمة والشوق يسوقانه إليها .

(١) كتاب سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لأمين سعيد ، ص ٢٠ ، طبعة دار الملك عبد العزيز .
(٢) كتاب « الدرر السنية في الأجوبة النجدية » جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ج ١٢ : ٥ ، طبعة دار الإفتاء .

وماتقدم هو المشتهر عن رحلات الشيخ العلمية والتعبدية داخل الجزيرة العربية وخارجها .

أما القول بتكرار هذه الرحلات أكثر من مرة فلم يقل به أحد من المؤرخين السابقين المعتقد بكلامهم .

عدا الشيخ سليمان بن سحمان فقد قال مانصه : وزاحم العلماء ، ورحل إلى البصرة والحجاز مراراً^(١) .

وقد نقل عنه هذا القول الشيخ عبد الرحمن بن قاسم الذي تقدم ذكره .

أما تكرار زيارة الشيخ محمد إلى الحجاز فمحتمل ؛ حيث عرف عنه شدة الحرص على العبادة ، وما يقرب إلى الله ، لاسيما وهناك من يقول : بأنه خرج من البصرة إلى نجد قاصداً الحج ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

أما تكرار زيارة الشيخ للبصرة فلا أظن أن ذلك واقع ، ويمكن اعتبار كلمة «مراراً» الواردة في كلام الشيخ سليمان بن سحمان على أنها عائدة على لفظ «الحجاز» فقط لا على البصرة والحجاز ، ويكون المعنى ، رحل إلى البصرة مرة ورحل إلى الحجاز مراراً ، ويؤيد ذلك ما ذكره الزركلي فقال رحل إلى الحجاز مرتين^(٢) .

أما الذين قالوا بتعدد الديار التي رحل إليها الشيخ محمد ، وأنواع العلوم الفلسفية والصوفية ، والفلكية ؛ التي زعموا أن الشيخ درسها ، واستفاد منها في هذه الرحلات الطويلة ، فإنهم استقوا معلوماتهم من كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب»^(٣) .

(١) كتاب «الضياء الشارق» ، لسليمان بن سحمان ص ٥ الطبعة الأولى .

(٢) قاموس الأعلام لخير الدين الزركلي ، ج ٧ : ١٣٨ ، الطبعة الثانية .

(٣) هذا الكتاب ألف حوالي سنة ١٢٣٣ هـ ، ولا يعرف علي وجه اليقين من هو مؤلفه وقد وجد فيما بعد نسخة منه مخطوطة ذيل في آخر صفحة منها - كعادة النساخ - أنها بقلم حسن بن جمال الريكي ، وفيه شبه وافتراءات على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وطبع لأول مرة في بيروت سنة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م بتحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكم ثم طبعته دار الملك عبد العزيز في الرياض وعليه بعض التعليقات بقلم الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ على شكل ردود عليه .

وهو كتاب مجهول المؤلف ، والروايات الواردة فيه ينكرها واقع حياة الشيخ فقد جاء في هذا الكتاب في «فصل سياحة الشيخ» النص التالي :

« أنبأنا مَنْ يوثق به عن بعض المعاصرين للشيخ النجدي محمد بن عبد الوهاب أنه طلب العلم وهو حدث ، وكان يبالي في الطلب ذكي الفهم حريص على التعلم ، و كان يقرأ على يد رجل اسمه الشيخ عبد الرحمن بن أحمد من أهل بريدة هاجر من بلده إليها ، ولزم صحبته ست عشرة سنة حتى أدرك منه علوم الآلات من العربية ؛ كالنحو والصرف والمعاني والبيان وعلم البديع ، وقرأ عليه الحديث النبوي منه كتابا البخاري ومسلم ، ومسند أحمد ابن حنبل - رضي الله عنهم -^(١) ثم بعد ذلك أتبع الشيخ حسان التميمي في بلاد القصيم ، وتلمذ على يده في علم الفقه ، والتفسير سبع سنين حتى صار ماهراً يرجع إليه في الفتوى ، فلما بلغ عمره سبعاً وثلاثين سنة خرج من أرض نجد قاصداً البصرة . . »^(٢) .

هذا نص رواية مؤلف كتاب «لمع الشهاب» عن رحلة الشيخ محمد إلى بلاد القصيم .

كما يروي صاحب «اللمع» أيضاً أن الشيخ محمداً ارتحل من البصرة إلى بغداد وأقام بها يدرس علم الكلام ، وفيها تزوج امرأة ، ثم توفيت فورث منها مالا ، ثم صار إلى كردستان ، ومنها إلى إيران ودرس فيها بعض العلوم ، ومسالك الصوفية ، ثم سار إلى تركيا ونشر فيها مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ثم عاد منها إلى الشام ، ومنها ذهب إلى مصر حيث سكن في الجامع الأزهر ودرس فيه علم الفلك . بعد ذلك توجه إلى المدينة ومكة عن طريق السويس ، وبعد الحج توجه إلى نجد حيث موطنه الإمامة^(٣) .

(١) هذا الدعاء لا يقال إلا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصواب أن يقول (رحمهم الله .

(٢) كتاب لمع الشهاب ص ١٥ الطبعة الأولى .

(٣) كتاب لمع الشهاب ، ص ١٨-٢٢

وحسب السنوات التي ذكر فإن هذه الرحلة الطويلة التي سافر خلالها الشيخ محمد إلى ديار كثيرة قد استغرقت ما يقارب عشرين سنة ، ويزعم أن عمر الشيخ وقت البدء فيها كان سبعة وثلاثين سنة .

ومعلوم أن ولادة الشيخ كانت سنة ١١١٥ هـ ، وعلى هذا يكون وقت عودة الشيخ من هذه الرحلة المزعومة حوالي عام ١١٧٢ هـ ومما يهدم هذه الرواية ويبطلها ما يلي :

١- إنه قد علم يقيناً أن الشيخ محمداً قد عاد من البصرة إلى نجد سنة ١١٣٩ هـ وهي آخر رحلة له حيث استقر في جانب والده الشيخ عبد الوهاب في بلدة حريملاء ، وبعد وفاة والده سنة ١١٥٣ هـ انتقل منها إلى العيينة واستقر أخيراً في بلدة الدرعية سنة ١١٥٧ هـ حيث بدأ في دعوته السلفية المباركة بدعم من الإمام محمد بن سعود ، وسكن الشيخ في الدرعية حتى توفي - رحمه الله - سنة ١٢٠٦ هـ .

٢- إن الثقات من المؤرخين الذين كتبوا عن حياة الشيخ ؛ مثل المؤرخ حسين ابن غنام ، وعثمان بن بشر ، وأئمة الدعوة ، وأبناء الشيخ وأحفاده لم يذكر أحد منهم شيئاً عن هذه الرحلة المزعومة مطلقاً .

٣- مَنْ هو مؤلف كتاب «لمع الشهاب» الذي نقل لنا هذا الخبر؟

٤- مَنْ هذا الثقة الذي انفرد بهذه الرواية دون غيره؟

٥- إن مصنفات الشيخ ورسائله متداولة بين الناس ، ومطبوعة عشرات المرات فلا يوجد فيها أثر للفلسفة أو التصوف ، والشيخ نفسه ينفي هذا برسالة بعثها إلى الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي^(١) يقول فيها :

إنني لا أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم^(٢) .

(١) من كبار علماء الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري توفي سنة ١١٨١ هـ .

(٢) الدرر السنية ، ج ١ : ٣٢ ، طبعة دار الإفتاء .

فإذا كان هذا رأيه ومعتقده فكيف يدرس هذه العلوم ؟ كما يدعيه مؤلف «لمع الشهاب» .

هذه الحقائق ، وغيرها تنفي صحة رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى كل من القصيم وبغداد والشام وبلاد الفرس ومصر وتركيا ، كما يزعمه صاحب كتاب «لمع الشهاب» .

وقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ^(١) مفتي الديار السعودية في وقته رحمه الله .

هل رحل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الهند ، وإيران والشام ومصر كما تذكر بعض كتب التاريخ ؟

فأجاب - رحمه الله - بقوله :

الحقيقة التاريخية التي لا مرأ فيها أن الشيخ لم يرحل الى بلد خارج الجزيرة العربية سوى مدينتي البصرة ، والزيبر لا غير ومن قال : إنه ذهب إلى مدن أخرى خارج الجزيرة فهذا القول لا صحة له^(٢) .

والشيخ محمد بن إبراهيم من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومن العلماء المحققين اشتهر لدى عارفه بالثبوت وسبر عواقب الأمور فلا يقول إلا عن علم ويقين ، وما قاله هو الذي تؤيده الأدلة ، وتقره الحقائق التاريخية .

كما أن بعض الباحثين من عرب ومستشرقين قد أوردوا هذه الرحلات المزعومة مستنديين على رواية «لمع الشهاب» في نقولاتهم وهي - كما ترى - روايات مضطربة ينقض بعضها بعضاً ، ولا تؤكدها حقائق ثابتة .

(١) هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ولد في الرياض سنة ١٣١١ هـ من كبار علماء نجد ومشاهيرهم ، تولى رئاسة القضاء والإفتاء في المملكة العربية السعودية ، وتوفي في الرياض سنة ١٣٨٩ هـ - رحمه الله .

(٢) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لعبدالله بن سعد الرويشد ، ج ١ ، ص ١٧ طبعة عام ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

فالبعض من هؤلاء الكتّاب لا يخفي أنه ينقل عن «كتاب لمع الشهاب» ؛ بل يشير إليه ، ويحدد ذلك بالصفحة ليلقي بالتبعية على صاحب الرواية ، وهذا وإن كان فيه شيء من التحفظ إلا أن صاحبه لا يعذر بل الاجدر لكاتب يقدم لهذا الجيل وما بعده مادة علمية تحمل بين طياتها نوعاً من تراثه المجيد الأولى لهذا الكاتب أن يناقش هذه الرواية ويقارنها بالروايات الأخرى حتى يتبين له الصحيح من الكذب .

وبالبعض الآخر من هؤلاء الكتّاب اعتمدوا على أقوال بعض المستشرقين الذين استمدوا مادة كتاباتهم من رواية لمع الشهاب مثل الأستاذ أحمد أمين في كتابه «زعماء الإصلاح» حيث يقول على صيغة الجزم ما نصه

طاف الشيخ في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، فأقام نحو أربع سنين في البصرة وخمس سنين في بغداد وسنة في كردستان وستين في همدان ثم رحل إلى أصفهان ، ودرس هناك فلسفة الإشراق والتصوف ثم رحل إلى قم ثم عاد إلى بلده^(١) .

وأحمد أمين ينقل هذا القول عن المستشرق «هوتسما» وهذا المستشرق يقول بكل صراحة إن هذه الأقوال من رواية اللمع^(٢) .

فما الذي ياترى حمل هؤلاء الكتّاب على النقل من هذه الرواية والاعتماد عليها رغم وجود الشكوك الدائرة حولها؟

لا نجد لذلك سبباً سوى ما ذكر فيها من تفصيل وجدوا فيه الاجابة على جميع تساؤلاتهم التي قد لا يجدون لها جواباً فيما عداها فنقل البعض منهم ذلك عن حسن نية ونقل البعض الآخر عن خبث وسوء طوية ليضللوا الرأي العام عن الدعوة وصاحبها .

(١) زعماء الإصلاح لأحمد أمين ، ص ١٠ ، طبعة ، عام ١٩٦٥ م .
(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني ، ج ١ : ١٩٩ ، طبعة دار العربي بيروت .

فقد ظهر للناس أنها دعوة سلفية تدعو إلى تخليص عقيدة التوحيد من كل شائبة ، مستمدة أصولها من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .
فحاولوا تشويه هذه الظاهرة بما أوردوه في كتبهم من شبه ، ومفتريات ليصرفوا الناس عنها .

كما أن هناك رواية أخرى ذكرها إبراهيم فصيح الحيدري قال :

أخبرني والدي - رحمه الله - قال : إنه قدم إلى بغداد يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخذ أيضاً عن العلامة النحرير جدي السيد صبغة الله الحيدري طاب ثراه ، ولما رجع جدي العلامة أسعد الحيدري من مكة عن طريق الدرعية اجتمع به في الدرعية واحترم جدي غاية الاحترام وأعزه وأكرمه الأمير سعود إكراماً لائقاً ، وجلس جدي بالدرعية مقدار ثلاثة أشهر ثم حملوه بالاحترام والإكرام إلى البصرة^(١) .

وعندما نقارن هذه الرواية بالروايات الأخرى الصحيحة لانجد ما يؤيدها ؛ لأن الروايات الأخرى الثابتة تقصر رحلة الشيخ محمد للعراق على البصرة والزبير فقط كما ذكرنا .

والمفهوم من رواية الحيدري هذه أن الذي تتلمذ عليه الشيخ محمد هو الشيخ (صبغة الله الحيدري) وهو غير الذي مرَّ بالدرعية وأكرم من قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير سعود وهو (أسعد الحيدري) فهذا الإكرام المزعوم إن صح فليس لأجل تتلمذ الشيخ محمد عليه ، ومن الممكن أن أسعد الحيدري مرَّ بالدرعية أثناء عودته من الحج ، لأن الدرعية بالقرب من الطريق بين مكة والعراق ، وإكرام الضيف ، و عابر السبيل من عادات العرب التي حث عليها الإسلام ؛ لا سيما إذا كان الضيف من أهل العلم ، فإن الحفاوة به أكثر .

(١) (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد) ، تأليف إبراهيم الحيدري ، ص ١٢٦ ، طبعة دار البصري بغداد .

ثانياً : شيوخه :

قدّمنا في أول هذا الفصل الكلام عن رحلات الشيخ التعبدية لقصد الحج والعمرة ، والعلمية لقصد المزيد من العلم والمعرفة .

وسوف نتحدث في هذه الفقرة عن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ممن اشتهر أخذه عنهم ، فتقول :

من المعلوم أن الشيخ محمداً قد درس ، وتلقى العلم منذ نعومة أظفاره على يد شيوخ أجلاء في أوقات مختلفة متنقلاً بين نجد والحجاز والبصرة والأحساء .

شيوخه في نجد :

قدّمنا في فقرة «نشأة الشيخ» أنه نشأ في بيئة علمية ، وبيت علم وفضل بين والده الشيخ عبد الوهاب ، وعمه الشيخ إبراهيم بن سليمان بن علي ، وأخيه الشيخ سليمان ، وأبن عمه الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم ، وخاله الشيخ سيف بن محمد بن عزاز ، وعلماء آخرين فتأثر بهم واكتسب من علومهم فقد كانت بلدة العيينة - في ذلك الوقت - في أوج عزها في عهد أمرائها آل معمر وكان فيها الفقهاء والعلماء ، وإليهم تضرب أباط الإبل ، فعنهم أخذ حتى حصل علماً كثيراً .

من المعروف أن الشيخ محمداً - رحمه الله - درس في أول شبابه على والده الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ سليمان بن علي بن مشرف ، قاضي العيينة وفقهها في وقته ، فدرس عليه أولاً القرآن الكريم حتى حفظه ، وهذا من حسن توفيق الله سبحانه له إذ بدأ بحفظ القرآن وقلبه خال فكان أشد تمكناً كما قال الشاعر العربي :
فصادف قلباً خالياً فتكمننا .

لهذا نجد رسائل الشيخ ومؤلفاته ودروسه التي كان يلقيها على تلاميذه حافلة بالأدلة من القرآن الكريم وهذا - والله أعلم - بسبب تمكنه من القرآن وبما فتح الله عليه من فهم مدلول آيات كتاب الله ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

لقد حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه السنة العاشرة من عمره ، وبعد ذلك جلس إلى والده ؛ لدراسة العلوم الشرعية الأخرى فدرس عليه شيئاً من التفسير والحديث في صحيح البخاري ومسلم ، وكان يحضر مجالس والده التي كانت مقصداً لطلاب العلم والمعرفة والفتيا فينصت لأحاديث القوم ومجادلاتهم .

وكان يصرف معظم أوقاته بالقراءة والمطالعة في كتب التفسير والحديث والفقه والعقائد مهتماً بمؤلفات الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية والعلامة شمس الدين قيم الجوزية . فأكسبه ذلك ثروة علمية ، وثقافة واسعة مكتبته من القدرة على الجواب على كثير من الفتاوى ، والمسائل الفقهية التي كانت تعرض عليه وجعلته يشارك في المناقشات التي كانت تثار في مجالس والده فكانت تلك الفترة من حياة الشيخ نقطة الانطلاق للتعمق في معرفة الأمور الشرعية .

وبعد ذلك سافر الشيخ إلى مكة - كما قدمنا - ؛ ليؤدي فريضة الحج وزيارة مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ؛ ويلتقي بعلماء المدينة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - ، ليشحذ عقله بعقولهم ، ولينهله من معين علمهم .

شيوخه في المدينة :

أدّى فريضة الحج والعمرة ، وقصد المدينة واتصل بعالمين جليلين فيها هما عبدالله بن إبراهيم بن سيف^(١) والمحدث محمد حياة السندي^(٢) اتصل الشيخ محمد أولاً بالشيخ عبدالله بن سيف ، وأخذ عنه كثيراً من العلوم وأحبه شيخه محبة

(١) هو الشيخ عبدالله بن سيف أصله نجدى من أهل المجمعنة ينتسب إلى قبيلة «شمر» المعروفة ، ولد بالمجمعنة وانتقل منها مع والده إبراهيم إلى المدينة وسكن بها ، وقرأ على علمائها ، وولد له فيها ابنه إبراهيم مصنف كتاب «العذب الفاضل في علم الفرائض» والشيخ عبدالله المذكور عالم مشهود له بالعلم والمعرفة ، توفي رحمه الله في المدينة سنة ١١٨٩ هـ .

(٢) هو الشيخ العلامة المحدث محمد حياة السندي ، له باع طويل في معرفة الحديث وأهله ، وله حاشية مشهورة على صحيح البخاري ، ومن مصنفاته أيضاً «تحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام» و«تحفة المحبين في شرح الأربعين» أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم الشيخ عبدالله بن سالم البصري صاحب كتاب «الإمداد في علم الإسناد» وأخذ عنه جماعة من العلماء من أجلهم الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ؛ والشيخ علاء الدين السوري توفي الشيخ السندي في المدينة سنة ١١٦٥ هـ ، رحمه الله .

شديدة فكان حفيأ به ؛ وبذل جهداً كبيراً في تثقيفه وتعليمه وقد توافقت أفكارهما في عقيدة التوحيد ؛ والتألم مما عليه أهل نجد وغيرهم من الشراكيات ؛ والبدع ؛ وفساد العقيدة .

كان الشيخ محمد عند شيخه عبدالله بن سيف ذات يوم في داره فقال الشيخ عبدالله مخاطباً الشيخ محمداً : أتريد أن أريك سلاحاً أعدته للمجموعة ؟ قال الشيخ محمد : نعم فأدخله في غرفة قد ملئت بكتب كثيرة وقال هذا الذي أعددنا لها . فرد عليه الشيخ محمد قائلاً : نَعَمْ ما أعددت لها من سلاح ^(١) .

وقد استفاد الشيخ محمد من مصاحبته للشيخ عبدالله بن سيف فوائد كثيرة وأجازه في رواية حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ) ^(٢) .

كما أجازه بكل ما حواه ثبت الشيخ محمد بن عبد الباقي الحنبلي ^(٣) قراءة وعلماً وتعليماً من صحيح البخاري ومسلم وشروحهما ، وأصحاب السنن والمسانيد ، ومسلسل اللغة العربية ، وألفية العراقي ، والخلاصة لابن مالك ، والسيرة النبوية لابن هشام ، والترغيب والترهيب وسائر كتب ومؤلفات ابن حجر العسقلاني ، وكتب القاضي عياض وكتب القراءات ، وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلاني ، ومعجم الطبري وكتب السيوطي ، وفقه الحنابلة ومسلسلاتها وأصولهم إلى غير ذلك مما ثبت في ثبت الشيخ محمد بن عبد الباقي .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ، للشيخ عثمان بن بشر ، ١ : ١٧ ، طبعة وزارة المعارف السعودية .
(٢) أخرجه الترمذي في باب البر وصححه لما له من الشواهد ، وأبو داود في باب الرحمة ٤ : ٢٨٥ .
(٣) هو الشيخ أبو المواهب محمد بن عبد القادر بن عبد الباقي الحنبلي من كبار علماء الحنابلة في دمشق ولد سنة ١٠٤٤ هـ له ثبت يحتوى على أسماء شيوخه وتراجمهم ، وله رسائل في التفسير والحديث ، توفي بدمشق سنة ١١٢٦ هـ .

هذه الإجازة ذكرها كل من :

- ١- الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق»^(١).
- ٢- الشيخ أحمد بن حجر، قاضي قطر^(٢).

وعند إمعان النظر في آثار الشيخ، ومؤلفاته ورسائله نجدها مستمدة من هذه المصنفات السالف ذكرها فهي عبير ينفح من تلك الزهور العطرة.

لكن السؤال الذي يجول في خاطر هو كيف تمكّن الشيخ محمد من قراءة هذه المصنفات والمسانيد على شيخه عبدالله بن سيف لدرجة يجيزها فيها على روايتها وتعليمها مع قصر المدة التي مكثها في المدينة؟ فالمؤرخ حسين بن غنام تارة يقول: إن الشيخ أقام في المدينة شهرين، وتارة يقول: أقام في المدينة حيناً^(٣).

والمؤرخ عثمان بن بشر يقول: أقام في المدينة ما شاء الله^(٤).

وبعض الكتاب يحدد ذلك بشهرين كالدكتور عبدالرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم^(٥) والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله آل الشيخ^(٦) وغيرهما. ولا يبعد أن يكون مستندهم في هذا رواية ابن غنام الأولى. لا سيما أن ابن غنام من أوثق من كتب عن حياة الشيخ ودعوته.

والذي يزيل هذا الإشكال كون الشيخ درس على والده وعلى غيره من العلماء هذه المصنفات في العينة مدة طويلة قبل سفره إلى الحجاز، وعند اتصاله بالشيخ

(١) كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ ص ١٦: ١٧ الطبعة الأولى.

(٢) كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر آل بوطامي ص ١٤ طبعة المدني.

(٣) تاريخ نجد لحسين بن غنام ١: ٧٥، ٧٦ تحقيق ناصر الدين الأسد، الطبعة الأولى.

(٤) عنوان المجلد للشيخ عثمان بن بشر، ج ١: ١٧، طبعة وزارة المعارف.

(٥) كتاب الدولة السعودية الأولى، ص ٢٠، طبعة عام ١٩٦٩ م.

(٦) كتاب مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص ٢٢، طبعة دار الإمامة بالرياض.

عبد الله بن سيف وجده ملماً بها فأجازه في روايتها وتعليمها لا سمياً أن الشيخ محمد أجاد الفهم سريع الإدراك .

يقول الشيخ حسين بن غنام في هذا : وكان لسرعة كتابته يكتب في المجلس الواحد كراساً من غير أن يتعب فيحار من يراه لسرعة حفظه وكتابته^(١) .

كما أن الشيخ عبد الله بن سيف أجازه في روايته حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

«إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قالوا كيف يستعمله قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته»^(٢) .

هذا الحديث رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك وهو من ثلاثيات^(٣) الإمام أحمد رحمه الله .

وقد ذكر أيضاً أن الشيخ أخذ العلم عن الشيخ علي أفندي الداغستاني والشيخ إسماعيل العجلواني والشيخ عبد اللطيف العفالق الأحمسي والشيخ محمد العفالق الأحمسي وقد أجازه الشيخان علي أفندي الداغستاني والأحمسي بمثل ما أجازه به الشيخ عبد الله بن سيف بما حواه ثبت أبي المواهب .

ذكر هذه الرواية الشيخ أحمد بن حجر قاضي قطر فقال ما نصه : وقد أجازه الشيخان الداغستاني والأحمسي^(٤) .

أما الداغستاني فظاهر ، وأما الأحمسي فلا ندري أيهما : هل المراد الشيخ عبد اللطيف أم الشيخ محمد ؟ لأن كل منهما يلقب بالأحمسي .

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ، ج ١ : ٧٦ ، تحقيق ناصر الدين الأسد .
(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٣ : ١٠٦ ، والترمذي في كتاب القدر ج ٤ : ٤٥٠ وقال : حديث حسن صحيح .
(٣) الحديث الثلاثي ما كان بين المخرج له وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة رواه صحابي ، وتابعي ، وتابع تابعي .
(٤) كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ، ص ١٥ ، طبعة المدني .

والظاهر أنهما من نزلاء المدينة وأخذ الشيخ عنهما كان بالمدينة فلا تنسب هذه الإجازة إلى شيخه في الأحساء الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعي الأحسائي .

والأقرب - والله أعلم - أن هذه الإجازة تنسب إلى الشيخ عبداللطيف العفالق في كل ما حواه ثبت أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلماً وتعليماً^(١) .

وبهذا النص يزول اللبس الوارد في رواية الشيخ أحمد بن حجر فإن لفظة (الأحسائي) تنصرف إلى الشيخ عبداللطيف العفالق الأحسائي - والله أعلم - .

ثم إن الشيخ عبدالله بن سيف قدم تلميذه الشيخ محمداً إلى المحدث الكبير الشيخ محمد حياة السندي ، وعرفه به وبأهله وما هو عليه من عقيدة صافية وما تجيش به نفسه من مقت البدع والخرافات والشركيات التي تعج بها بلاد نجد في ذلك الوقت ، وأن قصده الاستزادة من العلم ، والتسلح بسلاحه ليتمكن من أداء مهمته ؛ وهي الدعوة إلى الله وإيضاح الطريق الصحيح للناس للرجوع إلى عقيدة التوحيد الصحيحة الصافية من كل شائبة .

فأقام الشيخ محمد بن عبد الوهاب لدى الشيخ محمد حياة السندي فأحبه محبة فائقة وأخذ عنه الحديث ورجاله .

وفي ذات يوم وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب عند الحجرة النبوية الشريفة بالمدينة ؛ ليرى أناس يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستغيثون به ، ويطلبون منه قضاء حاجتهم فآلمه ذلك أشد الألم فكيف يصرف ما هو حق لله تقدس وتعالى إلى عبد من عباده .

وفي هذا المشهد المؤلم وقف إلى جانبه الشيخ محمد حياة السندي فقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب لشيخه السندي : ما تقول في هؤلاء؟ فرفع السندي أصبعه مشيراً إليهم وقال : إن هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا يعملون .

(١) كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق ، ص ١٦ ، الطبعة الأولى بمصر ١٣١٩ هـ .

فرد عليه الشيخ محمد قائلاً : وما يمنعك من الإنكار عليهم فقال الشيخ محمد السندي : لا أقدر أنا ولا أنت على ذلك .

هذه القصة أوردها كثير من المؤرخين منهم ابن بشر والكتاب المتقدمين والمتأخرين ، وهي كما ترى تفيد أن الذي قال إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون هو الشيخ محمد حياة السندي .

ولكن الأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد يسوق هذه القصة مشيراً إلى أن الذي قال هذه العبارة هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

فيقول الرويشد ما نصه : وقد قال للشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما رأى الناس يتمسحون ، ويستغيثون عند آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويطوفون : ماذا تقول في هؤلاء ؟ فقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون^(١) .

وحينما نرجع إلى المصدر الأصلي لهذه القصة وهو كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» للشيخ عثمان بن بشر نجد أن النص كالتالي :

وحكى أن الشيخ محمداً وقف يوماً عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فرأه محمد حياة فأتى إليه فقال الشيخ : ما تقول في هؤلاء ؟ قال : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون^(٢) .

وعند التدقيق والنظر في هذا النص نجد أن ابن بشر - رحمه الله - قد أطلق كلمة الشيخ في هذه العبارة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأنه المعهود وهي عادة ابن بشر في كل عباراته عن الشيخ .

(١) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب . للأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد ج ١ : ١٢ .
(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ج ١ : ٢٠ طبعة وزارة المعارف السعودية .

فالأقرب - والله أعلم - أن جملة إن هؤلاء متبر ما هم فيه إلخ صادرة من الشيخ محمد حياة السندي .

ثم إن ابن غنام ، وابن بشر وغيرهما من المؤرخين ، والكتاب لم يبينوا نوع العلم الذي تلقاه الشيخ محمد من الشيخ محمد حياة السندي غير قولهم : (أخذ عنه) .

كما أن الدكتور عبد الرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم يقول : وفي المدينة أيضاً اجتمع بعالم آخر ذي مكانة عظيمة هو الشيخ محمد حياة السندي المدني وأخذ عنه وأجازه الشيخ^(١) .

فظاهر هذا النص أن هذه الإجازة صادرة من الشيخ محمد حياة السندي إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ لكن بأي شيء أجازه؟ .

لم يذكر أحد فيما اطلعت عليه من المصادر التاريخية نوع العلم الذي أجازه فيه الشيخ السندي ، والأقرب للصواب أنه أجازه في علم الحديث ورجاله لأن الشيخ السندي مشهور بمعرفة علم الحديث ورجاله ، ومصنفاته تبحث في هذا الفن .

هؤلاء هم شيوخ الشيخ محمد المعروفون بالمدينة وربما كان هناك غيرهم ممن لا نعرفهم .

شيوخه في البصرة:

بعد عودة الشيخ محمد من المدينة إلى بلده «العين» استأنف الدراسة على والده الشيخ عبد الوهاب ، فقرأ عليه في الفقه الحنبلي ، وأكثر من المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام . وقد ظل على هذا مدة سنة حسب ما تفيد بعض الروايات^(٢) .

(١) تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ص ٢٠ .

(٢) مشاهير علماء نجد للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص ٢٢ ، طبعة دار اليمامة بالرياض .

ثم تجهز للسفر إلى العراق وحطَّ رحله في أول مدينة عراقية تلي الجزيرة العربية من مدن العراق وهي مدينة «البصرة»^(١) واتصل بعالم جليل في إحدى محلاتها اسمه الشيخ محمد المجموعي^(٢) فأخذ عنه الحديث والفقه واللغة العربية والحديث .

وقرر الشيخ محمد بن عبد الوهاب لشيخه المجموعي عقيدة التوحيد فاستفاد منه شيخه فائدة كبيرة ظهر أثرها على أولاده من بعده .

يقول الشيخ عثمان بن بشر : أخبرني شيخنا القاضي عثمان بن منصور الناصري^(٣) قال : أخبرني رجل من مجموعة البصرة بأن أولاد ذلك العالم الذي قرأ عليه الشيخ محمد هم أحسن أهل بلدهم بالصلاح ، ومعرفة التوحيد وهذا - والله أعلم - بركة^(٤) اجتماع الشيخ بوالدهم^(٥) انتهى .

فما أكبر همة هذا الإمام يأخذ ويعطي ، وربما كان عطاؤه أكثر من أخذه . ولشدة حرص الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وغيرته على التوحيد كان ينكر ما يرى وما يسمع من البدع والشركيات التي تقام حول الأضرحة لا سيما في تلك الديار التي معظم أهلها من غلاة الشيعة الذين يعظمون الأولياء ويقدسون قبورهم ؛ فلحقه بسبب هذا الإنكار الأذى من تلك الطوائف حتى اضطُرَّ إلى الخروج منها .

وقد لحق شيخه محمد المجموعي بعض الأذى حينما اتضح للغلاة أنه من أنصار الشيخ محمد .

(١) تقدم التعريف بها .
(٢) نسبة إلى محلة المجموعة بالبصرة وهي محلة تقع في أعلى البصرة .
(٣) هو الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن منصور الناصري من أهل الوشم ، ولد في أول القرن الثالث عشر الهجري ودرس على علماء نجد ثم سافر إلى العراق ودرس على علمائها وهو من أشد المعارضين للدعوة السلفية توفي سنة ١٢٨٢ هـ .
(٤) الصحيح أن يقول : من آثار اجتماع الشيخ محمد بوالدهم .
(٥) عنوان المجدد في تاريخ نجد ، للشيخ عثمان بن بشر ، ج ١ : ٢١ ، طبعة وزارة المعارف .

ويقال إن الشيخ محمداً أخذ العلم أيضاً في البصرة عن علماء آخرين اشتهر منهم الشيخ شهاب الدين الموصلي ، والشيخ حسين إسلام بولي وهما من قضاة البصرة ، وعلى هذا نقول .

أما رحلة الشيخ إلى البصرة فهي ثابتة برواية الثقات من المؤرخين كما ذكرنا ، وأما دعوى أخذه عن هذين العالمين فلم يثبت ذلك برواية صحيحة .

والمشتهر أن شهاب الدين الموصلي وحسين إسلام بولي كانا قاضيين في البصرة في زمن ولاية (عمر آغا) عليها ، وولايته كانت في عام ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤ م^(١) أي بعد عودة الشيخ محمد من البصرة إلى نجد بأكثر من ثلاثين سنة .

ومعلوم أن الشيخ محمداً قد استقر في الدرعية سنة ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م حتى توفاه الله فيها سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م فكيف أخذ عن هذين القاضيين مع وجود هذا الفارق الكبير في التاريخ ، فهذا دليل واضح على بطلان هذه الدعوى .

أما ما زعمه إبراهيم فصيح الحيدري من أن الشيخ محمداً أخذ العلم عن جده الشيخ صبغة الله الحيدري في بغداد^(٢) فهذا القول لم يصح وقد قدمنا الكلام عليه في رحلات الشيخ محمد .

شيوخه في الأحساء :

بعد عودة الشيخ محمد من البصرة مرّ بطريقه على الأحساء . حيث أقام فيها مدة لم تطل كان خلالها نزيراً على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي الأحسائي ،^(٣) وقد جرى بينهما بعض المناقشات ، وتبادل الآراء ، وأخذ الشيخ محمد عنه وقرأ عليه .

(١) لمع الشهاب ، ص ٦ طبعة دار الملك عبد العزيز في الرياض .

(٢) عنوان المجدد في بيان أحول بغداد والبصرة ونجد ، ص ١٢٦ ، طبعة دار البصري بغداد .

(٣) تقدم التعريف به في مبحث رحلات الشيخ .

وقد وصف الشيخ محمد نفسه هذا الاجتماع الذي جرى بينهما ومادار فيه من بحوث ومناقشات فقال - رحمه الله - في رسالة له بعث بها إلى العالم المذكور عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف . جاء فيها النص التالي : «لأنني اجتمعت بك من نحو عشرين سنة ، وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث وأخرجت لي كراريس من البخاري كتبها ونقلت على هوامشها من الشروح ، وقلت في مسألة الإيمان التي ذكر البخاري في أول الصحيح : هذا هو الحق الذي أدين الله به . فأعجبني هذا الكلام ؛ لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين وذاكرتني في بعض المسائل فكنتُ أخبر لمن يتعلم مني ما من الله به عليك من حسن الفهم ومحبة الله ، والدار الآخرة»^(١) . أنتهى .

ولم يصف أحد من المؤرخين - فيما اطلعت عليه من المصادر - اجتماعهما بأكثر مما جاء في هذه الرسالة .

وحينما نرجع إلى أقوال الشيخ حسين بن غنام ، والشيخ ابن بشر - رحمهما الله - وهما من الذين كتبوا في سيرة الشيخ محمد ودعوته وتاريخهما يعتبران من المصادر الأولى في تاريخ الدعوة السلفية وأصحابها .

إذا تتبعنا أقوالهما نجدهما لم يزيذا عن كونه مَرَّ بالأحساء ونزل على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد اللطيف وخرج من الأحساء قاصداً بلدة «حريملاء»^(٢) وقولهما هذا مجمل لكنه لا ينافي كونه مكث برهة من الزمن لدى هذا العالم وتباحثا بما ورد في الرسالة المشار إليها .

وهذا لا يعني أن ماورد في هذه الرسالة هو كل الذي جرى بينهما من نقاش ودراسة . فلا يبعد أن يكون هذا جزءاً مما دار بينهما لكن الشيخ محمد - رحمه الله -

(١) الدرر السنية ، ج ١ : ٣١ .

(٢) أ - تاريخ نجد لحسين بن غنام ١ : ٧٧ ، تحقيق ناصر الدين الأسد .

ب - عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر ١ : ١٨ طبعة وزارة المعارف السعودية .

لم يذكر كل الذي جرى بينه وبين شيخه من بحث ومناقشة إما لضيق ظرف الرسالة، أو الاكتفاء بالإشارة إلى الأمور التي رغب أن يوضحها لشيخه ليوقفه على الحقيقة بعد ما نقل حساده إلى شيخه صورة مشوهة عن عقيدته ودعوته فضمن هذه الرسالة بالمطوب فقط .

وبعد عودة الشيخ من رحلته الطويلة إلى البصرة والأحساء وإلقاء عصا السير في حريملاء في العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري لازم أباه في حريملاء ، واستأنف الدراسة عليه مرة ثالثة في علم التفسير والحديث وغيرهما ، وأكثر من المطالعة ، والتأمل في مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم . عاد إلى الدراسة على والده ثالثة ولسان حاله يردد قول الشاعر العربي :

اطلب ولا تضجرن من مطلب فأفت الطالب أن يضجرا
أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

فهذه الرحلات الطويلة التي قام بها الشيخ محمد في طلب العلم قطف ثمارها بما من الله به عليه من خلق رفيع ، وعلم واسع ، وعقيدة صافية ، وسعة في الرؤية لما كان عليه أكثر الناس من الجهل ، والشرك ، والضلال ، فعقد العزم على دعوة الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له ، عزم على ذلك ولو قلَّ الناصر والمعين . وفي هذه الفترة قام بتأليف كتابه المشهور ، «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» ، وسوف نتكلم عنه وعن غيره من مصنفات الشيخ في الفصل التالي - إن شاء الله ..

الفصل الثالث :

مؤلفات الشيخ

تنقسم مصنفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - إلى قسمين :

الأول : ما يتعلق بأمور العقيدة وتحقيق التوحيد وما يناقض ذلك من الشرك وهذا القسم هو أكثر ما كتب فيه الشيخ .

الثاني : ما يتعلق بالعلوم الشرعية الأخرى ؛ في التفسير والحديث والفقه والسيرة والسلوك والآدب والفتن والحوادث وأشرط الساعة .

وقد عقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض مؤتمر أطلق عليه اسم : (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) نظم في شهر ربيع الثاني من عام أربعمئة وألف هجرية الموافق لعام ثمانين وتسعمئة وألف ميلادية وقد سبقه فترة إعداد له استغرقت أربعة أعوام .

وكان من أهداف هذا المؤتمر تقصي كُُلِّ ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتحريره وتوثيقه ، وتصنيفه على يد نخبة من أساتذة الجامعة وغيرهم .

وقد حصرت مؤلفات الشيخ ووثقت ، وصنفت على النحو التالي :

أولاً : ما يختص بالعقائد وقد حصرت في الكتب التالية :

١- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد .

٢- كشف الشبهات .

٣- ثلاثة الأصول .

- ٤- مسائل الجاهلية .
- ٥- أصول الإيمان .
- ٦- القواعد الأربع .
- ٧- فضل الإسلام .
- ٨- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد .
- ٩- ستة الأصول .
- ١٠- نواقض الإسلام .
- ١١- بطلان الشرك ومعاملة أهله .
- ١٢- إقامة الملة الحنيفية .
- ١٣- تفسير كلمة التوحيد .
- ١٤- الرسائل الشخصية .

ثانياً : أما ما يختص بالعلوم الأخرى وقد صنفنا على النحو التالي :

- ١- ما يختص بالحديث النبوي .
- ٢- أحاديث الفتن والحوادث .
- ٣- مختصر الإنصاف والشرح الكبير .
- ٤- مجموع في الفقه يحتوى على :
 - أربع قواعد تدور الأحكام عليها .
 - مبحث الإجتهد والخلاف
 - كتاب الطهارة .
 - شروط الصلاة وأركانها وواجباتها .
 - آداب المشي إلى الصلاة .
 - أحكام الصلاة .
 - أحكام تمني الموت .

٥- إبطال وقف الجنف والإثم .

٦- مختصر زاد المعاد في هدي خير العباد .

٧- تفسير القرآن

٨- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٩- كتاب الكبائر .

هذه جملة مصنفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب على وجه الإجمال وسنذكر
من التفصيل والبيان ما يتيسر عن كل كتاب إن شاء الله .

القسم الأول

ما يختص بأمور العقيدة وتحقيق التوحيد

وما يناقض ذلك من الشرك

١- كتاب التوحيد (الذي هو حق الله على العبيد):

تذكر بعض الروايات أن هذا الكتاب ألفه الشيخ -رحمه الله- خلال الفترة ما بين عودته من البصرة، وبين قيامه بالدعوة بعد وفاة والده عام ١١٥٣ هـ وذلك أثناء إقامته في حريملاء. ذكر ذلك الشيخ سليمان بن سحمان^(١).

وقد جعل أنصار الشيخ وتلاميذه يتناسخون هذا الكتاب ويوزعون نسخة على البلدان للاستفادة منه، وذلك لعدم وجود مطابع في نجد حينذاك.

ويذكر محقق كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب» الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة أنه وجد النسخة المخطوطة لكتاب «لمع الشهاب» في المتحف البريطاني ووجد برفق هذه المخطوطة نسخة خطية «لكتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب قد جعلت المخطوطتان في مجلد واحد لكن الخط فيهما مختلف مخطوطة كتابه «لمع الشهاب» بقلم حسن الريكي ومخطوطة «كتاب التوحيد» بقلم الشيخ عبد العزيز بن عبد الوهاب^(٢).

وكتاب التوحيد فريد من نوعه اشتهر ذكره لما احتوى عليه من تحقيق عقيدة التوحيد، وما ينافيه من الشرك.

لهذا لا بد أن نسخه الخطية قد تعددت، ويذكر المشرف على طبعته الأولى السيد محمد رشيد رضا أنه قابل طبعته هذه على ثلاث نسخ خطية ونسخة مطبوعة في الهند.

وكتاب التوحيد المشار إليه وضح فيه الشيخ نوعين من أنواع التوحيد هما توحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات.

(١) تبرئة الشيخين : للشيخ سليمان بن سحمان ص ٩١ الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ، مطابع المنار.
(٢) لمع الشهاب ص ١٩٨، تحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة طبعة دا الثقافة، بيروت.

أما توحيد الإلهية ؛ فلأن أكثر الأمة قد جهلوا هذا النوع من التوحيد وارتكبوا من البدع والشركيات والضلالات ما ينافيه . فوضح - رحمه الله - هذا النوع من التوحيد ليبين للناس جهلهم وضلالهم وأنهم ليسوا على شيء في التوسل بأصحاب القبور والأشجار والأحجار ، والأحياء وأن الدعاء ، والإستغاثة لا يصرفان إلا لله المتفرد بالخلق ، والرزق ، والنفع ، والضرر والإحياء ، والإماتة ، وأن هذا هو دين الله الذي دعت إليه الرسل - عليهم السلام - وضح الشيخ هذا النوع من أجل أن يرجع الناس إلى عقيدة التوحيد الخالصة .

أما توحيد الأسماء والصفات فقد تكلم عنه الشيخ في هذا الكتاب ؛ لأن عامة الناس قد انصرفوا عن تحقيقه ، وأجلب عليهم علماء الكلام حتى شبهوا الخالق بالمخلوق وعطلوا ، وحرفوا فلم يكن لهؤلاء العامة التفات إلى هذا النوع من التوحيد ليعرفوه على حقيقته ؛ فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو أعلم الخلق بربه على حد قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ لكنهم أحسنوا الظن بأهل الكلام فضلوا عن الحق وخالفوا كتاب الله وسنة رسوله ، ومذهب السلف الصالح من هذه الأمة .

وكتاب التوحيد المشار إليه يقع في سبعين صفحة من الحجم المتوسط ويشتمل على ثمانية وستين بابا .

وهي أبواب قصيرة يستطيع مكرر القراءة لها فهمها وحفظها بيسر وسهولة .

وهذا ما تم بالفعل فإن معظم المشتغلين بالعلم منذ بدء الدعوة إلى عهدنا الحاضر قد حفظوا متون هذه الأبواب وفهموا ما فيها .

فالبعض من هذه الأبواب يقع في صفحتين أو أكثر والبعض الآخر في أقل من ذلك وقد بدأ كل باب بما يناسبه من الآيات القرآنية ثم أعقبها بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب ثم يأتي بمعاني هذه الآيات والأحاديث

وكلام الثقات من أهل العلم وأخيراً يختتم الباب بمسائل عديدة قد تصل في بعض الأبواب إلى مائة مسألة .

* وقد ذاع صيت هذا الكتاب وعرفه الخاص والعام ، وتناولته أقلام العلماء بالشرح والبيان .

فقد قام عدد من أئمة الدعوة السلفية وغيرهم بشرح هذا الكتاب منهم حفيد المؤلف الشيخ سليمان^(١) بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب شرح كتاب التوحيد وسمى شرحه (تيسير العزيز الحميد)^(٢) وهو من أجود شروح هذا الكتاب وأوسعها وأنفعها .

ثم شرح كتاب التوحيد أيضاً حفيده الآخر وهو الشيخ عبد الرحمن^(٣) بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب ، وسمى شرحه (فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد)^(٤) وهو عبارة عن تهذيب وتقريب لشرح الشيخ سليمان سالف الذكر .

ثم عاد الشيخ عبد الرحمن فاختصر شرحه هذا بشرح ميسر سماه (قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين)^(٥) .

وهذه المسائل عبارة عما يستفاد من الآيات والأحاديث الواردة في الباب .

أما أسماء الأبواب فهي عناوين لتلك الآيات والأحاديث .

(١) هو الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ولد في الدرعية عام ١٢٠٠ هـ وتعلم على يد والده الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ، وعلى غيره من علماء الدرعية وتولى قضاء مكة والدرعية من مصنفاته شرحه المشهور (تيسير العزيز الحميد) وكتاب (التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق) ومشى به إلى قائد الحملة الظالمة على نجد إبراهيم باشا بن محمد علي سنة ١٢٣٣ هـ فقتله ظلماً .

(٢) طبع في مجلد سنة ١٣٨٢ هـ .

(٣) هو علامة نجد في وقته الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ولد في الدرعية سنة ١١٩٣ هـ وتعلم على يد علماء الدرعية ، وبعد سقوطها سنة ١٢٣٤ هـ رحل إلى مصر ودرس على علمائها ثم عاد إلى نجد حيث تولى القضاء في الرياض من مصنفاته شرحه المذكور (فتح المجيد) وردود أخرى أفحم فيها خصوم الدعوة السلفية ، وتوفي في الرياض سنة ١٢٨٥ هـ .

(٤) طبع في مجلد عدة مرات .

(٥) طبع في مجلد عدة مرات .

فجاء هذه الكتاب فريداً من نوعه ؛ لأن طريقة مؤلفه - رحمه الله - في ترجمة هذه الأبواب لم يسبقه إليها مؤلف آخر . حيث جمعت بين اليسر وسهولة اللفظ ووضوح المعنى فسَّهل على طالب العلم فهمها ولو كان مبتدئاً ، وهي طريقة جيدة ينشدها علماء التربية في عصرنا الحاضر .

لهذا نجد الجهات المسؤولة عن التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية قد قررت دراسة معظم أبواب هذه الكتاب في المدارس بمراحلها المختلفة وبأسلوب مؤلفه وتبويبه .

وبعد ذلك قام الشيخ حمد بن عتيق^(١) بإختصار «فتح المجيد» وسماه «إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد» والشيخ حمد من تلاميذ الشيخ عبدالرحمن ابن حسن^(٢) ، وقد طبع «إبطال التنديد» عدة طبعات آخرها الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ .

كما أن مكتبة التوحيد تحتوي على كتاب آخر للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي^(٢) عنوانه (القول السدي في مقاصد التوحيد) .

وهذا الكتاب عبارة عن تعليق على كتاب التوحيد فزاده هذا التعليق فائدة ووضوحاً وصُدِّره بمقدمة مختصرة تحتوي على مجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في أصول الدين .

وقد طبع هذا التعليق مفرداً ومجموعاً مع كتاب التوحيد .

(١) هو الشيخ حمد بن علي بن عتيق بن راشد بن حميضة ، ولد في بلدة الزلفي بنجد سنة ١٢٢٧ هـ ، وأخذ العلم عن علماء نجد فتولى قضاء الخرج فالحلوة فالأفلاج ، وجلس للتدريس فخرج على يده عدد من طلاب العلم وصنف عدة مصنفات منها «إبطال التنديد» توفي في بلدة العمار بالإفلاج سنة (١٣٠١ هـ) رحمه الله .

(٢) هو العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن سعدي الناصري ولد في عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧ هـ ، ونشأ بها وحفظ القرآن وهو صغير واشتغل بطلب العلم حتى برز في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والنحو . جلس للتدريس فأخذ عنه خلق كثير من علماء القصيم وصنف أكثر من ثلاثين مصنفاً من أجلها تفسيره المشهور «تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان» وكتاب «القول السديد في مقاصد التوحيد» توفي في عنيزة سنة ١٢٧٦ هـ ، رحمه الله .

كما أن هناك شرحاً آخر لكتاب التوحيد اسمه «الجديد» للشيخ حمد بن عبد العزيز القرعاوي أعده بأسلوب تربوي سهل ومبسط يقع في ثلاثمائة وخمسين صفحة .

وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وضع حاشية على «كتاب التوحيد» وهي حاشية جليلة مفيدة لخص فيها - رحمه الله - أقوال شراح هذا الكتاب السابقين وتوجهها بآراء مشايخه من أئمة الدعوة .

وأخيراً صدر للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين شرح لكتاب التوحيد أطلق عليه عنوان «القول المفيد في شرح كتاب التوحيد» في ثلاثة مجلدات من أنفع الشروح لكتاب التوحيد ، وأكثرها فائدة .

٢- كشف الشبهات :

هذا الكتاب على شكل رسالة طويلة اشتهر أن الشيخ - رحمه الله - كتبه حين استقر بالدرعية عام ١١٥٧ هـ .

وهو يقع في عشرين صفحة تقريباً ولم يضع له أبواباً وفصولاً كطريقته في كتاب التوحيد بل جعل أسلوبه على شكل مخاطبة .

مثال ذلك قوله : إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب^(١) ، وقوله أيضاً : وأنا أذكر لك أشياء^(٢) .

وقد بدأ - رحمه الله - هذا الكتاب ببيان معنى التوحيد ، وأنه الذي دعت إليه الرسل عليهم السلام ، وضمه أيضاً الرد على أهل الباطل ، وتفصيل هذا الرد ، وإيضاح معنى الشفاعة ، والفرق بين شرك الأولين وأهل زماننا ، وسلك في

(١) مجموعة التوحيد ص ٧٣ طبعة قطر .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٧٤ .

المحاجة ، والرد طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى والرسائل ، والموفق ابن قدامة في أصول الفقه يفرض السؤال ثم يأتي بجوابه .

مثال ذلك قوله : فإن قال - أي المعترض - النبي أعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله . فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾^(١) .

ثم ختم الشيخ هذا الكتاب ببيان أن التوحيد يكون بالقلب واللسان ، والعمل وأنه لا عذر لمن أظهر الكفر إلا لمن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان .

واستدل على جميع هذه المباحث بالأدلة الصريحة من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح فجاء في غاية الوضوح والدقة .

ويبدو أن قصد الشيخ - رحمه الله - من تأليف هذا الكتاب تعميمه على الناس في البلدان ؛ لأنه عبارة عن خلاصة لعقيدة التوحيد يستطيع فهمه كل أحد فلا يسأم منه القارئ ، ولا يمله المستمع . هذا هو موضوع هذا الكتاب .

أما من حيث طباعته فالظاهر أنه بقي مخطوطاً يتناسخه طلاب العلم في ذلك الوقت ولعل آخر نسخة منه ما كتب في شهر رجب سنة ١٣٤٥ هـ بمقابلة المشايخ محمد بن عبد اللطيف وسليمان بن سحمان وعبد الله العنقري - رحمهم الله - ضمن مخطوطة «مجموعة التوحيد» .

ثم أعقب هذه النسخة عدة طبعات الأولى عام ١٣٤٦ هـ ، بمصر بإشراف السيد محمد رشيد رضا ثم توالى الطبعات على هذا المصنف المفيد وذاك لأهمية هذا الكتاب وفائدته . أجزل الله لمؤلفة الأجر والثواب .

٣- ثلاثة الأصول :

وهو عبارة عن رسالة طويلة تقع في عشر صفحات تقريباً بين فيها الشيخ - رحمه الله - أحكام الإسلام التعبدية بعبارة سهلة موجزة وقرن كل حكم بدليله من القرآن والسنة فبدأ الأصل الأول بأربع مسائل من وجوب العلم ثم العمل به ثم الدعوة إليه والصبر على الأذى فيه ، وقرن ذلك بالأدلة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ثم ختم هذا الأصل بوجوب معرفة العبد ربه على هيئة سؤال وجواب ، وكل جواب معزز بدليله من القرآن .

أما الأصل الثاني فقد تحدث فيه عن التعريف بدين الإسلام وأركانه وقد جعله على ثلاث مراتب المرتبة الأولى ذكر فيها الإسلام ، وأركانه والمرتبة الثانية ذكر فيها الإيمان وأركانه والمرتبة الثالثة ، ذكر فيها الإحسان وأركانه .

أما الأصل الثالث فقد ذكر فيه التعريف بالنبي صلى الله عليه وسلم فذكر في أول هذا الأصل شيئاً من نسبة عليه أفضل الصلاة والسلام وأورد الأدلة القاطعة على صدق رسالته ونبوته ، ثم أعقب ذلك بطرف من سيرته في مكة وهجرته إلى المدينة ، ثم ضَمَّنَ هذا وجوب الإيمان بوقوع البعث بعد الممات وذكر الأدلة على ذلك ، وبيّن مهمة الرسل عليهم السلام وهي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وإخلاص العبادة له .

ثم ختم هذا الأصل بذكر الطواغيت والتحذير منها وعدم صرف شيء من العبادة لها .

وقد طبعت هذه الرسالة ضمن «مجموعة التوحيد» عشرات المرات وطبعت مفردة ليسهل تناولها لا سيما لصغار التلاميذ ؛ لأنها مقررة ضمن منهج مادة العلوم الشرعية بالمرحلة الابتدائية .

ولأهمية هذه الأصول وإقبال الطلاب على حفظها، رأى الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم أن الحاجة داعية إلى شرحها وتوضيح ألفاظ ومعاني هذه الأصول فشرحها بأسلوب واضح ومفيد مع المحافظة على نص كلام المصنف، وجعل بعضه متصلاً ببعض في أعلى الصفحة والرمز لشرحه في أسفل الصفحة.

وسمى شرحه هذا «حاشية الأصول»، يقع في مائة صفحة، وقد طبع عدة مرات.

٤- مسائل الجاهلية :

هو عبارة عن رسالة تقع في عشر صفحات.

ويبدو أن الشيخ - رحمه الله - قد أوجز الكلام فيها؛ لأنه وضعها من أجل التذكير بما عليه أهل الجاهلية ليسهل على القارئ إدراك ما فيها أو جعلها رؤوس أقلام ليتوسع فيها في يوم ما.

وقد تناول في هذه الرسالة المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية سواء كانوا كتابيين أو أميين.

وقد احتوت على مائة وتسع وعشرين مسألة. بدأ المسألة الأولى ببيان إشراكهم الصالحين في العبادة، والدعاء وطلب الشفاعة منهم وقد استدل على كل مسألة بآيات من القرآن الكريم.

ثم ختم هذه المسائل ببيان أنواع من معتقداتهم الباطلة التي كانوا يعتقدون أن لها تأثيراً كالطيرة^(١) والعيافة^(٢) والطرق^(٣) والكهانة^(٤).

(١) الطيرة: من التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما من الشرك.

(٢) العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وهي من عادات الجاهلية المذمومة.

(٣) الطرق: الخط يخط في الأرض أو الضرب بالحصى للاستدلال بها على بعض الأمور الغيبية وهذا الفعل محرم.

(٤) الكهانة: دعوى الإخبار عن المغيبات في المستقبل وهو من عمل الشياطين المنهي عنه فلا يعلم الغيب إلا الله.

وقد طبعت هذه الرسالة ضمن «مجموعة التوحيد النجدية» بمصر بإشراف السيد محمد رشيد رضا سنة ١٣٤٦ هـ على نفقة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - ثم تبع ذلك عدة طبعات بمصر ودمشق .

وقد شرح هذه الرسالة السيد محمود شكري الألوسي متناولا في شرحه بيان معانيها فجاء شرحه إتماماً للعمل الذي ربما قصده الشيخ في التوسع فيها فيما بعد .
وقد طبع هذا الشرح في مصر عام ١٣٤٧ هـ في مائة وخمسين صفحة .

هـ - أصول الإيمان :

هذا الكتاب عبارة عن نبذة في أهم أمور الدين ، وخاصة أمور العقيدة ، وهو كغيره من مؤلفات الشيخ يميل إل القصر والاختصار فلا تزيد صفحاته عن عشر من القطع المتوسط ، ويشتمل على تسعة أبواب أورد الشيخ - رحمه الله - في كل باب ما يناسبه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ثم ختم هذا الكتاب ببيان فضل العلم ، وما أعد الله لطالبه من الثواب ، والحث على تعلم العلم النافع وما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من اخلاص النية في طلبه ، والصدق فيما يرويه ، وبذله لمحتاجه ، وبين - رحمه الله - أن العلم يقبض ويرفع ؛ وذلك بهلاك العلماء .

وهذا الكتاب قد طبع بجانب كتاب «الكبائر» ضمن مجموعة من الكتب طباعة هندية ثم طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ضمن مؤلفات الشيخ .

١ - القواعد الأربع :

هذه القواعد عبارة عن رسالة قصيرة لا تزيد عن أربع صفحات وهي سهلة اللفظ واضحة المعنى ربما كان قصد الشيخ - رحمه الله - من إعدادها تقريبها لأذهان العوام من المسلمين لعل الله أن ينفع بها .

وقد افتتح هذه الرسالة ببيان عنوان سعادة الإنسان ، ثم ذكر معنى الملة الحنيفية .

أما القاعدة الأولى فقد ذكر فيها أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون أن الله هو الخالق الرازق ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام بسبب الشرك مع الله في العبادة .

وأما القاعدة الثانية فذكر فيها أن هؤلاء الكفار يدعون الأولياء والصالحين مع الله ، ويقولون : ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة منهم عند الله ، وقد ختم هذه القاعدة بذكر نوعي الشفاعة وانها مثبتة ومنفية وأن المثبت منها ما كان صادراً عن أذن الله له في الشفاعة ورضى الله قوله وفعله .

أما القاعدة الثالثة فذكر فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر وبعث في قوم متفرقين في عبادتهم منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار والكواب فقاتلهم ولم يفرق بينهم .

أما القاعدة الرابعة : فذكر فيها أن مشركي زماننا أغلظ وأشد شركاً من أهل الجاهلية ؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ، ويخلصون في الشدة أما مشركو زماننا فشركهم دائم في الرخاء والشدة .

وقد استدل على كل فقرة بما يناسبها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

فهذه القواعد عظيمة النفع كثيرة الفائدة ، وقد طبعت بمصر ضمن مجموعة الأصول الثلاثة وشروط الصلاة بتعليق الشيخ محمد منير عبده الدمشقي ، كما طبعت ضمن مجموعة التوحيد .

٧- فضل الإسلام :

هي عبارة عن رسالة تقع في خمس عشرة صفحة .

وقد ضمنها - رحمه الله - اثني عشر باباً البعض منها طويل ، والبعض الآخر قصير أورد فيها كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فطول كل باب وقصره بحسب ما ورد فيه من النصوص .

وكلها تبحث في أصول الإسلام الكلية حيث صدرها بالآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١) .

وأول هذه الأبواب (باب فضل الإسلام) وآخرها (باب التحذير من البدع) وقد طبعت هذه الرسالة أولاً بالهند ، ثم طبعت للمرة الثانية ضمن «مجموعة الحديث النجدية» بمصر سنة ١٣٤٢ هـ ثم تلى ذلك عدة طبعات ضمن «مجموعة الحديث النجدية» .

٨- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (٢) :

هذا الكتاب يقع في حوالي أربعين صفحة .

وسبب تأليف الشيخ له أنه لما وقع بعض الارتياح لدى من يدعي العلم من أهل العيينة بسبب تنكر أهل حريملاء للدعوة طلب من الشيخ أن يكتب كلاماً في هذا المعنى لعل الله أن ينفع به فقام - رحمه الله - بإعداد هذه الرسالة على شكل كتاب (٣) .

(١) الآية ٣ من سورة المائدة .

(٢) وهناك نسخة مخطوطة لهذه الرسالة بقلم عبد العزيز بن عبد الرحمن بعنوان « كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب على حديث عمرو بن عبسة ، محفوظة في مكتبة الرياض السعودية .

(٣) أنظر تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ٤٢٩ (الرسالة ٢٦) تحقيق ناصر الدين الأسد .

وقد بدأه بحديث عمرو بن عبّسة السلمي الذي يقول فيه «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلال وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان.. إلخ^(١)».

ثم ذكر نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن مشابهة الكفار ولو تغيّرت النيات، ثم تكلم عن حكم أكل لحم ماذبح لغير الله.

ثم ذكر أن سبب الوقوع في الشرك قديماً وحديثاً تعظيم أصحاب القبور.

فبسط القول في ذلك موضحاً أنواع الشرك الأكبر والأصغر، وضرب الأمثلة على ذلك.

ثم ذكر إباحة قتال ما نعي الزكاة، ووجوب معاداة أعداء الله ومولاة أحبابه وذم البدع وأهلها.

وأخيراً ختم الكتاب برسالة أجاب فيها شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية بعض أحبابه حول أكل الحشيشة.

فالكتاب جيد في مادة واضح المعنى والمطلب، عززت مسأله بالأدلة من القرآن والسنة وكلام السلف وأهل العلم.

وقد بقى الكتاب مخطوطاً تتناقله أقلام طلبة العلم من أهل نجد حتى عام ١٣٧٣هـ حيث طبع في مصر بإشراف الأستاذ عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ.

٩- سنة الأصول :

هذه الأصول الستة تقع في رسالة قصيرة لا تزيد عن ثلاث صفحات بدأها رحمه الله بقوله : من أعجب العجائب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الله الملك

(١) رواه مسلم ج ٢ : ٢٠٨ .

الغلاب ستة أصول بينها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون ثم بعد هذا غلط فيها أذكاء العالم وعقلاء بني آدم إلا أقل القليل .

وقد ذكر الشيخ في الأصل الأول من هذه الأصول إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له وبيان ضده .

أما الأصل الثاني فذكر فيه أمر الله بالاجتماع في الدين ، والنهي عن التفرق .

أما الأصل الثالث فذكر فيه وجوب السمع والطاعة لولي الأمر .

أما الأصل الرابع فقد ذكر فيه بيان العلم والعلماء والفقهاء ومن تشبه بهم وهو ليس منهم .

أما الأصل الخامس ، فقد وضح فيه أولياء الله وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعداء الله والمنافقين والفجّار .

أما الأصل السادس ففيه رد السنة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن ، والسنة النبوية ، وإتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة .

والسنة التي وضع الشيطان هي دعوى أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق الموصوف بكذا وكذا أو صافاً لعلها لا توجد تامة في أبي بكر وعمر .

وقد أفاض الشيخ - رحمه الله - القول في هذه الأصول الستة بما فتح الله عليه مستدلاً بالآيات القرآنية ، فجاءت هذه الأصول الستة عظيمة مفيدة ، وقد طبعت للمرة الأولى ضمن كتاب «مجموعة التوحيد النجدية»^(١) بمصر على مطابع المنار سنة ١٣٤٦ هـ بإشراف السيد محمد رشيد رضا ثم تلى ذلك عدة طبعات .

١٠ - نوافض الإسلام العشرة .

(١) مجموعة التوحيد النجدية ، ط ١ ، ص ١٣٨ .

١١- بطلان الشرك ومعاملة أهله .

١٢- إقامة الملة الحنيفية .

توجد بعض الرسائل القصيرة للشيخ - رحمه الله - .

منها «نواقض الإسلام» ومنها «بطلان الشرك ومعاملة أهله» ومنها «إقامة الملة الحنيفية» .

وقد عدّ نواقض الإسلام فأوصلها إلى عشرة نواقض أولها الشرك بالله وآخرها الإعراض عن دين الله فلا يتعلمه ولا يعمل به^(١) .

أما رسالة بطلان الشرك ومعاملة أهله ، فقد ذكر أنها عشر درجات أولها أن دعوة غير الله فيما لا يطلب إلا من الله تعالى باطلة .

وآخر هذه الدرجات أن الداعي لغير الله من هذا النوع لا تقبل منه الجزية كما تقبل من اليهود والنصارى ؛ لأنه أغلظ كفرهم .

أما ما يتعلق بإقامة الملة الحنيفة ، فقد أورد الشيخ حالات تتعلق بهذا المعنى مستشهداً بالآية الكريمة ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢) .

فذكر ثمان حالات أولها ترك عبادة غير الله مطلقاً ، وآخرها إن ظن سلامته من ذلك لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله إن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين^(٣) .

وقد طبعت هذه الرسائل ضمن كتاب «مجموعة التوحيد النجدية» بمصر عام ١٣٤٦ هـ بإشراف السيد محمد رشيد رضا .

(١) أنظر ذلك في مجموعة التوحيد ص ١٣٦ الطبعة الأولى .

(٢) الآية ١٠٥ من سورة يونس .

(٣) هذا القول فيه ركاه ولا يكاد يفهم معناه .

ويقول الناشر لكتاب «مجموعة التوحيد النجدية» السيد محمد رشيد رضا : إن الأصل ورد هكذا ، ولا شك أن في الكلام تحريفاً ، وسقطا ربما كان سببه أن بعض العوام نقل بعضهم عن بعض فأسقطوا أو غيروا ولم توجد نسخة صحيحة بخط المؤلف . انتهى .

١٣- تفسير كلمة التوحيد :

تفسير هذه الكلمة جعله الشيخ - رحمه الله - في رسالة قصيرة لا تزيد عن خمس صفحات وقد أعدها جواباً لسؤال عرض عليه .

فذكر في أول هذه الرسالة أن هذه الكلمة هي الفارق بين الكفر والإسلام ثم جعل يعدد أسماء هذه الكلمة كالعروة الوثقى وكلمة باقية . . إلخ .

ثم ذكر أنه ليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها فبسط القول في شرح معاني هذه الكلمة وما يضادها من الشرك وأنها متضمنة للنفي والإثبات . ثم ختم الكلام على ذلك بالآية الكريمة ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا تَجَنَّكُمُ إِلَى الْبِرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ (١) .

ثم جعل يندد بأولئك الذين يستغيثون بأصحاب القبور والطواغيت فجاء هذا الشرح لهذه الكلمة العظيمة كافياً شافياً تستشف منه حرصه الشديد على ذود الناس عن مراتع الهلكة .

وقد طبعت هذه الرسالة ضمن كتاب «مجموعة التوحيد النجدية» طبعتها الأولى بمصر سنة ١٣٤٦ هـ بإشراف السيد محمد رشيد رضا .

١٤- الرسائل الشخصية :

من خلال فعاليات (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله) المشار إليه سابقاً حرصت أمانة هذا المؤتمر على تقصي كل ما نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب من مؤلفات ورسائل وتحقق نسبتها إليه ، وتوثيقها .

(١) الإسراء : ٦٧ .

وقد توفر لديها مجموعة من رسائل الشيخ الشخصية التي كان - رحمه الله - يبعثها إلى أشخاص معينين أو إلى جماعة من المسلمين يشرح فيها حقيقة ما هو عليه ، وما يعتقده ، وبيان منهجه في دعوته - المباركة - وما يدعو الناس إليه .

وقد يردُّ في بعضها على بعض الشبه والافتراءات المنسوبة إليه من قبل معارضيهِ .

وذكر القائمون على هذا المؤتمر أن هذه الرسائل أخذت من مصادر أصلية في تاريخ حياة الشيخ ودعوته مثل :

- ١- تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام .
- ٢- ما هو محفوظ في مكتبة الرياض السعودية في قسم المخطوطات .
- ٣- مجموعة الفتاوى المعروف بـ (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) التي قام بجمعها وتوثيقها الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - رحمه الله - .

والكتاب الذي نتحدث عنه (الرسائل الشخصية) للشيخ محمد بن عبد الوهاب قُسم إلى خمسة أقسام هي :

- ١- في بيان عقيدة الشيخ ، وحقيقة دعوته ، ورد ما ألصق به من التهم الباطلة .
- ٢- بيان أنواع التوحيد .
- ٣- بيان معنى لا إله إلا الله ، وبيان ما يناقضها من الشرك .
- ٤- بيان الأشياء التي يكفر مرتكبها ويجب قتاله .
- ٥- توجيهات عامة للمسلمين في الاعتقاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد طبع هذا المجموع ضمن مؤلفات الشيخ في (٣٢٨ صفحة) .

وتصنيفه يأتي ضمن ما ألفه الشيخ في العقيدة وتحقيق التوحيد وما يناقضه .

القسم الثاني

ما يختص في العلوم الشرعية الأخرى

من خلال فعاليات أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب حصر ما صنفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العلوم الشرعية عدا العقائد في الفنون التالية :

أولاً : الحديث النبوي الشريف :

وضع هذا القسم في أربعة أجزاء تقع في أربعة مجلدات ، رتبت موضوعاته على أبواب الفقه - كعادة الفقهاء في التأليف - تبدأ باب الطهارة وتنتهي باب الطب .

وقد بلغت أحاديث ، وآثار هذا القسم أربعة آلاف وخسمائة وواحد وأربعين حديثاً . كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - انتقاها من مصادر السنة النبوية الصحيحة مثل الكتب الستة ، والسنن والمسانيد الأخرى وقد توسع الشيخ في ذكر الأحاديث ، والآثار المتعلقة بكل موضوع .

وامتاز عمله عن غيره ممن سبقه بذكر مذاهب أئمة المسلمين ، ونقل الإجماع في كثير من المسائل .

كما اعتنى عناية فائقة ببيان درجة كل حديث تصحيحاً وتضعيفاً .

وقد أحسن القائمون على أسبوع الشيخ بجمع موضوعات هذا القسم وحصرها وعزوا الأحاديث إلى مصادرها بالجزء والصفحة والباب .

ثانياً : أحاديث الفتن والحوادث :

هذا الكتاب مخطوط يقع في (٤١) صفحة مقاس متوسط في كل ورقة (٢١) سطراً ، وهو غير مبوب عبارة عن مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي رويت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الفتن والحوادث التي ستكون بعده الى آخر الزمان .

وقد بدأ هذه المجموعة بحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسّى كافراً ويمسّى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا) رواه مسلم^(١).

ثم أخذ يسرد الأحاديث الواردة في هذا المعنى وختم هذه المجموعة بحديث جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة) وله من حديث جابر بن عبد الله قال : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق) رواه مسلم^(٢).

وهذه النسخة بقلم أحمد بن حسن بن ثويمر يذكر أنه نقلها من خط المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي بخط متوسط خالية من التاريخ مسجلة ومحفوظة بمكتبة الرياض السعودية في قسم المخطوطات تحت رقم ٥٢٥ / ٨ .

وقد بقيت مخطوطة حتى عام ١٤٠٠ هـ حيث تم تحقيقها وتبويبها وطبعها ضمن مؤلفات الشيخ محمد من خلال فعاليات (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) الذي عقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ثالثاً: مختصر الإنصاف والشرح الكبير :

هذا الكتاب اختصار لشرح كتاب «المقنع» الذي صنّفه الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامه^(٣) - رحمه الله - وهو من جملة كتب ومصادر فقه المذهب الحنبلي ، وله شهرة كبيرة لدى طلاب العلم والعلماء لان مؤلفه - رحمه الله - أطلق أكثر مسائله على روايتين ليعود القارئ طريقه الترجيح في مسائل الخلاف فجاء هذا المؤلف درة في عقد مصنفات الفقه الحنبلي .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٢، ٢: ٣٣١ طبعة الأزهر.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٣: ٦٦ طبعة الأزهر.

(٣) المتوفى سنة ٦٢٠ هـ.

وكتاب مثل هذا لا بد أن ينال عناية العلماء ، لهذا نجد عدداً منهم قد تناولوه بالشرح والتبيين .

فمن هؤلاء الشراح الشيخ العلامة أبو الفرج بن أبي عمر بن قدامة^(١) - رحمه الله - قام بشرح هذا المصنف مستمداً شرحه من كتب الفروع كالمغني وغيره وقد سمى شرحه هذا بـ «الشافى» .

وفعلاً طابق مسماه فمنه يرتوي كل طالب عالم حيث حوى من المسائل والتوجيهات والفوائد أشياء قلما توجد في غيره ، وقد عرف هذا الشرح لدى العلماء بالشرح الكبير .

كما أن العلامة علاء الدين أبا الحسن علي بن سليمان المرداوي^(٢) - رحمه الله - قام أيضاً بشرح كتاب «المقنع» المشار إليه ؛ فبين في شرحه الصحيح من المذهب ، وما قيل في كل مسألة من أقوال الأئمة وكلام أصحاب الإمام أحمد عليها ، وقد سمى شرحه بـ (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف) .

ولما ضعفت الهمم لدى طلاب العلم ، وانفتح على الناس باب الاشتغال في أمور الدنيا ، وقل المشتغل بكتب المطولات رأى إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - أن الحاجة داعية إلى الرجوع إلى هذا المؤلف وشروحه فقام باختصار هذين الشرحين ليسهل على القارئ إدراك معانيهما وقد نهج في مختصره بتصدير كل باب من أبواب الكتاب بما رأى من الفوائد الواردة في الشرح الكبير «الشافى» وختم الباب بشيء مما استحسنه من كتاب «الإنصاف» بأسلوب منسبك يكمل بعضه بعضاً .

ولأصل هذا المختصر عدد من النسخ المخطوطة إحداها بقلم سعد بن محمد مؤرخة في الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة من عام (١٢٢٤هـ) يذكر ناسخها أنه كتبها لمرشد بن أحمد بن هوين (لعله ابن عوين) .

(١) المتوفى سنة ٦٨٢هـ .

(٢) المتوفى سنة ٨٨٥هـ .

وقد ظلت هذه النسخة محفوظة حتى وفق الله الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ إلى إخراجها للنشر فقام - رحمه الله - بطبعها على نفقته الخاصة .

والكتاب المشار إليه كما أسلفت يبدأ بباب المياه وينتهي بباب الإقرار متضمناً أحكام العبادات ، والمعاملات ، والجنايات فجاء هذا المختصر فريداً من نوعه ضمن سلسلة مراجع الفقه الحنبلي لا يصعب على المبتدئ ولا يستغني عنه المنتهي .

وأخيراً طبعته جامعة الإمام ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٤٠٠ هـ في مجلد كبير بلغت صفحاته ٧٩٢ صفحة .

رابعاً: مجموع في الفقه يحتوى على الكتب القصيرة التالية:

- أربع قواعد تدور الأحكام عليها .
- مبحث الاجتهاد والخلاف .
- كتاب الطهارة .
- شروط الصلاة وأركانها وواجباتها .
- آداب المشي إلى الصلاة .
- أحكام الصلاة .
- أحكام تمني الموت .

وهذه الكتب رغم قصرها إلا أنها من أنفع المتون المختصرة في فقه العبادات لسهولة لفظها ، ووضوح معناها ، ويبدو أن الشيخ - رحمه الله - كتبها لصغار المتعلمين .

والبعض من هذه الكتب طبع مرات كثيرة ، وقرر تدريسها في المرحلة الأولية من التعليم في المملكة العربية السعودية لفائدتها وكثرة نفعها .

وأخيراً طبع هذا المجموع ضمن مؤلفات الشيخ محمد في عام ١٤٠٠ هـ في مائتين وأربعين صفحة محقق وموثق .

خامساً : إبطال وقف الجنف والإثم :

هذه رسالة للشيخ - رحمه الله - تقع في عشر صفحات تقريباً وهي عبارة عن جواب على الشبه التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والإثم .

فذكر الشيخ في أول هذه الرسالة موقف السلف الصالح من الوقف الذي يراد به وجه الله على غير ورثة الموقوف ، كالوقف على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل ، وساق خلافهم في ذلك وأدلتهم وذكر أن هذه الصورة من الوقف ليست كالصور التي يزعمها من أجاز وقف الجنف والإثم .

فالصورة التي يريدونها أهل هذه الشبه هي إرادة الإنسان أن يقسم ماله على هواه فراراً من قسمة الله وتمرداً على دينه كان يوصى ألا ترث امرأته من هذا النخل ولا تأكل منه إلا حياة عينها أو زيادة حق بعض الأولاد على بعض فرار من وصية الله بالعدل . . إلخ .

ثم أخذ يناقش هذا النوع من الوقف والأدلة عليه مبيناً وجه الحق في الأدلة المروية عن السلف في الوقف قولاً وفعلاً ، وبالتالي أبطل الزعم القاتل بجواز هذا النوع من الوقف الذي لم يراع فيه وصيه الله ورسوله بالعدل .

وقد طبعت هذه الرسالة ضمن كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»^(١) الذي جمعه الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .

كما طبعت هذه الرسالة ضمن كتاب «تاريخ نجد»^(٢) للشيخ حسين بن غنام . ثم أوردها كل من الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في كتابه «مشاهير

(١) الدرر السنية ج ٥ : ٢٥٦ طبعة دار الإفتاء السعودية .

(٢) تاريخ نجد ص ٣١٥ .

علماء نجد وغيرهم»^(١) والأستاذ عبد الله بن سعد بن رويشد في كتابه «الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب»^(٢).

سادساً : مختصر زاد المعاد :

كتاب «زاد المعاد في هدى خير العباد» أصل هذا الكتاب من مصنفات العلامة شمس الدين بن قيم الجوزة وهذا المصنف من أشهر مصنفاته - رحمه الله - عرض فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سلوكه وتصرفاته العامة والخاصة منذ نشأته إلى أن توفاه الله .

فجاء هذا الكتاب لأول مرة وضاعة ، في مراجع السير والتراجم والأخبار والأحكام فوصف في هذا الكتاب حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلوب واضح ومختصر ظاهر .

ثم جاء إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب فانتقى من هذا الكتاب ما رأى الحاجة ماسة إليه لما يلائم حالة أهل نجد في عصره لتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلم عن هديه صلى الله عليه وسلم في الوضوء وما يقصد منه وهو الصلاة فريضة ونافلة فرداً وجماعة وما يلزم لذلك من تكبير وقراءة وركوع وسجود ، ودعاء ثم أعقب ذلك بذكر هديه - عليه أفضل الصلاة والسلام - في الزكاة ومن كان يأخذها منهم ومن يدفعها إليهم ، والأموال الواجب فيها الزكاة ، ثم ذكر الحج والعمرة موضحاً إحرامه ودعائه وهديه ووقوفه ، ثم ذكر آدابه العامة من استئذان وسلام وتشميت عاطس ، ثم ذكر طرفاً من هديه في الدعوة والهجرة ومعاملته للمشركين والكفار والمنافقين وجهاده وغزواته فذكر ذلك غزوة غزوة ثم ذكر علاجه - صلى الله عليه وسلم - للأمراض النفسية والبدنية التي يصاب بها العبد

(١) مشاهير علماء نجد ص ٣٤ .

(٢) الإمام محمد بن عبد الوهاب ج ٢ : ٢٦٤ .

ثم ختم الكتاب بأحكامه - صلى الله عليه وسلم - في القضايا وقسمة الأموال والوفاء بالعهد وأحكام النكاح وما يتعلق به من شروط وواجبات .

وهذا المختصر يقع في أربعمئة صفحة من القطع الوسط وقد بقي مخطوطاً تتناسخة الأقلام من أبناء الشيخ وأحفاده وأتباعه حتى ظهر إلى عالم النشر فطبع طبعته الأولى في بيروت عام ١٣٩١ هـ بإشراف السيد زهير الشاويش .

ثم طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من خلال فعاليات مؤتمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي عقد في عام ١٤٠٠ هـ وقد بلغت صفحاته (٣٥١) صفحة بعد تصحيحه ومقابلته على أصوله .

سابعاً تفسير القرآن الكريم :

هذا العنوان تناوله الشيخ محمد - رحمه الله - في موضوعين .

١- في كتاب «فضائل القرآن» :

ذكر فيه الترغيب في دراسة القرآن الكريم تلاوة ، وحفظاً وفهماً لمعانيه ، وما فيه من أحكام ، والتحذير من هجره أو المرات فيه .
وهذا الكتاب يتضمن ثمانية عشر باباً ويقع في أربعين صفحة .

٢- تفسير بعض آيات من بعض سور القرآن :

وهذا التفسير يبدأ من (سورة الفاتحة) وينتهي بـ (سورة الناس) حسب عادة المفسرين .

لكن الشيخ - رحمه الله - يتناول بعض آيات بعض سور القرآن دون الكل .

وبطريقة تختلف عن طريقة المفسرين فيأتي بالآية ثم يختتمها بمسائل قد تصل في بعض الآيات إلى خمسين مسألة .

وهذه المسائل عبارة عن أحكام تؤخذ من الآية منطوقاً أو مفهوماً .

ومخطوطة هذا الكتاب الموجودة في مكتبة الرياض السعودية تحت رقم ٥١٦ / ٨٦ تحمل عنوان : (استنباط القرآن) .

وقد يسميه البعض «مختصر تفسير ابن كثير» لكنه يختلف عنه كثيراً حيث ان ابن كثير - رحمه الله - يتناول جميع آيات السورة ويشمل جميع سور القرآن الكريم .

أما ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكما ذكرنا يتناول البعض دون الكل وقد طبع هذا السفر ضمن مجموع (الدرر السنية) ^(١) .

وفي عام (١٤٠٠هـ) أعيد طبعته مع كتاب «مختصر زاد المعاد» في مجلد واحد ضمن مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد بلغت صفحات هذا التفسير (٣٩٦) صفحة .

ثامناً : مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم :

منذ ظهور الإسلام اهتم المؤرخون وأصحاب السير بتدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصنفوا في ذلك المطولات من الكتب .

ومن أشهر من كتب في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ابن إسحاق ^(٢) وابن هشام ^(٣) .

ولما رأى إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الجهل قد عمّ في معظم البلاد الإسلامية ، وقل العارف بما كان عليه سيد البشرية محمد - صلى

(١) انظر الجزء (١٠) طبعة دار الإفتاء .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن يسار ولد في المدينة سنة ٨٥هـ وتوفي في بغداد سنة ١٥٢هـ .

(٣) هو عبد الملك بن هشام الحميري توفي سنة ٢١٨هـ .

الله عليه وسلم - خلقاً وسلوكاً عمداً - رحمه الله - إلى تدوين سيرته مراعيًا في ذلك ما يفي بالغرض ، ويقلل من الجهد والوقت إذ الهمة قد ضعفت ، والإشتغال في طلب المعيشة يتطلب أكثر الوقت فقدّم هذه السيرة الفذة بشكل مختصر خالية من الروايات المكذوبة التي جعل المستشرقون منها طريقاً لإيراد شبههم فما قصة (الغرائق) ^(١) إلا نموذجاً من هذه الأكاذيب ، قصد منها تشكيك المسلم في مصدر عقيدته فحرص الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على تقديم هذه السيرة بشكل مختصر يفي بالغرض ولا يخل بالمطلوب .

فقد تناول في أول هذا المختصر ما كانت عليه الأمم السابقة مستشهداً بقصة - آدم عليه السلام - مع إبليس لعنه الله وقصة نوح مع قومه ثم ذكر عمارة البيت الحرام ، وتولي إبراهيم وإسماعيل له ثم ذكر قصة عمرو بن لحي الخزاعي وتغييره لدين إبراهيم واستحداث عبادة الأصنام ، ثم ذكر بعض الإرهاصات التي حدثت قبل ولادة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ثم تحدث عن رضاعه ، وتربيته ، وشبابه ، وزواجه بخديجة بنت خويلد - رضي الله عنها .

وبعد ذلك تكلم عن علامات النبوة ، وبدء الرسالة ونزول الوحي والإسراء والمعراج ، وبدء الدعوة في مكة وما لقيه بسبب ذلك من الأذى ، ثم تحدث عن الهجرة إلى المدينة وبناء المسجد ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، وبعد ذلك تحدث عن حوادث ، ووقائع كل سنة مبتدئاً بالسنة الأولى من الهجرة حتى السنة العاشرة حيث وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم مشيراً في كل عام إلى أهم ما حصل فيها من وقائع وحوادث .

وبعد ذلك تكلم عن خلافة أبي بكر وأخذ البيعة له ، وحروب الردة ثم جعل يتكلم عن حوادث السنين ابتداء من السنة الثانية عشرة حتى سنة الستين مشيراً إلى أهم ما حصل فيها من وفيات ، ووقائع .

(٣) قصة مكذوبة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - نسج المستشرقون حولها كثيراً من الافتراءات والدعاوى الباطلة .

وأخيراً ختم الكتاب بشيء من الخلافة العباسية وكيفية بدء تأليف الكتب ، وهذا المختصر يقع في مائتين وخمسين صفحة تقريباً .

والذي يظهر أن الشيخ رحمه الله كتبه أثناء إقامته في الدرعية ، وقد بقي مخطوطاً حتى عام (١٣٧٥هـ) حيث طبع بمصر بإشراف الأستاذ محمد حامد الفقي ، اعتمد في هذه الطبعة على نسخة مخطوطة بقلم الشيخ سليمان بن سحمان كتبت في شهر رجب عام (١٣٠٩هـ) .

ومن خلال فعاليات (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٠٠هـ) طبع هذا الكتاب ضمن مؤلفات الشيخ وقد بلغت صفحاته ٣٣٨ صفحة .

كما ضم إليه فتاوى ومسائل سئل عنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في موضوعات مختلفة فأجاب عنها بالتفصيل .

وقد بلغت صفحات هذه الفتاوى والمسائل واجاباتها (١٤٤) صفحة .

تاسعاً : كتاب الكبائر :

هذا الكتاب قصير المادة فلا تزيد صفحاته عن ست وعشرين صفحة لكنه عظيم النفع والفائدة ، وموضوعه التقرير والتحذير من ارتكاب الذنوب ، والآثام . فهو في الواقع تهذيب للنفوس ، ودروس وعبر لأولئك الذي أطلقوا ألسنتهم وجوارحهم في أعراض الناس ، فاستباحوا حرمة الله بالقول والعمل .

وقد بذل مؤلفه - رحمه الله - جهداً واضحاً تجلت فيه أحكام شريعة الإسلام في معالجة آثار الجريمة ومكافحتها .

وقد تضمن هذا الكتاب بعض ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي فيها الزجر والتخويف من ارتكاب الكبائر والذنوب .

والكتاب محبوب كغيره من مؤلفات الشيخ ، فقد اشتمل على أكثر من مائة باب لكنها أبواب قصيرة جداً يبدأ الباب بما ورد فيه من الآيات ثم يعقبها بما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع ثم ينتقل إلى الباب الآخر وهكذا .

فطول كل باب وقصره بحسب ما ورد فيه من نصوص . وهذه الأبواب عبارة عن عناوين لتلك الآيات ، والأحاديث .

وهذه طريقة سلكها - رحمه الله - في معظم مصنفاته ورسائله .

وقد بدأ هذا الكتاب بباب أكبر الكبائر وهو الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور ، ثم بين كبائر القلب من قسوة ، وضعف ، وفساد ومرض وموت ثم ذكر التحذير من إعجاب المرء بنفسه ، وقصده من العمل الرياء والسمعة ، ثم حذر من آفات اللسان ؛ من الكذب ، والقذف ، والغيبة ، والنميمة والمدح الكاذب ، والمخاصمة بالباطل إلى غير ذلك مما يندرج في هذا الباب ، ثم ختم هذا الكتاب بما ورد في أخوة الإسلام وحق المسلم على المسلم مستشهداً على ذلك بالآية الكريمة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحْ خَوَابِينَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ^(١) .

وهذا الكتاب قد طبع طبعة هندية ضمن مجموعة من الكتب لعدد من الأئمة لكن لم يوضح تاريخ طباعته ولا نوع المخطوطة التي اعتمد عليها في طباعته .

ثم طبع ضمن كتاب (مجموعة الحديث النجدية) بمصر سنة ١٣٤٢ هـ بإشراف الأستاذ السيد محمد رشيد رضا - رحمه الله - .

هذه إطلاله سريعة على مصنفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عرفنا بها القارئ على وجه الإجمال وبقدر المستطاع .

(١) الآية ١٠ من سورة الحجرات .

ومن رغب الاطلاع عليها بتوسع فهي - ولله الحمد - موجودة ، ومبدولة قد طبعت مرات عديدة مجموعة ، ومفردة ، وتوزع مجاناً - في أغلب الأحوال - من قبل جهات متعددة رغبة في الثواب ، وتعميماً لفائدتها ، نفع الله المسلمين بها وجزى الله مؤلفها ، وناشرها خير الجزاء .

الفصل الرابع :

في عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونهاية حياته ووفاته ، وما قيل في رثائه

أولاً : عقيدته :

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أصول الدين وفروعه .
معتقد هذا الإمام في أصول الدين معتقد أهل السنة والجماعة ؛ على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته - رضي الله عنهم - والتابعون ، لهم بإحسان ، ومن جاء بعدهم من الأئمة الأعلام ؛ أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الهدى مثل سفيان الثوري وابن عينة وابن المبارك ، وأصحاب السنن والمسانيد ؛ البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والتزمذي وابن ماجه وابن خزيمة والطبراني ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية والذهبي رحمهم الله .

فعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم .

هو اعتقاد وحدانية الله عز وجل وانفراده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإخلاص له في العبادة وحده لا شريك له ووصفه بصفات الكمال والجلال على ما يليق بجلاله وعظمته وتنزيهه عن النقائص والعيوب لا يقتضي تعطيلاً ولا جحوداً .

وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، والإيمان بعذاب القبر ونعيمه والبعث والحساب والجزاء بعد الموت ، وأن المصير إلى جنة أو نار وأنهما مخلوقتان موجودتان .

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وهي عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .

وقد نوه عن ذلك بوضوح في رسالة^(١) بعثها إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته ، فأجاب فيها عن الأمور التالية :

١- الإيمان .

يقول : أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهد أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله .

هذا الإيمان يقتضي اعتقاد الشيخ - رحمه الله - بوحداية الله عز وجل وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له .

وقد عرّف هذا عن الشيخ الخاص والعام ، وكتبه ورسائله كلها تبحث في تحقيق هذا النوع من التوحيد .

٢- توحيد الأسماء والصفات .

يقول : ومن الإيمان بالله ؛ الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن مواضعه ، ولا ألحد في أسمائه وآياته ، ولا أكيف ولا أمثل صفاته - تعالى - بصفات خلقه ؛ لأنه - تعالى -

(١) انظر كتاب الدرر السنية ج ١ : ٢٨-٣١ طبعة دار الإفتاء .

سمي له ، ولا كفوء له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ؛ فإنه سبحانه أعلم بنفسه ، وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً .

ويقول في رسالة أخرى :

الذي نعتقده وندين الله به هو مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان من الأئمة وأصحابهم -رضى الله عنهم- ؛ وهو الإيمان بآيات الصفات ، وأحاديثها ، والإقرار بها ، وإمرارها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ ﴾ (١) .

هذا الاعتقاد هو الأوفق والأحسن ، فالاستواء الوارد في الآية الكريمة ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ استواء يليق بجلاله وعظمته .

ولما سئل إمام دار الهجرة مالك بن أنس (٢) - رحمه الله - عن ذلك ، قال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن بدعة .

وهذا خلاف ما قالته الفرقة الضالة الجهمية الذين نفوا أن يكون لله صفات وأسماء .

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه «الضياء الشارق» حينما تكلم عن عقيدة الشيخ رحمه الله يقول عنه : إنه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق

(١) الآية ١١٥ من سورة النساء .

(٢) إمام المذهب المالكي المعروف ولد في المدينة سنة ٩٥هـ - ومات بها سنة ١٧٩هـ من أشهر مؤلفاته (الموطأ) .

بها الكتاب العزيز وصحت بها الأخبار النبوية وتلقاها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والتسليم يتبعونها ويؤمنون بها ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والإيمان وسلف الأمة وأئمتها^(١).

٣- القرآن :

يقول الشيخ رحمه الله : وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عبادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

٤- القدر .

يقول : وأؤمن بأن الله تعالى فعال لما يريد ولا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن قدرته ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور .

٥- عذاب القبر ونعيمه والبعث والحساب والجزاء.

يقول - رحمه الله - وأعتقد بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، فأؤمن بفتنة القبر ونعيمه وبإعادة الأرواح إلى الأجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿^(٢) . وتنشر الدواوين فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله .

(١) الضياء الشارق ، ص ١٣ ، طبعة المنار .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠٣ .

٦- الورود على حوض النبي صلى الله عليه وسلم :

يقول : وأومن بحوض نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بعروصة القيامة مأؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل أنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً .

٧- الصراط :

يقول : وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم .

٨- شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

يقول : وأومن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكرها إلا أهل البدع والضلال ، وأنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى كما قال تعالى :

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ ^(٣) وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله .

وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ^(٤) .

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٣) سورة النجم الآية ٢٦ .

(٤) سورة المذثر الآية ٤٨ .

٩- رؤية الله عز وجل :

يقول : وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

١٠- الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم :

يقول : وأومن بأن نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته .

١١- فضل الصحابة، وأمّهات المؤمنين زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) :

يقول : وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة ؛ أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم .

ويقول : وأتولى أصحاب رسول الله ، وأذكر محاسنهم ، وأترضى عنهم واستغفر لهم وأكف عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم وأعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

وأترضى عن أمّهات المؤمنين المطهرات من كل سوء .

١٢- كرامات الأولياء :

يقول : وأقر بكرامات الأولياء ، وما لهم من المكاشفات إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً ، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله .

(١) سورة الحشر الآية ١٠ .

١٣- عقيدته في عامة المسلمين :

يقول : ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنه ولا نار إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنوب ، ولا أخرجهم عن دائرة الإسلام .

١٤- الجهاد :

يقول : وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام برأ أو فاجراً ، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .

١٥- الإمامة :

يقول : وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم مالم يأمرُوا بمعصية الله . ومن ولي الخلافة ، وأجتمع عليه الناس ، ورضوا به ، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته ، وحرُم الخروج عليه .

١٦- حقيقة الإيمان وشُعبه :

يقول : وأعتقد أن الإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شُعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق .

١٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يقول : وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة .

فهذه الرسالة - أعني رسالته إلى أهل القصيم - وضَّحت عقيدة الشيخ رحمه الله في أصول الدين . وقد أكدها إجمالاً برسالة أخرى بعثها إلى عامة المسلمين .

يقول فيها : من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فأخبركم أنني - ولله الحمد - عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة (١).

ولما سئل الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن عقيدة الموحدين من أهل نجد حينما دخل الإمام سعود بن عبد العزيز مكة عام ١٢١٨ هـ أجاب الشيخ عبدالله بقوله : مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم بل والأعلم والأحكام خلافاً لمن قال طريق الخلف أعلم. (٢) انتهى.

ويقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب (٣) في رسالة بعثها إلى قري وقبائل أهل اليمن ، وعسير وتهامة وغيرهم .

يقول : ومما نعتقد ، وندين الله به الإيمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، ونؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته ، ونثبت ذلك على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل ، وننزه الله عما لا يليق بجلاله تنزيهاً بلا تعطيل ، وهو بائن من مخلوقاته ولا يخلو مكان من علمه قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٤) فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الاستواء ولا نكيّف ولا نمثّل لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو. (٥) إنتهى .

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ١ : ٤٦ طبعة دار الإفتاء .

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، ج : ١٢٦

(٣) من كبار علماء نجد وقضااتها توفى في مدينة الرياض سنة ١٣٦٧ هـ .

(٤) سورة طه : ٥

(٥) الدرر السنية ، ج : ١٢٢ ، الطبعة الأولى .

وسئل أيضاً ابنا الشيخ محمد ؛ وهما حسين وعبد الله عن عقيدة الشيخ في العمل فأجابا :

عقيدة الشيخ التي يدين الله بها هي عقيدتنا ، وديننا الذي ندين الله به وهو عقيدة سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وعرض أقوال العلماء على ذلك فما وافق كتاب الله وسنة رسوله قبلناه وأفتينا به ، وما خالف ذلك ردناه على قائله^(١) .

ويقول الشيخ أحمد بن حجر قاضي محكمة قطر وهو يتحدث عن عقيدة الشيخ يقول : يعتقد أن الله واحد فرد صمد لا شريك له ولا مثيل ولا وزير له ولا مشير ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، عالم بكل شيء بل هو الفعال لما يريد ويثبت جميع صفات الله العليا وأسمائه الحسنی كما نطق به الكتاب وجاءت به السنة الصحيحة من صفة العلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام والإستواء على العرش والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وسائر الصفات الذاتية والفعالية والخبرية ، يؤمن بها ويمررها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل^(٢) .

ويقول الشيخ سليمان بن سحمان : إنه كان على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطلق بها الكتاب العزيز وصحت بها الأخبار النبوية وكان يدعو الناس إلى الصلوات الخمس والمحافظة عليها . . . ويأمر بالزكاة والصيام والحج ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٣) .

ويقول الشيخ محمود شكري الألوسي^(٤) :

(١) الدرر السنية ، ج ١ : ١٢٢ ، طبعة دار الإفتاء
(٢) كتاب (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) لأحمد بن حجر بن محمد آل بو طامي ص ٣٥ / ٣٦ .
(٣) الضياء الشارق لأبن سحمان ص ١٣ طبعة ، المنار بمصر .
(٤) عالم عراقي بارز توفي في بغداد سنة ١٣٤٢ هـ

فهو يبرأ مما قالته القدرية النفاة والقدرية المجبرة ، وما قالته المرجئة والرافضة ، وما عليه غلاة الشيعة والناصبية يوالي جميع أصحاب رسول الله ، ويكف عما شجر بينهم ، ويرى أنهم أحق الناس بالعفو والمغفرة ، ويرى أن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين .

ويعتقد أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ويبرأ من رأي الجهمية القائلين بخلق القرآن ويبرأ من كلام الكلابية القائلين بأن كلام الله هو المعنى القائم بنفس الباري ، ويخالف الجهمية في كل ما قالوه وابتدعوه في دين الله ولا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المخالفة لهدي رسول الله ، ولا يرى ترك السنن والأخبار النبوية لرأي فقيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده ، بل السنة أجل في صدره وأعظم عنده من أن تترك لقول أحد كائنا من كان ^(١) .

ويقول الأستاذ محمد حامد الفقي أحد علماء الأزهر وهو يتحدث عن مذهب أهل نجد يقول : فهم لا يدعون أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد ولا اختراع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان عمله وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ذلاً وخضوعاً ودعاء ونذراً وحلفاً وتوكلاً وطاعة لشرائعه .

وفي توحيد الأسماء والصفات فيؤمن بآياتها كما وردت لا يحرف ولا يؤول ، ولا يشبه ولا يمثل على ما ورد في لفظ القرآن العربي المبين وما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والأئمة المهتدون من السلف والخلف رضوان الله عليهم ^(٢) انتهى .

ويقول الشيخ ملاء عمران بن رضوان نظماً :

(١) تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي ، ص ٨١ طبعة القاهرة ١٣٤٣ هـ .
(٢) أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني لمحمد حامد الفقي ص ٤ طبعة مصر ، ١٣٥٤ هـ .

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنما المقر بأنني وهابي
أنفي الشريك عن الإله فليس لي رب سوى المتفرد الوهاب
لا قبة ترجى ولا وثن ولا قبر له سبب من الأسباب
ولا ابتداع وكل أمر محدث في الدين ينكره أولو الألباب
وأمرُ آيات الصفات كما أتت بخلاف كل مؤولٍ مرتاب^(١)

هذه عقيدة إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهي كما ترى عقيدة أهل السنة والجماعة من المسلمين من غير زيادة ولا نقص .

وقد التزم بهذا المعتقد أئمة الدعوة، وأهل نجد عموماً وغيرهم، ودعوا الناس إلى ذلك منذ ذلك الوقت إلى وقتنا الحاضر، وهي باقية إن شاء الله إلى قيام الساعة .

وبهذا يتضح أن عقيدة الشيخ - رحمه الله - وأتباعه في الأصول على مذهب السلف الصالح من هذه الأمة . وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، كما أن لبعضهم أقوالاً قد تخالف المشهور من المذهب إذا رأى أن الدليل الصحيح خلافه .

ثانياً : نهاية حياة الشيخ ووفاته (رحمه الله) وما قيل في رثائه :

أمضى الشيخ - رحمه الله - حياته في سبيل العلم، والدعوة إلى الله على بصيرة فبات قرير العين، وعمت دعوته أرجاء الجزيرة العربية وبعض الأقطار الأخرى، فكان - رحمه الله - يرجو بهذا الجهاد الثواب من الله يقول (الرسول صلى الله عليه وسلم): (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) متفق عليه .

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية ، لمنير العجلاني ج ١ : ٢٣٠ طبعة دار الكتاب العربي بيروت .

وقد تحقق معنى هذا الحديث الشريف في الإمام محمد بن عبد الوهاب فقد هدى الله بسبب دعوته الآلاف من الناس .

فها هي عقيدة التوحيد في ربوع هذه الجزيرة ناصعة نقية بعد أن كادت معاول الشرك أن تهدمها وتقضي عليها بالكلية وامحت آثار الوثينة منها إلي الأبد - إن شاء الله - .

وقد أجمع المؤرخون ، و الكُتَّاب الذين كتبوا عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثل ابن غنام ، وابن بشر ، والألوسي ، وابن سحمان ، وغيرهم من الثقات أجمعوا على أن وفاته كانت في عام ستة ومائتين وألف من الهجرة النبوية الشريفة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م في بلدة الدرعية .

لكن اختلفوا في أي شهر كانت وفاته .

فقال مؤرخ نجد الشيخ حسين بن غنام : وكان ابتداء المرض به - رحمه الله تعالى - في شوال ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته^(١) .

وقال الشيخ عثمان بن بشر : وكانت وفاته في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة^(٢) . يعنى (١٢٠٦ هـ) .

ولا شك أن الشيخ حسين بن غنام قد عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولا يبعد أن يكون موجوداً في الدرعية وقت وفاة الشيخ محمد . فلم يقل بهذا إلا عن علم ودراية ، وقد رثاه بقصيدة سنورد شيئاً منها في آخر الفصل إن شاء الله .

فمن نقل عن ابن غنام قال : إن وفاة الشيخ في شوال ، ومن نقل عن ابن بشر قال : إن وفاته في ذي القعدة .

(١) تاريخ نجد لابن غنام ج ٢ : ١٥٤
(٢) عنوان المجد ، ج ٢ : ٨٩ طبعة وزارة المعارف .

وهو خلاف لا يترتب عليه حكم ؛ لكن هدفنا الوصول إلى الحقيقة ما وجدنا لذلك سبيلا ، فالأقرب للصواب - والله أعلم - أن الشيخ توفي في آخر شوال عام (١٢٠٦هـ).

وقد أكد هذا القول الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم في كتاب «الدرر السنية»^(١) ، والدكتور أحمد بن محمد الضبيب في كتابه «أثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب»^(٢) وكلامها ثقة يتحرى الصواب فيما يقول .

هذه هو المشتهر عن تاريخ وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وهناك أقوال شاذة صرفنا النظر عنها لعدم الدليل عليها ، والحقيقة والواقع يردانها ، وقد انفرد بها من لا يعول على قوله .

وقد توفي هذا الإمام بعد عمر دام حوالي اثنين وتسعين عاماً كانت حافلة بالعلم ، والدعوة والجهاد في سبيل الله .

هذا إلى جانب ورعه وزهده وكثرة عبادته ؛ فقلما يفتر لسانه من ذكر الله حتى إنه ليعرف بذلك من بعيد .

وكان كريماً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ولربما تحمل الدين في سبيل إسعاد الفقراء والمعوزين وأتباعه من طلبة العلم والوافدين عليه .

وكان - رحمه الله - كثيراً ما يلهج بالآية الكريمة ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٣) .

(١) الدرر السنية ج ١٢ : ٢٠ الطبعة الثانية .

(٢) أثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٤ الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

(٣) الآية ١٥ من سورة الأحقاف .

وكثيراً ما يتمثل بالأبيات التالية :

بأي لسان أشكر الله إنه لذو نعمة أعجزت كل شاكر
حياتي من الإسلام فضلاً ونعمة عليّ وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادي يوم كشف السرائر^(١)
وقد أنجب من الأولاد ستة ذكور هم حسن وحسين^(٢) ، وعبد الله^(٣) ،
وعلي^(٤) ، وإبراهيم^(٥) ، وعبد العزيز ، وبنيتن هما شائعة وهيا .

أما عبد العزيز وحسن فماتا في حياة والدهما .

وأما الأربعة الباقون فقد خلفوا والدهم بعد مماته في القضاء والفتيا ، ونشر العلم ، ومواصلة الدعوة إلى الله .

أما البنتان فأحدهما تزوجها الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، والأخرى تزوجها حمد بن إبراهيم بن غريب ، فتوفى عنها سنة ١١٩٤ هـ فتزوجها أخوه محمد بن غريب^(٦) .

وتذكر بعض المصادر أن الشيخ محمداً تزوج نساء كثيرات ، وأنجب منهن عدداً كثيراً من الأولاد ذكوراً وإناثاً .

-
- (١) عنوان المجد لابن بشر ج ١ : ١١٦ طبعة وزارة المعارف السعودية .
(٢) هو الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد في الدرعية ونشأ بها على يده والده وأخذ العلم عنه وعن غيره من العلماء حتى صار له معرفة في الأصول والفروع والتفسير تولى القضاء بعد والده وإمامة الناس في صلاة الجمعة وغيرها وله مجالس في التدريس تتلمذ عليه عدد من طلاب العلم ، وتوفى بالدرعية عام ١٢٢٤ هـ .
(٣) هو الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عالم نجد وفتيها ، ولد في بلدة الدرعية عام ١١٦٥ هـ وتلمذ على والده وعلى غيره من العلماء حتى صار له باع طويل في معرفة التوحيد والتفسير والحديث والفقه والأصول وتوفى في مصر سنة ١٢٤٢ هـ حيث رحل إليها بعد خراب الدرعية .
(٤) هو الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد في الدرعية ونشأ بها وأخذ العلم عن والده وغيره له معرفة في الفقه والتفسير وتوفى في مصر حوالي عام ١٢٤٥ هـ .
(٥) هو الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد في الدرعية ونشأ بها وقرأ على والده وعلى غيره له معرفة في فنون العلم جلس للتدريس فأخذ عنه عدد من طلاب العلم منهم المؤرخ عثمان بن بشر توفى بمصر عام ١٢٥١ هـ .
(٦) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ١ : ١٨٢-١٨٤ بحث أعده الشيخ حمد الجاسر بعنوان (المرأة في عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب) .

في عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونهاية حياته . . . ١٠٩

وهذا غير صحيح بل المشهور أن الشيخ تزوج مرتين إحداهما في أول شبابه ، ولم يعرف اسم هذه الزوجة ولا أسرتها ولا من أنجبت من الأولاد .

والثانية في العيينة بعد وفاة والده وهي الجوهرة بنت عبدالله بن محمد بن معمر . ومن المحتمل أن أولاده الستة والبنتين منها ؛ لأن ولادتهم كانت في الدرعية بعد انتقال الشيخ إليها عام ١١٥٧ هـ .

ويروى صاحب كتاب «لمع الشهاب» أن الشيخ تزوج في بغداد من امرأة غنية ذات مال وجمال مكثت معه مدة ثم ماتت فورث منها ألفي دينار^(١) .

وحيث لم تثبت رواية أن الشيخ رحل إلى بغداد فلم يثبت زواجه بهذه المرأة ، ولم يكن لها ذكر لدى الشيخ أثناء حياته ، ولا لدى أحفاده وتلاميذه وعارفه .

ويروى صاحب «لمع الشهاب» أيضاً أن الشيخ خلف من الأولاد أربعة ذكور هم حسين وعبدالله وسليمان وعلي وهو الأصغر وست إناث هن سلمى وصفية وفاطمة وسعدى وعائذة وحبيبة وهي الصغرى^(٢) .

قلت : أما حسين وعبدالله وعلي فهم فعلاً من أولاد الشيخ ، أما سليمان فلم يكن له ذكر بين أولاد الشيخ محمد .

وقد سجل المؤرخون ، والكتاب حياة هؤلاء المشايخ ، ونشاطهم الفكري وكفاحهم في سبيل الدعوة ، فإذا كان سليمان هذا من بينهم على حد زعم رواية (لمع الشهاب) فكيف يخفى على أئمة الدعوة ، ومؤرخيها ، ويتضح لصاحب «اللمع» ؟ هذا بعيد عن الواقع والحقيقة .

بل الصحيح أن أولاده ستة هم حسن وحسين وعبدالله وعلي وإبراهيم وعبد العزيز وقد مات حسن وعبد العزيز في حياة والدهما ولم يعقبا ذرية .

(١) لمع الشهاب تحقيق أبو حاكمه ص ١٨ طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٦٧ م .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٢ .

أما الإناث فهما شائعة وهيا كما ذكرنا آنفاً ، ذكر ذلك المؤرخ اليمني لطف الله جحاف^(١) كما ذكر أن إحداهما تزوجها الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود^(٢) . أما الثانية فتزوجها الشيخ حمد بن إبراهيم بن غريب ذكر ذلك المؤرخ ابن بشر^(٣) .

ويقول الدكتور عبد الكريم غرايبة في كتابه «قيام الدولة السعودية العربية»^(٤) . واشتهر من أفراد هذه الأسرة فيما بعد الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبد الوهاب أحد مريدي^(٥) . الشيخ محمد وزوج ابنته . فهذا القول مأخوذ من رواية ابن بشر التي ذكرنا .

كانت وفاة الشيخ محمد - رحمه الله - فجيحة عظيمة على الأمة الإسلامية . في الجزيرة العربية ، وغيرها ، وكان يمثل ركناً عظيماً في الدولة السعودية في عهد الإمامين محمد بن سعود وابنه عبد العزيز ، يؤزرهما بالرأي والمشورة ونشر الدعوة . مجداً في تعليم الناس وحثهم على الاستقامة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد جعل الله في ذرية الشيخ الخير والبركة فقد ساروا على نهج والدهم في نشر العلم وحمل لواء الدعوة .

توفي الشيخ وجُهِزَ وصُلِّيَ عليه بمسجد جامع الدرعية الكبير ، وشهد جنازته جمع غفير من الناس من سكان الدرعية ، وما حولها ، ودفن في مقبرة الدرعية مع غيره من المسلمين ولم يدفن بمقبرة خاصة كما يزعم صاحب «لمع الشهاب» ولم يخلف من المال سوى دارٍ كان يسكنها .

(١) المتوفى عام ١٢٤٣هـ

(٢) بحوث أسبوع الشيخ ج ١ : ١٨٢ .

(٣) عنوان المجد ج ١ : ٩٠ طبعة وزارة المعارف .

(٤) ص ٣٨ الطبعة الأولى مصر .

(٥) هذه اللفظة صوفية والصواب أن يقول : (أحد تلاميذه) .

في عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونهاية حياته . . . ١١١

لكنه خلف شيئاً عظيماً لا يزال سناه يضيء للأمة طريقها إلى الله . نعم خلف العلم النافع ، والعقيدة الخالصة الصحيحة .

وقد حزننا القلوب لفقده ، وجادت القرائح برثائه . فشخصية هذا الإمام تفوق وصف الواصفين ويقف دونها بيان المتكلمين .

وقد رثاه عدد من العلماء منهم عالم اليمن الأمير محمد بن علي الشوكاني رثاه بقصيدة تزيد أبياتها عن مائة بيت ، مطلعها :

مصاب دها قلبي فاذا كى غلائي وأصمى بسهم الإفتجاع مقاتلي
وخطب به أعشار أحشاي صدعت فأمست بفرط الوجد أي تواكلي
إلى أن قال :

لقد مات طود العلم قطب رحي العلا ومركز أدوار الفحول الأفاضل
ثم ختمها بالثناء على أولاد الشيخ ، وآل سعود حاثاً لهم على الصبر والتحمل
فقال :

عليكم سلام الله مهاباً ناسم وجمل زاكي ذكركم كل عاطل
وأوفى الشا مني عليكم مكررا وأزكى تحيات سوام كوامل
وأضعافها للمقرنين^(١) كلهموا هداة الوري من محتدي فرع وائل^(٢)

وممن رثاه أيضاً الشيخ حسين بن غنام مؤرخ نجد المعروف .

رثاه بقصيدة تبلغ أبياتها حوالي أربعين بيتاً مطلعها :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى فسالت دماء في الخدود وأدمع

(١) للمقرنين : يقصد أسرة آل سعود نسبة إلى جدهم مقرن .

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر آل بوطامي ص ١٠٨ - ١٠٩ طبعة المدني مصر .

إمام أصيب الناس طرا بفقده وطاف بهم خطب من البين موجه
إلى أن قال :

فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها وأمسى محياها يضىء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامساً وقد كان مسلو كاً به الناس تربع

ثم ختمها بالدعاء له بالمغفرة والرضوان فقال :

لئن كان في الدنيا له القبر موضعاً فيوم الجزاء يرجى له الخلد موضع
سقى قبره من هائل العفو دائماً وباكره سحب من البر تهمع^(١)

هكذا انتهت حياة هذا الإمام الجليل والمجاهد العظيم فجزاه الله عنا وعن
المسلمين أفضل الجزاء وأسكنه بجنبوح جناته .

(١) عنوان المجد لعثمان بن بشر ج ١ : ١٢١ - ١٢٣ طبعة وزارة المعارف .

الباب الثاني

الدعوة السلفية وانتشارها في نجد وما حولها

ويشتمل هذا الباب على الموضوعات التالية :

- ١- التمهيد
- ٢- بدء الدعوة
- ٣- الدعوة في حرملاء
- ٤- الدعوة في العينة
- ٥- الدعوة في الدرعية
- ٦- الدعوة في سائر بلدان نجد
- ٧- الدعوة في الأحساء
- ٨- الدعوة في الحجاز وبلاد الحرمين
- ٩- الدعوة في تهامة وعسير

التمهيد :

وضع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عصا الرحيل من رحلاته سنة ١١٣٩ هـ / ١٧٢٦ م .

واستقر في بلدة «حريملاء» حتى عام ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م أقام بجانب والده الشيخ عبد الوهاب ، قاضي البلدة ومفتيها ، وشيخ طلاب العلم من أهلها ومن يأتي إليها .

وكان الشيخ محمد من أبرز هؤلاء الطلاب . فقد أخذ يقرأ على والده في مختلف العلوم .

كما اشتغل في دراسة كتب علماء الإسلام ، وكان يركّز - دائماً - على كتب العقائد وأصول الدين ، وما قاله الثقات من أهل العلم حيث لمس شدة حاجة الناس إليها ؛ لما يرى عليه أكثر الناس من التعلق بالبدع ، وممارسة أنواع الشرك في الأقوال والأفعال .

ففي بلدة الجبيلة قبور تنسب إلى بعض الصحابة الذين استشهدوا في وقعة اليمامة أبرزها قبر ينسب إلى زيد بن الخطاب^(١) - رضى الله عنه - أقيم عليه قبة يقصدها الناس في قضاء الحاجات وتفريج الكريات .

وفي الدرعية قبور أخرى تنسب لبعض الصحابة يقصدها الناس للتوسل والتبرك .

(١) هو زيد بن الخطاب بن نوفل العدوي أخو عمر بن الخطاب أسلم قديماً بمكة واستشهد في وقعة اليمامة سنة ١٢ هـ

وفي الدرعية أيضاً مغارة كبيرة يقال : إن الله خلقها غيثاً لا امرأة أراد بعض الفساق الاعتداء عليها ، فاتخذها الجهال مزاراً تقدم فيه النذور والقربات .

وفي شعيب غبراء ، قرب الرياض قبة قد نصبت على قبر ينسب إلى ضرار بن الأزور^(١) يقصدها الناس وتمارس فيها المنكرات والخرافات .

هذا بالإضافة إلى وجود أشجار وأحجار في مواضع متعددة يعظمها الدهماء من الناس ويطلب منها من الحاجات ما لا يقدر عليه إلا الله .

كما رسخ في ذهن الشيخ محمد ما شاهده في رحلته إلى المدينة ، والبصرة من الطواف حول القبور والاستغاثة بأصحابها كما قيل :

يسعى الأنام لها ويجرى حولها بحر النذور وتسكب العبرات
ويقال هذا الباب باب المصطفى ووسيلة تقضى بها الحاجات

كل هذه المشاهد الباطلة والمظاهر السيئة أثرت في نفس الشيخ محمد بن عبد الوهاب فعقد العزم على الدعوة إلى تصحيح عقيدة التوحيد وتصفيته من شوائب الشرك والوثنية .

لكن الطريق طويل والعقبة كؤود والمهمة صعبة فقد تأصلت هذه المظاهر السيئة في نفوس عامة الناس ، ورسخت في أذهانهم وضربت جذورها في أعماق قلوبهم .

وتذكر بعض المصادر أن الشيخ محمداً قد عرض فكرة القيام بالدعوة على والده الشيخ عبد الوهاب ؛ لكنه لم يشجع ابنه على ذلك لعلمه بصعوبة المهمة وتعريض حياة ابنه للخطر ؛ فما قام أحد بمثل هذا الأمر إلا أوزي وسفه عبر عصور

(١) ضرار بن الأزور من بني أسد صحابي جليل استشهد في وقعة اليمامة سنة ١٢ هـ .

التاريخ ابتداء برسل الله وأنبيائه ، وانتهاء بما نال الدعاة والمصلحين من السخرية والأذى في سبيل الدعوة والإصلاح .

قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ (١) .
وعندما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ودعا الناس إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله ، وحده رموه بأبشع الألفاظ قالوا : ساحر وكاهن وشاعر ومجنون ، وسفهوه وكذبوه وألقوا سلى الجزور على ظهره وهو ساجد عند الكعبة وأدموا عقبه ، وتآمروا على قتله ، هذه الصور كانت لا تخفى على الشيخ عبد الوهاب فإن صح ما قيل عنه في ذلك فهو من باب الشفقة والخوف على ولده .

لكن هذا الموقف من الشيخ عبد الوهاب ، لم يثن عزم الشيخ محمد فقد أخذ يعد لهذا الأمر عدة سنوات ، ويفكر من أين يبدأ ومتى وكيف ؟
وهذا ما سنعرفه - إن شاء الله - من خلال موضوعات هذا الباب .

بدء الدعوة :

اختلف الكتاب والمؤرخون متى بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته التي منها شَعَّ نور التوحيد في بلاد نجد .

فبعضهم يرى أن الشيخ بدأ في دعوته حينما زار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد أداء فريضة الحج . وعمره آنذاك لم يتجاوز الثالثة عشرة سنة ويربط هذا القول بإنكاره لما يفعل عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرك بالدعاء والتوسل .

وقد جادل شيخه محمد حياة السندي في هذا الأمر حيث قال له : «ما تقول في هؤلاء فرد عليه الشيخ محمد حياة : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون .

وآخرون يرون أن بدء الدعوة كان في البصرة حينما كان الشيخ يطلب العلم على يد بعض علمائها .

فقد أنكر على بعض الناس البدع التي كانوا يرتكبونها . فضايقوه وألقوا به الأذى حتى اضطروه إلى الخروج منها في هاجرة الصيف وتعدى أذاهم إلى شيخه ؛ الشيخ محمد المجموعي .

يقول ابن غنام - رحمه الله - : وكان كثير من أهل البصرة يأتون إليه بشبهات يلقونها عليه فيجيبهم بما يزيل اللبس ، ويوضح الحق ، ويكرر عليهم دائماً أن العبادة كلها لا تصلح إلا لله ، وكان بعض الناس يستغربون منه ذلك ، ويعجبون لما يظهر لهم من شدة إنكاره لعبادة الصالحين والأولياء والتوسل بهم عند قبورهم ومشاهدتهم^(١) .

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ٧٦ تحقيق ناصر الدين الأسد .

والواقع أن هذا الإنكار لم يكن أول منطلق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالمعنى الذي عرفت فيه فيما بعد . بل هذا مجرد إنكار للباطل ، وهذه طريقة كل مسلم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم «من رأي منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(١) .

فالشيخ في هذه الفترة وفي هذه الأمكنة بالذات لا يستطيع أن ينكر هذه البدع بيده .

أما في المدينة فالسلطة فيها حينذاك للدولة العثمانية وولاؤها يشجعون الناس على حب التوسل بالأموال .

وأما في البصرة فأكثر أهلها من غلاة الشيعة ، وهل أريق دماء المسلمين في وقعة الجمل وصفين وما بعدها إلا بسبب التشيع الذي جرّ الويلات على الإسلام وأهله .

لهذا عدل الشيخ محمد عن الإنكار باليد إلى الإنكار باللسان لأن هذه استطاعته حينذاك .

الدعوة في حريملاء :

يؤكد جمهور المؤرخين ، والكتّاب ، وأئمة الدعوة ، وعارفو الشيخ - رحمه الله - أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدأ دعوته في حريملاء بعد عودته من البصرة وعلى وجه التحديد بعد وفاة أبيه سنة ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م .

يقول مؤرخ نجد الشيخ حسين بن غنام :

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، ج ١ : ٦٩ ترتيب محمد عبد الباقي ؛ والترمذي في كتاب الفتن . وقال : حديث حسن صحيح .

فأقام الشيخ محمد في حريملاء مع أبيه يقرأ عليه سنين إلى أن توفي أبوه سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف (١١٥٣هـ) فأعلن دعوته واشتد في إنكاره مظاهر الشرك والبدع وجدّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل النصيح للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام وجدد سنة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم يخش في الحق لومة لائم، وحذر الناس، والعلماء منهم خاصة تحقق وعيد الله في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ (١).

فداع ذكره في جميع بلدان العارض في حريملاء، والعينة، والرياض ومنفوحة وأتى إليه ناس كثيرون وانتظم حوله جماعة اقتدوا به، واتبعوا طريقه ولا زموه وقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير وصنف في تلك السنين «كتاب التوحيد» انتهى (٢).

ويقول المؤرخ عثمان بن بشر :

فلما وصل الشيخ محمد إلى بلدة حريملاء أخذ يقرأ على أبيه وينكر ما يفعله الجاهل من البدع والشرك في الأقوال والأفعال، وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات حتى وقع بينه وبين أبيه كلام، وكذلك وقع بينه وبين الناس في البلد كلام، فأقام على ذلك مدة سنتين حتى توفي أبوه عبد الوهاب في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف (١١٥٣هـ) ثم أعلن الدعوة والإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبعه أناس من أهل البلد ومالوا معه واشتهر بذلك إنتهى (٣).

(١) البقرة : ١٥٩ .

(٢) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ص ٧٧ .

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد ص ٢١ طبعة وزارة المعارف .

الدعوة السلفية وانتشارها في نجد وما حولها ١٢١

من هذين النصين نعرف أن الشيخ محمداً - رحمه الله - لم يجهر بدعوته إلا بعد وفاة أبيه سنة (١١٥٣هـ).

وإذا رجعنا إلى ما قبل ذلك وجدناه قد عاد من البصرة إلى حريملاء سنة (١١٣٩هـ) فالفرق بينهما خمس عشرة سنة فما الذي يترى شغله عن الجهر بدعوته أثناء هذه المدة مع أنه عاد من المدينة والبصرة متسلحاً بالعلم؟

يرجع بعض الكتّاب أسباب هذا الانتظار إلى معارضة أبيه عبد الوهاب لأفكاره^(١) فلما توفي الشيخ عبد الوهاب صار الشيخ محمد مطلق الحرية يقول ما يريد.

وهذا القول غير صحيح فالشيخ عبد الوهاب - رحمه الله - من علماء نجد المشهود لهم بالعلم والفضل.

يقول ابن بشر: وأما الشيخ عبد الوهاب فكان عالماً فقيهاً قاضياً في بلد العينه ثم في حريملاء... (٢).

والحقيقة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثناء هذه المدة اشتغل بالقراءة والاطلاع والتزود من دراسة كتب التفسير والحديث والأصول ومن جملتها مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - فاستفاد منها فائدة عظيمة مما جعله يحذو حذو هذين الإمامين هذا بالإضافة إلى استئناف الدراسة على والده حسب ما رواه الثقات من المؤرخين وقد مر طرف منه في كلام ابن غنام وابن بشر.

(١) أنظر كتاب السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ص ٢٧٤ الطبعة الأولى .
(٢) عنوان المجد ج ١ : ١١٤ للشيخ عثمان بن بشر طبعة وزارة المعارف .

وإذا كان قد وقع بينهما وبين أبيه كلام فهو ليس من باب الإنكار عليه والمعارضة لأفكاره؛ بل من باب الشفقة والخوف عليه لعلم الشيخ عبد الوهاب بصعوبة هذا الأمر وعدم المعين على إنجاحه؛ لأن من دعا بهذه الدعوة في ذلك الوقت بالذات سوف يواجه بمعارضة قوية لأنه جاء يندد بما ألفه القوم وورثوه كابراً عن كابر وهو دعاء الأموات والتوسل بهم فهم يرون ذلك أمراً مشروعاً ومرغباً فيه فذودهم عن ذلك مركب صعب وطريق طويل وشاق .

لكن الشيخ محمداً لم يثنه عن تنفيذ مقصده النبيل أي صعوبة ولم يجد اليأس إلى قلبه سبيلاً بل صمم على الدعوة إلى الله وتصحيح عقيدة التوحيد التي أفسدتها الوثنية فمضى هذا الإمام في طريقه المنشود ولسان حاله يردد قول الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

بقي الشيخ بعد وفاة أبيه في حريملاء يمارس التدريس والدعوة إلى الله بلطف ولين وحكمة .

وصنّف كتابه المشهور «كتاب التوحيد» فاشتهر أمره وشاع خبره في جميع البلدان المجاورة ، في حريملاء والعينة والدرعية والرياض ومنفوحة واجتمع حوله الأنصار ، ووفد عليه أناس كثيرون من البلدان المجاورة يقرأون عليه ويستفيدون من علمه . وكان رحمه الله في هذه الفترة ينكر ما يراه مخالفاً للشرع إلا أن الحياة الأمنية في حريملاء في تلك الفترة كانت مضطربة ، فالبلد يحكمها قبيلتان كل واحدة منهما تدعى السيادة على البلد دون الأخرى . وكان لإحدى القبيلتين موال يسمون (آل حميان) قد سعوا في الأرض فساداً فأراد الشيخ - رحمه الله - منعهم من التعدي والفساد وقسّرهم على الحق فأضمرّوا للشيخ الشر وحاولوا الاعتداء عليه بقتله ليلاً

الدعوة السلفية وانتشارها في نجد وما حولها ١٢٣

فسطوا على منزله لكن الله سلم (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) فقد شعر بهم بعض الناس وصاح بهم فهربوا خائبين .

الدعوة في العيينة :

وبعد هذه الحادثة لم يطب للشيخ المقام في حريملاء فساقته إرادة الله إلى بلد كان فيها مسقط رأسه وعلى أرضها ترعرت قدماه وقت صباه وقد يجد فيها من يعينه على نشر دعوته فيممم نحو «العيينة» واتصل بأمرها حينذاك عثمان بن حمد بن معمر^(١) . الذي أزر الشيخ في بادئ الأمر ، وتلقاه بالقبول وأكرمه ، وزوجه عمته الجوهرة بنت عبدالله بن محمد بن معمر^(٢) .

لذا وجد الشيخ محمد الفرصة متاحة للجهر بدعوته ونشرها في البلدان .

وكان في العيينة أشجار تعظم فبعث إليها من يقطعها فقطعت ، وذهب بنفسه إلى شجرة هي أعظمها فقطعها . وهكذا أخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ومما شغل فكره أيضاً ، قبة مشادة على قبر في البلدة المجاورة «الجبيلة» زعم أنه قبر الصحابي الجليل زيد بن الخطاب - رضى الله عنه - الذي استشهد في وقعة اليمامة في حروب الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

فاتخذ رعاك الناس هذا القبر مزاراً يطاف حوله ويتوسل به وتنحر القرايين

عنده .

(١) هو الأمير عثمان بن حمد بن عبدالله بن محمد آل معمر من بني سعد من قبيلة بني تميم المعروفة ولد في العيينة وقت ازدهارها في عهد أسرته آل معمر وتولى الحكم فيها بعد أخيه محمد سنة ١١٤٢ هـ ومات في العيينة مقتولاً سنة ١١٦٣ هـ عفا الله عنه .

(٢) من أسرة آل المعمر المعروفة من بني سعد من تميم ، الظاهر أنها أم أولاد الشيخ محمد .

وإن قلب المسلم ليتقطع حينما يسمع الدعاء في طلب جلب النفع أو دفع الضرر يصرف إلى هذا المخلوق الضعيف فضلاً عن كونه ميتاً لذا أشغل فكر الشيخ - رحمه الله - هذا المشهد المر فقال للأمير عثمان بن معمر : دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل ، وضلَّ بها الناس عن سبيل الله فكان رد عثمان مشجعاً للشيخ على هدمها حيث قال : دونكها فاهدمها . لكن الشيخ خشي الفتنة ، لتأصل اعتقاد أهل البلد فيها فرأى أن من المصلحة أن يصحبه الأمير عثمان بالذهاب إلى هدمها ، ويكون في صحبتتهما قوة دفاعية تحميهما فيما لو حصل عليهما اعتداء من أحد فاستجاب عثمان إلى طلب الشيخ ، وذهبا سوياً إليها تحميهما قوة قوامها ستمائة رجل .

وقد وقع الذي تخوف الشيخ منه ؛ فإن أهل بلدة الجبيلة قد خرجوا للصد عنها حتى ولو أدى ذلك إلى القتال لكن حينما رأوا الأمير عثمان وجنوده تراجعوا : (إن الله لينزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) وخلوا بينهما وبينها .

فأخذ الشيخ محمد - رحمه الله - المعول بيده ، وبأشر في هدمها فهدمت حتى سويت بالأرض عملاً بحديث أبي الهيثاج الأسدي رضي الله عنه قال : قال لي علي رضي الله عنه «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١) .

وهكذا قضى على هذه الأوثان ، وتوسَّع الشيخ في دعوته لتبصير الناس في حقيقة التوحيد ، وبطلان ما كانوا عليه من الشرك فنشر أول مؤلفاته وهو «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» وتناولته أيدي طلاب العلم دراسة ونسخاً واشتهرت دعوته بشكل ملحوظ ، وصار الناس في نجد وغيرها بين مؤيد ومعارض .

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ج ٢ : ٦٦٦ ترتيب محمد عبد الباقي .

مؤيد ؛ لأنه عرف الحق فكان من أنصاره والداعين إليه .

ومعارض ؛ لأن الهوى وحب الظهور قد تمكّن من سويداء قلبه ، وربما كان مدفوعاً بسبب حب المال ، والمنصب ، والجاه .

ونذكر مثالا على ذلك ما قاله صاحب كتاب «السحب الوابلة» وهو يتحدث عن أحد المعارضين للدعوة وهو الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز المولود سنة ١١٤٢هـ والمتوفى سنة ١٢١٦هـ ، يقول مؤلف الكتاب : وكان قصير القامة طويل الاستقامة عليه أنوار زاهرة وآثار العلم والصلاح ظاهرة مهيباً معظماً عند الملوك فمن دونهم بقبول الكلمة نافذ الإشارة بحيث كاتب السلطان عبد الحميد خان يستنجد على قتال البغاة الخارجين بنجد» انتهى كلام صاحب السحب الوابلة^(١) .

وهكذا وصف ابن فيروز أئمة الدعوة وأتباعها بأنهم بغاة ، وسيأتي نفي هذه الدعاوى والإفتراءات في مبحث تال - إن شاء الله - .

لكن رغم هذه الدعاوى الباطلة التي رميت بها الدعوة فإن المجتمع في نجد قد تفهم حقيقة الدعوة وصدق نوايا صاحبها ، وأنها الحق الذي لا شك فيه لذلك استجابوا لها .

وأخذ الشيخ يشرح للعامة والخاصة الأحكام ويبين لهم شرائع الإسلام ، فتأثروا بها .

من ذلك امرأة محصنة عاقلة من أهل العيينة أتت إلى الشيخ وأقرت عنده بالزنا وطلبت منه إنفاذ حكم الله فيها ، فنهج معها الشيخ منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المرأة الجهنية ومع ما عز الأسلمي رضي الله عنهما فردها الشيخ لعلها ترجع عن إقرارها ؛ لكن المرأة تعود وتقر حتى تكرر منها ذلك مرارا .

(١) ص ٤٠١ الطبعة الأولى .

يقول المؤرخ ابن بشر: أتت امرأة إلى الشيخ، واعترفت عنده بالزنا بعد ما ثبت عنده أنها محصنة وتكرر منها الإقرار واستخبر عن عقلها فإذا هي صحيحة العقل فأمر بها فرجمت^(١).

وقد حدد المؤرخ ابن غنام هذا التكرار بأنه أربع مرات متواليات^(٢).

فطار خبر رجم هذه الزانية بالآفاق واستنكرته قلوب أهل الزيغ والنفاق.

مما حمل رئيس عشيرة بني خالد في الأحساء سليمان بن محمد بن غرير الحميدي الخالدي^(٣) على الكتابة لأمر العيينة عثمان بن حمد بن معمر وكان عثمان موالياً لحاكم الأحساء لخراج سنوي يحصل عليه منه، وقد حدد بن بشر هذا الخراج باثنتي عشرة مائة أحمر^(٤) وما يتبعها من الطعام والكسوة وأورد طرفاً من رسالة سليمان لعثمان منها قوله: إن هذا المطوع الذي عندك فعل وفعل... . اقتله فإن لم تفعل قطعنا خراجك عندنا في الأحساء^(٥).

أما رواية ابن غنام عن خبر سليمان بن محمد وموقفه من الدعوة فيقول: كتب إلى عثمان بن معمر يأمره بقتله أو إجلائه عن بلده وشدده عليه وهدده بأنه إن لم يفعل ذلك قطع عنه خراجه الذي عنده في الأحساء. توعده باستباحة جميع أمواله لديه^(٦).

أما صاحب كتاب «لمع الشهاب» فيذكر أن لعثمان بن معمر نخيلاً وأراضياً في الأحساء ورثها من أجداده حصلها سنوياً ستون ألف ريال ذهباً فهدد عثمان بمنع

(١) عنوان المجدد ج ١ : ٢٢٠ طبعة وزارة المعارف .
(٢) تاريخ نجد تحقيق ناصر الدين الأسد ص ٧٩ الطبعة الأولى .
(٣) تولى رئاسة بني خالد سبع عشرة سنة ومات في الخرج سنة ١١٦٦ هـ وكان بنو خالد حكام الأحساء والقطيف قبل قيام الدولة السعودية الأولى .
(٤) أحمر : نقد ذهبي كان أهل الجزيرة يتعاملون به .
(٥) عنوان المجدد ج ١ : ٢٣ طبعة وزارة المعارف السعودية .
(٦) تاريخ نجد لابن غنام ص ٨٠ تحقيق ناصر الدين الأسد .

جباته من تحصيل ذلك إن لم يخرج الشيخ محمداً من بلده وهدده أيضاً بقطع وظائفه ومنع تجار العيينة من التردد بين بلدان الساحل الشرقي للجزيرة العربية^(١).

ولكن هذه الرواية مشكوك في صحتها لعدم الدليل عليها وروايات صاحب هذا الكتاب تتسم بالتخرف والكذب.

لهذا تردد عثمان بن معمر بين المضي في مؤازرة الشيخ وفقد الخراج والمحاصيل رفض مؤازرة الدعوة ، واستمر المدد المالي من الأحساء.

فانقادت نفسه للأمر الثاني خوفاً من حاكم الأحساء وسطوته وحباً للمال ، رغم نصيح الشيخ له بقوله : إن هذا الذي قمتُ به ودعوت إليه كلمة لا إله إلا الله ، وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله تعالى سيظهرك على أعدائك فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين ، والغلبة ما ستملك به بلاده ، وما وراءها وما دونها^(٢).

لكن عثمان لم يستسغ مخالفة صاحب الأحساء رغم وضوح الأمر ونصح الشيخ له .

فلم يزل عثمان بالشيخ يسحن له ويرغبه في مغادرة العيينة خوفاً من سطوة صاحب الأحساء عليه وقطع الخراج عنه .

وأخيراً قرر الشيخ - رحمه الله - الانتقال إلى الدرعية البلدة القريبة من العيينة لوجود تلاميذ وأنصار له فيها ، .

(١) لمع الشهاب تحقيق أبو حاكم ص ٣٤ الطبعة الأولى .
(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ : ١٨ ط ٢ المكتبة الأهلية .

ولكون حاكمها الأمير محمد بن سعود ليس لصاحب الأحساء ولا غيره نفوذ عليه (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى).

وقد عَزَّ على عثمان بن معمر أن يترك الشيخ محمداً يسير في الطريق وحده لأمر من أهمها ما يلي :

١- قناعته بصدق الشيخ وحقيقة دعوته .

٢- وللمصاهرة التي بينهما .

فشخص أصبح يشار إليه بالبنان ، ومحط طمع كل مغرض لا بد أن يعترضه من الأذى الذي ربما ينتهي بالقضاء على حياته وخاصة إذا علم خروجه لهذا أرسل الأمير عثمان في معية الشيخ من الرجال من يحميه فيما لو تعرض له أحد حتى يصل إلى الدرعية .

وما ذكرته بعض الروايات من أن عثمان أوصى الفارس المرافق له بقتل الشيخ محمد في مكان معين من الطريق فليس بصحيح ، وقد نسبت هذه الرواية إلى المؤرخ ابن بشر ؛ لكن ابن بشر نفسه نفاها بقوله : واعلم رحمك الله أنني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر وفرسانه أنه أمرهم بقتل الشيخ في الطريق وغير ذلك ثم تحقق عندي أنه ليس لها أصل بالكلية فطرحتها من هذه المبيضة^(١) .

فوصل الشيخ إلى الدرعية سالماً معافى .

وإذا العناية لاحظتك عيونها ثم فالمخاوف كلهن أمان

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ : ٢٣ طبعة وزارة المعارف .

الدعوة في الدرعية :

يؤكد المؤرخون أن الشيخ محمداً رحل من العينة إلى الدرعية في عام ١١٥٧هـ أو في عام ١١٥٨هـ، ولما وصل إليها حلّ ضيفاً على أحد تلاميذه ووصل خبر وصوله إلى حاكم الدرعية الأمير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن^(١) الذي بادر بمقابلته وتلقى دعوته بالقبول، وما أعذب ما قاله الأمير للشيخ في تلك اللحظات الحرجة : أبشر ببلاذ خير من بلادك وبالعز والمنعة، فكان هذا القول شديد الوقع في قلب الشيخ فرد عليه بقوله : وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة والاختلاف وقتال بعضهم بعضاً فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون، وعلى ذريتك من بعدك^(٢) « انتهى .

وأيّ الله لقد تحققت آمال هذين الإمامين فلم يزل أهل هذه الجزيرة ينعمون في ظل شجرة التوحيد التي غرسها هذان الإمامان ، ويقطفون ثمارها .

وقد تحقق للأمير محمد بن سعود صدق ما يدعو إليه الشيخ محمد وعاهده على نصرته والدفاع عنه والجهاد في سبيل نشر دعوته التي هي الدعوة إلى الله فتبايعا على ذلك ولم تزل هذه المعاهدة والمبايعة محل احترام وتقدير لدى علماء وملوك هذه البلاد، رحم الله أولئك الأئمة الأعلام ، وجعل التوفيق في خلفهم .

(١) هو الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع ولد في بلدة الدرعية حوالي سنة ١١٠٠هـ وتولى الإمارة فيها سنة ١١٣٩هـ، وتوفي في الدرعية سنة ١١٧٩هـ بعد حكم دام أكثر من أربعين سنة قضاه في الجهاد في سبيل تصحيح عقيدة المسلمين ولم شملهم وتولى الحكم بعده ابنه الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود . رحمهم الله جميعاً .
(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر ج ١ : ٢٤ طبعة وزارة المعارف .

وما ذكر صاحب كتاب «لمع الشهاب»^(١) من أن الشيخ محمداً اشترط على الأمير محمد بن سعود بأن الرياسة والإمامة فيك وفي ذريتك بعدك وأن المشيخة والخلافة في الدين في وفي آلي من بعدي أبداً. كذب لا أصل له؛ فالاتفاق الذي جرى بينهما لا يعدو كونه تعهداً على مناصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة شعائر الإسلام والجهاد في سبيل الله.

ولما استقر الشيخ محمد في الدرعية جلس للتدريس وتخلل الناس بالنصح والوعظ وكاتب بعض أهل الأقطار ونص على بعض طلاب العلم ومن لهم معرفة وتأثير على العامة فكتب الرسائل في الدعوة إلى الله وإيضاح حقيقة ما يدعو إليه، وهنا نذكر بعضاً من هذه الرسائل.

الرسالة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فاعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس بشيراً ونذيراً مبشراً لمن اتبعه بالجنة ومنذراً لمن لا يتبعه بالنار وقد علمتم إقرار كل من له معرفة أن التوحيد الذي بينه للناس هو الذي أرسل به رسله وأن الذي عليه غالب الناس من الاعتقادات في الصالحين وفي غيرهم هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾^(٢) فإذا تحققت هذا وعرفت

(١) لمع الشهاب تحقيق أحمد مصطفى أبو حكمة، ص ٣٠.
(٢) سورة المائدة : ٧٢

أنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال كانوا على دين الله ورسوله ، ونحن ما جئناكم في التكفير والقتال لكن لننصحكم بهذا الذي قطعتم أنه دين الله ورسوله أن تعلموه وتعملوا به إن كنتم أمة محمد باطناً وظاهراً^(١) .

الرسالة الثانية :

وهذه الرسالة أرسلها الشيخ محمد إلى رجال من أهل سدير والوشم والقصيم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . خصوصاً محمد بن عبيد وعبد القادر العديلي وابنه وعبد الله بن سحيم وعبد الله بن عضيبي وحميدان بن تركي وعلي بن زامل ومحمد أبا الخيل وصالح بن عبد الله ، أما بعد .

فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلينا على حين فترة من الرسل فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع العام وأعظم ذلك وأكده وزيدته هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك وهو أن لا يدعى أحد من دونه من الملائكة والنبين فضلاً عن غيرهم فمن ذلك أنه لا يسجد إلا لله ولا يركع إلا لله ولا يدعى لكشف الضر إلا هو ولا جلب الخير إلا هو ولا ينذر إلا له ولا يحلف إلا به ولا يذبح إلا له وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له ، وهذا معنى قوله (لا إله إلا الله) فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه .

(١) الدرر السنية ج ١ : ٦٠ طبعة دار الإفتاء .

وهذا أمر هين عند من لا يعرفه كبير عظيم عند من عرفه فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان وزين لهم الشرك بالله وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم . . . إلى أن قال : وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى والسلام^(١) . . .

وهكذا جعل الشيخ يكاتب الناس رؤساء وعامة فمنهم من استجاب للدعوة وقبل الحق الذي هو دين الله ، ومنهم من أنكر ذلك ورمى الشيخ بالكذب والجهل والضلال فلم يثن ذلك عزمه بل استمر في نشر دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ولم يحكم على أحد بالكفر ولا بالقتال إلا من أنكر دين الله وقاتل من قاتله .

يقول رحمه الله : (وأما التكفير فأنا أكفر مَنْ عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره ، وأكثر الأُمة - ولله الحمد - ليسوا كذلك أما القتال فلم نقاتل أحداً إلا دون النفس والحرمة فإننا نقاتل على سبيل المقابلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه)^(٢) انتهى كلامه رحمه الله .

وبعد هذا الاتفاق الذي تم بين الإمامين . تركزت الدعوة في الدرعية وأسرع الناس بالتحول إليها من جميع بلدان نجد وكثر المؤيدون للدعوة والناصرون لها لذا انتشرت في بلاد نجد وبخاصة البلاد المجاورة للدرعية كالعيننة والجبيلة وعرة وحريملاء والعمارية ومنفوحة والرياض .

إلا أن حاكم الرياض في ذلك الوقت دهام بن دواس^(٣) صار من أشد المعارضين للدعوة ولعل ذلك يرجع إلى خوفه على مركزه وتأثره بأفكار مطوع

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ، ص ٢٥٧ .
(٢) الدرر السنية جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ج ١ : ٥٦ طبعة دار الإفتاء .
(٣) تولى حكم الرياض سنة ١١٥١ هـ حتى عام ١٢٨٧ هـ حيث هرب منه وهلك .

الرياض سليمان بن محمد بن سحيم^(١) المعارض للدعوة ورغم الجهد الذي بذله الشيخ محمد والإمام محمد بن سعود في سبيل إقناع دهام للدخول في الدعوة ، وتقبل مبادئها في حين أن عدداً كبيراً من سكان الرياض قد تقبلوا الدعوة وصاروا يدعون الناس إليها لكن دهاماً لم يستجب لنداء الدعوة بل أعلن الحرب ضدها .

فوقعت بينه وبين أهل الدرعية حروب دامت أكثر من عشرين سنة انتهت بهروب دهام من الرياض سنة ١١٨٧ هـ وتخليه عن البلد .

يقول المؤرخ عثمان بن بشر - رحمه الله - :

فلما انتصف ربيع الثاني سنة ١١٨٧ هـ سار عبد العزيز غازياً إلى الرياض فلما قرب من بلدة عرقة عارضه البشير بأن ابن دواس خرج من الرياض هارباً فحث عبد العزيز السير إليها وقدمها بعد العصر فإذا دهام قد ألقى الله في قلبه الرعب فخرج منها في النهار^(٢)

هكذا كانت نهاية دهام وكان سبب هذه الحروب عداوته وتنكيله بالمعتنقين للدعوة في الرياض وما حولها .

يقول الشيخ حسين بن غنام في تاريخه : غير إن دهاماً أبى ، وأعرض عن الحق ، واستكبر وكانت الدعوة إلى الحق قد انتشرت في بلدة الرياض ودخل في الجماعة كثير من أهلها فأظهر دهام عداوته وأخذ ، يضطهد كل من اتبع التوحيد من أهل بلده ، ويسعى لهم بالمكايده ويتربص بهم الدوائر ، وكان أول عدائه غدره بأهل منفوحه سنة (١١٥٩ هـ) ، وكانوا قد لبوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودخلوا في طاعة الأمير محمد بن سعود فعدا عليهم صباحاً على غرة^(٣)

(١) من أشد المعارضين للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبعد ازدهار الدعوة السلفية وقيام الدولة السعودية الأولى ارتحل ابن سحيم إلى بلد الزبير في العراق وبها توفي سنة ١١٨١ هـ .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ص ٧٦ طبعة وزارة المعارف .

(٣) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ٩٠ تحقيق ناصر الدين الأسد .

ولم تقف عداوة دهام للدعوة عند هذا الحد بل نصب الراية لحرب الدرعية والقضاء على الدعوة في عقر دارها .

يتحدث عن هذا ابن غنام أيضاً فيقول : فسار - يقصد دهام بن دواس - بجموع جمعها من الحضر والبدو ، وقصد الدرعية وجعل كمينا في حفير خفي ثم أغار على البلد فخرج إليه أهل الدرعية فلما رأهم انهزم وولى هارباً فطعموا فيه وتبعوه فأشار عليهم الأمير محمد بن سعود بالرجوع خشية أن يكون ثمة كمين حين رأى أن ابن دواس قد انهزم وباء بالخيبة ولكن قضاء الله جعلهم يطاردون ابن دواس وجماعته فظهر عليهم الكمين فانكشف أهل الدرعية وولى أكثرهم منهزمين وقتل منهم خمسة . من مشاهيرهم فيصل وسعود أبناء محمد ابن سعود ^(١) . انتهى كلام ابن غنام .

من خلال هذه الوقائع والأحداث والحروب نعرف أن موقف أئمة الدعوة منها موقف المدافع عن دمه ، وعقيدته ، ومن أجل تصحيح عقيدة التوحيد فلا يعبد إلا الله وحده ولا يشرك به شيئاً . فلا قباب يطاف حولها ولا قبور يستغاث بأصحابها .

الدعوة في سائر بلدان نجد :

بعدما استقر الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في الدرعية وتمركزت الدعوة فيها بمؤازة من الإمام محمد بن سعود وأخذت الدعوة بالتوسع خارج الدرعية وما حولها . فأخذت عدة مسارات في اتجاهات مختلفة نحو بلاد الوشم والقصيم وسدير والخرج وحوطه بني تميم والأفلاج ووادي الدواسر وغيرها من بلدان نجد .

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ٩٢ تحقيق ناصر الدين الأسد .

يقول المؤرخ ابن غنام - رحمه الله - :

وكاتب الشيخ بدعوته أهل البلدان ^(١) ، ورؤساءهم ، ومدعى العلم فمنهم من قبل الحق واتبعه ، ومنهم من اتخذه سخرياً واستهزأوا به ، ونسبوه إلى الجهل تارة وإلى الضلال تارة أخرى ، ورموه بأشياء هو برئ منها جميعاً ^(٢) .

هذه حالة تلك البلاد في بداية الدعوة . كما وصفها ابن غنام . لوجود مجموعة كبيرة من سكانها تبين لهم وجه الحق فاعتنقوا مبادئ الدعوة ، وجندوا أنفسهم لنشرها في بلادهم ، وتبصير الناس في حقيقتها استجاب للدعوة أكثر سكان هذه الديار .

وكانت بعض إمارات تلك البلاد مترددة بين الولاء لدولة التوحيد في الدرعية أو معاداتها ، وبعد ازدهار الدعوة ، وانتشارها في عموم الديار النجدية ووضوح أمرها للجميع وقيام دولة إسلامية تحميها وتنشرها ما وسع من توقف إلا الدخول فيما دخل فيه الناس (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

وهكذا شملت الدعوة السلفية جميع بلاد نجد .

الدعوة في الأحساء :

الأحساء منطقة واسعة كان سكانها قبل ظهور الدعوة السلفية ينتسبون إلى عدة مذاهب واتجاهات تخالف عقيدة السلف .

وإلى جانب هذا كانت تنتشر فيها مبادئ الإباحية التي تدعو إلى الفساد والتحلل من أوامر الدين ونواهيه .

(١) انظر مجموع هذه الرسائل في الكتب التالية :

١- تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد .

٢- الدرر السنية في الأجواء النجدية جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .

٣- القسم الخاص من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية) طبعة جامعة الإمام محمد

ابن سعود الإسلامية بمناسبة أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٢) تاريخ نجد لابن غنام ، ص ٨٢ تحقيق ناصر الدين الأسد .

ومبادئ الدعوة تتعارض مع هذه المنكرات فهي تحارب الشرك والفساد في جميع صورته وأشكاله .

لهذا نجد أن أول ضربة وجهت إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت من قبل حاكم الأحساء سليمان بن غرير وذلك بتهديد أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر حينما نصر الدعوة وآزر الشيخ محمد بن عبد الوهاب على إزالة الفساد وآثار الشرك .

ولم يقف هذا التهديد عند هذا الحد بل انتقل إلى الصدام المسلح فعندما انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية واتسعت دائرة دعوته في معظم بلاد نجد انضم عريعر بن دجين وعشائر بني خالد في الأحساء إلى صفوف أعداء الدعوة ، وجاءوا بجيش كبير لمداومة الدرعية والقضاء على دولة التوحيد فحاصروا الدرعية ورموها بالمدافع لكن الله وقاها شرهم فعادوا خائبين .

يقول المؤرخ ابن غنام رحمه الله في سرد أحداث سنة (١١٨٧ هـ) : فلما استقرت جنود عريعر ومن والاه في تلك البلاد ارتد^(١) أكثر أهل نجد وسارعوا إلى الضلال وانضم دهام بن دواس مع قومه وأهل منفوحه إلى عريعر ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾^(٢) .

ثم استشار عريعر ذوي المعرفة من أهل نجد في المنزل الذي ينزله من الدرعية مع أعرابه بحيث يتسع للحضر والبدو من أهل الأحساء ومن انضم إليهم فاستقر الرأي على أن ينزل بين قرى القصير وقرى عمران ومعه المدافع والقنابر^(٣) فامتلاء قلوب

(١) لعل ابن غنام - عفا الله عنه - يقصد أنهم نقضوا الولاء لدولة التوحيد وانضموا إلى أعداء الدعوة .

(٢) الآية ١١ من سورة الحج .

(٣) جمع قنبرة وهي قنبلة المدفع .

أهل البلاد رعباً فأناب المسلمون إلى الله ولجأوا إليه تعالى في كشف ما نزل بهم وعزموا على القتال وتوكلوا على الله - إلى أن قال - ثم احتدم القتال إلى أن شاء الله أن ينصر عباده المخلصين فهزموا الأعداء وقتلوا منهم نحو خمسين^(١) . . . انتهى كلام ابن غنام .

هكذا كان موقف أهل الأحساء من الدعوة في ذلك الوقت فهل يكفيهم ذلك عن تكرار عدوانهم الذي باء بالفشل ؟

إن الظروف السياسية في ذلك الوقت جعلت أهل الأحساء يتكلمون من موقع القوة فلا بد أن يعيدوا العدوان بشكل أوسع وبقوة أكثر أخذاً بالتأثر من جهة ، وللحفاظ على قوة مركزهم من جهة أخرى .

لهذا رأى الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود رحمهم الله أن من المناسب مبادرتهم قبل أن يبادروه ليقطع عليهم حبل العودة إلى العدوان فأصحاب الدعوة ليسوا دعاة حرب ولا سفاكي دماء بل دعاة إلى الخير والرشاد وإخلاص العبادة لله .

يقول المؤرخ ابن غنام في سياقه لأحداث سنة (١٢٠٧هـ) : ثم سار سعود بالمسلمين يريد الأحساء وأرسل مع غنيم أبي العلاء ومهوس بن شقير كتاباً إلى أهل الأحساء يدعوهم فيه إلى الطاعة ، والدخول في الإسلام ويحذرهم من الصد والاعراض فبادروا إلى الطاعة ولم يترددوا ، وأرسلوا إلى سعود يدعونه إلى القدوم إليهم ليبايعوه^(٢) .

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ج ١ ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ص ١٨٢ .

ولهذا وجد أئمة الدعوة الفرصة متاحة لنشر دعوتهم في ربوع الأحساء فاستجاب الإمام سعود إلى ذلك وسار بنفسه إليهم حتى قدم الأحساء في شهر رمضان سنة (١٢٠٧هـ) وأخذت له البيعة وعاهد أهلها على السمع والطاعة وقبول مبادئ الدعوة فأمر - رحمه الله - بإزالة القباب المشادة على القبور وتسويتها على الأمر المشروع وإزالة جميع مظاهر الشرك من البدع والخرافات والأدعية الباطلة وأمر بإقامة شعائر الدين ونشر العلم وإحياء السنة وإماتة البدعة .

يقول ابن يشر : ودخل المسلمون الأحساء وهدموا جميع ما فيه من القباب والمشاهد التي على القبور والمواضع الشركية فلم يتركوا لها أثراً^(١) .

أما صاحب كتاب (لمع الشهاب) وقد عرف بتجنيبه على أهل الدعوة (والحق ما شهدت به الأعداء) .

يقول : إن الإمام عبد العزيز بن سعود قال لأحد أمرائه وهو إبراهيم بن عفيصان عند توليه لإمارة الأحساء والقطيف وما حولهما : قم يا إبراهيم سر على بركة الله تعالى إلى الأحساء وكن أميرها وأمير القطيف من توابعك وكل ما تراه صلاحاً للدين ومقوياً لأحوال المسلمين افعله . .^(٢) . انتهى .

فهذه وصية طيبة من هذا الإمام الجليل فإنه لم يحرض ولا ته على جمع الأموال ولا سفك الدماء ، بل كانت وصيته لجنده وولاته بعمل كل ما هو في مصلحة المسلمين وفق شريعة الله .

(١) عنوان المجد ج ١ : ١٢٩ طبعة وزارة المعارف .
(٢) لمع الشهاب تحقيق أحمد أبو حاكمه ص ٧٦ .

الدعوة في الحجاز وبلاد الحرمين :

أخذت الدعوة السلفية المباركة في الإصلاح والانتشار عدة اتجاهات .

اتجاه شرقي وقد قدمنا الحديث عنه في منطقة الأحساء .

واتجاه شمالي وهو ما سنتكلم عنه في طرق الدعوة لأبواب العراق والشام - إن شاء الله - واتجاه غربي وهو ما سنتحدث عنه الآن فنقول :

ثبتت أقدام الدعوة في نجد وتقبل أهلها مبادئها جملة وتفصيلا .

وفريضة الحج ركن من أركان الإسلام يجب على كل مسلم أن يؤديه عند استطاعته لكن الحرمين الشريفين يقعان تحت ولاية الدولة العثمانية ، ويحكمهما أشرف يدينون بالولاء والتبعية للدولة العثمانية التي يعز عليها أن ترى دولة إسلامية يرتفع سناها من داخل الجزيرة العربية ، ومن صحراء نجد بالذات .

لهذا أشيع في بلاد الحرمين الشريفين بشبهات مغرضة ، ومكذوبة على أهل الدعوة ولم يتورع أحدهم حتى رمى أصحاب الدعوة بالزندقة والإلحاد والمروق من الدين ليكون ذلك مبرراً لسبهم وقتالهم ومنعهم من أداء فريضة الحج والقضاء على دولتهم في عقر دارها .

يقول أحمد زيني دحلان في كتابه «خلاصة الكلام»^(١) وهو يتحدث عن ظهور ما يسميهم بالوهابية يقول :

وكانوا في مبدأ أمرهم قبل اتساع ملكهم راموا حج البيت الحرام وكان ذلك في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فأرسلوا يستأذنونه في الحج وأرسلوا

(١) ص ٢٨٨ طبعة مصر ١٣٩٧ هـ .

قبل ذلك ثلاثين من علمائهم وطلبوا الإذن في الحج ولو بمقرر يدفعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في الشرق . انتهى كلامه (مع مراعاة حذف ألفاظ السب والشتم) .

هذه هي الفكرة الشائعة عن الدعوة السلفية وأصحابها في ذلك الوقت لدى معظم أهل الحرمين كما يرونها هذا المفتون عامله الله بعدله .

من هذا المفهوم الخاطي اعتبر أشرف مكة أصحاب الدعوة من أعداء الدين فمنعواهم من أداء فريضة الحج لئلا يختلطوا بالحجاج ، فيوضحوا لهم مبادئ الدعوة السلفية بصورة صحيحة ، وبالتالي نقل هذه الأفكار إلى ديارهم .

والحقيقة أن فرصة تجمع الحجاج من كل حذب وصبوب أكبر فرصة لنشر الدعوة في أنحاء العالم الإسلامي وهذا ما حرص عليه مؤسس الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومؤازرها الإمام محمد بن سعود - رحمهم الله - .

لهذا حرص أشرف مكة على عدم تمكين أحد من أهل نجد من الحج لئلا تنتشر مبادئ الدعوة السلفية بين صفوف الحجاج .

وتذكر أحد المصادر التاريخية أن شريف مكة مسعود بن سعيد حبس في إحدى السنين حجاج نجد ومات عدد منهم في الحبس^(١) .

وقد بذل أصحاب الدعوة شتى الوسائل والأساليب لإقناع شريف مكة بالسماح لأهل نجد بالحج والاختلاط بالحجاج .

نما اضطّر الشريف أحمد بن سعيد أن يطلب من أئمة الدعوة إرسال عالم من أهل نجد لبيان حقيقة ما يدعون الناس إليه .

(١) عنوان المجد ، لأبن بشرج ١ : ٣٧ طبعة وزارة المعارف .

ويروى المؤرخ حسين بن غنام أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود أرسلوا القاضي عبد العزيز الحصين^(١) وحملاًه رساله . . إلى شريف مكة وإلى علمائها^(٢)، جاء فيها ما نصه :

ولما طلبتهم من ناحيتنا طالب علم . . . وهو واصل إليكم ، ويحضر في مجلس الشريف هو وعلماء مكة فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك ، وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم ، وكتب الحنابلة ، والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله إلخ^(٣) .

فلما وصل الشيخ عبد العزيز الحصين إلى مكة نزل على الشريف واجتمع ببعض علماء مكة منهم الشيخ يحيى بن صالح الحنفي ، وعبد الوهاب بن حسن التركي وعبد الغني بن هلال وتناقشوا في ثلاث مسائل :

الأولى : ما نسب إلى أهل الدعوة السلفية من التكفير بالعموم .

الثانية : هدم القباب التي على القبور .

الثالثة : إنكار دعوة الأولياء والصالحين في طلب الشفاعة منهم

وقد أجاب الشيخ عبد العزيز الحصين عن هذه المسائل الثلاث .

أما الأولى : فنفي صدورها من أصحاب الدعوة وقال : إنها زور وبهتان .

وأما الثانية : وهي هدم القباب المشادة على القبور فهو الحق والصواب لورود الأدلة على ذلك .

(١) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد الحصين من أهل الوشم ولد سنة ١١٥٤ هـ تتلمذ على الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في الدرعية وعلى غيره من علماء نجد ويعد من كبار علماء نجد وقضاها أوفد إلى مكة مرتين لإيضاح حقيقة الدعوة السلفية وتوفي في شقراء سنة ١٢٣٧ هـ .

(٢) سنة (١١٨٧ هـ)

(٣) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ج ١ : ١٣٢ تحقيق ناصر الدين الأسد .

وأما الثالثة : وهي دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم ، ولاستغاثة بهم في النوازل فهو أمر باطل لا يجادل في جوازه إلا كل ملحد أو جاهل وقد نص عليه أئمة أهل العلم وقرروا أنه من الشرك الذي فعله القدماء .

يقول المؤرخ حسين بن غنام : فأحضروا كتب الحنابلة فوجدوا أن الأمر على ما ذكر فاقتنعوا واعترفوا بأن هذا دين الله وقالوا : هذا مذهب الإمام المعظم^(١) وانصرف عنهم الشيخ عبد العزيز مبجلاً معزراً . . .^(٢) .

لهذا أذن شريف مكة أحمد بن سعيد لأئمة الدعوة وعموم أهل نجد بقدوم الحرمين وأداء فريضة الحج ، وسلك هذا الشريف مع أهل الدعوة سياسة معتدلة تسودها المودة والمؤاخاة .

ولكن مدة ولاية هذا الشريف على مكة لم تدم أكثر من خمسين يوماً . يقول أحمد زيني دحلان : وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوماً^(٣) .

ولما تولى الشريف غالب بن مساعد على مكة جرت المراسلة بينه وبين الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب .

فقد طلب الشريف منهما إرسال عالم من أهل نجد يوضح له حقيقة الدعوة فأجاباه إلى ذلك وأرسلا إليه نفس الشخص الذي قام بالمهمة السابقة الشيخ عبدالعزيز الحصين ؛ لخبرته وعلمه ، وكفاءته وقد حمّلاه رسالة للشريف ولعلماء مكة^(٤) . جاء فيها النص التالي :

(١) الإمام أبو حنيفة النعمان .
(٢) تاريخ نجد لابن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ج ١ ص ١٢٣ .
(٣) خلاصة الكلام ص ٢٠٣ الطبعة المصرية .
(٤) سنة (١٢٠٤ هـ) .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في بلد
الله الحرام نصر الله بهم دين سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعي الأئمة
الأعلام.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

فقد جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم وسببه هدم بنيان في أرضنا على
قبور الصالحين .

ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين ، وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله . فلما
أظهرنا هذه المسألة ، مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور كبر ذلك على العامة
وعاضدهم بعض من يدعي العلم لأسباب لا تخفى على مثلكم أعظمها اتباع
الهوى ، مع أسباب أخرى ، فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين وأنا لسنا على جادة
العلماء ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب فأشاعوا عنا أشياء يستحيي العاقل من
ذكرها ، وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب فنحن والله
الحمد متبعون لا مبتدعون على مذهب الإمام أحمد . . . وأنتم تعلمون رحمكم الله
أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن
عبدالله^(١) ، وأشرفتم على ما عندنا . أحضروا كتب الحنابلة التي عندنا عمدة كالتحفة
والنهاية عند الشافعية فلما طلب منا الشريف غالب - أعزه الله - ونصره امثلنا وهو
واصل إليكم فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام ، وإن كانت مسألة اجتهاد
فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر
عليه ، وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أني على دين الله ورسوله وأنني متبع
لأهل العلم . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٢) ، انتهى .

(١) هو الشيخ عبد العزيز بن عبدالله الحصين . وقد قدمنا نبذة عن حياته .

(٢) تاريخ نجد لابن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ص ١٧٣ .

وعندما وصل الشيخ عبد العزيز الحصين إلى مكة اجتمع بشريفها وشرح له مبادئ الدعوة وما عليه أهلها من الدين وما يدعون الناس إليه ويعتقدونه وطلب من الشريف احضار من يراه من علماء مكة ليناظرهم ويكشف لهم حقيقة الدعوة. لكن العلماء في هذه المرة رفضوا الاجتماع بالشيخ عبد العزيز الحصين وأكدوا للشريف بأن ابن سعود يريد بسط نفوذه على الحرمين واستغلال خيرات البلاد^(١).

وتذكر بعض المصادر أيضاً أن الشريف غالب أرسل جيشاً كبيراً بقيادة أخيه عبد العزيز بن مساعد لغزو نجد وأن هذا الجيش وصل إلى منطقة السرح حيث حاصر أحد الحصون فيه وهو «قصر بسام»^(٢).

فإذا كان هذا موقف الشريف غالب من الدعوة وأصحابها فلا بد لهم من اتخاذ إجراء حاسم لصدهجمات وغارات الأشراف على نجد.

استمرت المناوشات بين الشريف غالب ودولة التوحيد إلى أن نفذت مبادئ الدعوة السلفية إلى قلوب كثير من أهل الحجاز فانتشرت بين سكان الحجاز. فكانت هذه العناصر بمثابة النواة الأولى التي مهدت لنشر الدعوة في ربوع الحجاز جميعاً ؛ ولأن القبائل الحجازية سئمت الحياة في ظل الأشراف لاستبدادهم ، وصراعهم المستمر على السلطة وبث روح الفرقة بين رجال القبائل والعلماء.

لهذا أحس الشريف غالب بالخطر المحدق به فأرسل إلي الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود يطلب منه إرسال علماء ليناظروا علماء مكة فيما يدعون الناس إليه فأجبه عبد العزيز بالموافقة ويعث إليه نخبة من علماء نجد كبيرهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر^(٣).

(١) عنوان المجد لابن بشر ج ١ : ١٠٧ طبعة وزارة المعارف ، وتاريخ نجد لابن غنام ج ١ : ١٧٤ .
(٢) هذا القصر يقع في بلدة (البرود) في منطقة السرح في نجد بناه بسام بن علي الشبلي .
(٣) هو عالم نجد وفتيها الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر العنقري التميمي ولد في العينة ودرس على علمائها ثم انتقل إلى الدرعية ودرس على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتوفي في مكة سنة ١٢٢٥ هـ .

فلما وصلوا اجتمعوا بالشريف غالب فأحضر معهم عدد من علماء مكة للمناظرة، والمناقشة، فاجتمع القوم عدة أيام إنتهت المجادلة إلى اقتناع علماء مكة بالأدلة والبراهين القاطعة التي أوردها الشيخ حمد فما وسعهم إلا الانقياد والتسليم وأخيراً طلبوا منه الإجابة على ثلاث مسائل:

الأولى: دعاء الأموات.

الثانية: حكم البناء على القبور.

الثالثة: حكم من أتى بالشهادتين ومنع الزكاة.

فأجاب الشيخ حمد على هذه المسائل بجواب كاف شاف مقروناً بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة.

وحرر ذلك برسالة عرفت فيما بعد باسم «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم بالسنة والكتاب»^(١).

وقد ذكر هذه المناظرة الثقات من المؤرخين منهم مؤرخ نجد الشيخ حسين بن غنام^(٢)، والامير محمد بن علي الشوكاني^(٣).

وقد طلب الشريف غالب من الإمام عبد العزيز عقد المصالحة وإنهاء الحرب فأجابه الأمير عبد العزيز إلى ذلك فتم الصلح، وكانت مدته ست سنوات أذن بعد ذلك لحجاج نجد بدخول مكة وأداء مناسك الحج والعمرة وكف عنهم باليد واللسان ونودي بمكة بالأمان وقد وصل حجاج نجد إلى مكة سنة (١٢١٤هـ) ومن بينهم الشيخ علي بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

(١) طبعت هذه الرسالة مفردة ومجموعة في كتاب «الهدية السنية والوهابية النجدية» للشيخ سليمان بن سمحان ص ٤٠.

(٢) تاريخ نجد لابن غنام تحقيق ناصر الأسد ص ٢٠٠.

(٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للإمام محمد بن علي الشوكاني ج ٢: ٧ طبعة القاهرة.

وفي السنة التي تليها حجَّ الأمير سعود بن عبد العزيز بحاشيته ومعه عدد كبير من أهل نجد وواظب على الحج كل عام .

وبعد جراء ذلك اختلط دعاة الدعوة وأصحابها بالكثير من حجاج بيت الله الحرام من جميع أقطار الدنيا وعرفوهم حقيقة دعوة التوحيد التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

فأخذت دولة التوحيد يعلو شأنها وأحسن الشريف بأن البساط قد طوى من تحت قدمية وأصبح سلطانه يؤذن بالأنهيار حتى في بلاد الحرمين نفسها .

ونتيجة إلتقاء أهل نجد بالحجاج تأثر عدد كبير منهم بمبادئ الدعوة ، ورجعوا إلى ديارهم منذرين .

وأخيراً اتهم شريف مكة غالب بأن ابن سعود يسعى إلى تأليب القبائل ضده مما جعلهم يتكالبون عليه لا سيما من اعتنق مبادئ الدعوة .

لذا أرسل الشريف وزيره وصهره عثمان بن عبد الرحمن المضايقي إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في الدرعية ليستشف الأمر وينظر في مدى سريان مفعول الصلح الجاري بينهما .

لكن الأمر كان فوق ما يتصوره الشريف فإن سفيره عثمان ما إن وصل إلى الدرعية ، ورأى سيرة أهلها ، ونظام الحكم فيها اقتنع تماماً بمبادئ الدعوة وأعجب بها غاية الإعجاب فعندما قابل الإمام عبد العزيز في أول مرة قال له العبارة التالية : يا عبد العزيز بشرني بالإمارة وأبشرك بمكة تملكها^(١) .

يقول ابن بشر : وفي سنة ١٢١٧ هـ انتقض الصلح بين الشريف غالب وبين الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وفارق الشريف وزيره عثمان بن عبد الرحمن

(١) خلاصة الكلام لأحمد زيني دحلان ، ص ٢٧١ .

المضايقي وخرج من مكة وترك الشريف ونابذه ووفد على عبدالعزيز وبايعه على دين الله والسمع والطاعة^(١).

كان لهذا الخلاف بين الشريف ووزيره أثره البالغ في إضعاف كفة الأشراف وصار الصلح بينهم وبين دولة التوحيد عديم الجدوى ، وانضم المضايقي إلى صفوف أنصار الدعوة.

وكتب الإمام عبد العزيز إلى القبائل الضاربة حول الطائف بالاجتماع مع عثمان المضايقي والانضواء تحت رايته فما وسع شريف مكة إلا الخروج بجيش للقضاء على شوكة عثمان ، ومن انضم إليه .

لكن لقوة شوكة جيش دولة التوحيد تفهقر الشريف إلى الطائف ، ومنها إلى مكة حيث سقطت الطائف تحت سيطرة القوات السعودية وعين عثمان أميراً عليها .

كما أن الفرصة متاحة لإنهاء نفوذ الأشراف في مكة لهذا توجه الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بجيش كبير ونزل في السيل الكبير^(٢) وظل مرابطاً بهذا الموضع ولم يتقدم إلى مكة خشية إزعاج حجاج بيت الله الحرام ؛ لأن الوقت كان في موسم حج عام (١٢١٧هـ) .

فلما انتهى موسم الحج وعاد الحجاج إلى ديارهم وخلت مكة إلا من أشرافها وأهلها رأى الشريف غالب أنه لا بقاء له فيها فاستحسن تركها والتوجه إلى جدة ليتحصن بها وترك الأمر في مكة بيد أخيه عبد المعين الذي سرعان ما أعلن السمع والطاعة لدولة التوحيد ، وأرسل وفداً من علماء ووجهاء مكة لمقابلة الأمير سعود بن عبد العزيز وأخذ الأمان منه لأهل مكة وجعله أميراً من قبله عليها . فقابل الوفد

(١) عنوان ج ١ : ١٦٢ طبعة وزارة المعارف .

(٢) هو قرن المنازل ، ميقات أهل نجد .

سعود بن عبد العزيز وعرضوا عليه ما طلب عبدالمعين فاستجاب سعود لذلك ووافق على توليه عبد المعين على إمارة مكة وكتب الأمان لأهلها وهذا نصه :

من سعود بن عبد العزيز إلى كافة أهل مكة والعلماء والأغوات وقاضي السلطان .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ،

فأنتم جيران بيت الله وسكان حرمه آمنون بأمنه إنما تدعون لدين الله ورسوله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) ، فأنتم في أمان الله ثم أمان أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبدالمعين ابن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والاسلام ^(٢) .

وبعد عودة الوفد الحجازي يحملون كتاب الأمان إلى أهل مكة وإعلانه للناس جميعاً أحرم الأمير سعود وجيشه بالعمرة ، ودخلوا مكة فطافوا وسعوا .

وبعد الفراغ من مناسك العمرة . دعا الأمير سعود الناس إلى الاجتماع في المسجد الحرام فحضروا وفي مقدمتهم الشريف عبد المعين ومفتى مكة الشيخ عبد الملك القلعي فقام سعود - رحمه الله - خطيباً فبعد أن حمد الله وأثنى عليه شرع يشرح حقيقة توحيد الله وما ينافيه من الشرك الذي قاتل عليه نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم حث على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإزالة آثار الشرك وهدم الأبنية والقباب المشادة على بعض القبور فبعث إلى تلك القباب والأبنية من يهدمها ويسويها بالأرض على الأمر المشروع ثم أمر بإزالة آثار الفساد

(١) الآية ٦٤ من سورة آل عمران .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ج ١ : ١٦٣ طبعة وزارة المعارف .

والمعاصي ونودي بالمواظبة على أداء الصلاة المكتوبة جماعة في المساجد ورتب لها الأئمة الأكفاء .

وقد صحب الأمير سعوداً في هذا الفتح أحد أئمة الدعوة وهو الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١)، وقد شاهد أحداث الفتح فأعد رسالة طويلة فصل فيها ما فعله الأمير سعود وحسن المعاملة التي عامل بها علماء ووجهاء وعامة أهل مكة وضمنها أيضاً بيان مذهب أصحاب الدعوة السلفية في الأصول والفروع . نذكر منها النص التالي : يقول - رحمه الله - :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد .

فإننا معشر غزو الموحدين لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت الثامن من شهر محرم سنة (١٢١٨هـ) ، بعد أن طلب أشراف مكة وعلماءؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود حماه الله الأمان ، قد كانوا تواطئوا مع أمراء الحجاج وأمير مكة على قتاله أو الإقامة في الحرم ليصدوه عن البيت فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم ففرقوا شذر مذر كل واحد يعد الإياب غنيمة ، وبذل الأمير حيثنذ الأمان لمن بالحرم الشريف ودخلنا شعارنا التلبية آمنين محلقيين رؤسنا ومقصرين غير خائفين من أحد من المخلوقين بل من مالك يوم الدين ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون لم يعضدوا به شجراً ولم ينفروا صيدا ولم يريقوا دماً إلا دم الهدى وما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع ، ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير عافاه الله على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وحده .

(١) تقدم التعريف به في مبحث وفاة الشيخ محمد .

وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين .

أحدهما : إخلاص التوحيد لله تعالى ، ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد وترك الإشراك قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة .

الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه وانمحي أثره ورسمه ، فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلاً ، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة ، وقبل منهم ، وعفا عنهم كافة . . إلى آخر الرسالة وهي بتمامها ضمن كتاب «الهدية السنية» لابن سحمان^(١) .

ورسالة الشيخ عبدالله شاهد عدل على حسن معاملة أصحاب الدعوة لسكان بيت الله الحرام واحترامهم له وإقامة شعائر الدين وقد حماهم الله وسددهم فلم يسفكوا فيها دماً ولم يرتكبوا فيها إثماً ، وقد حج في موسم ذلك العام عدد كبير من أهل المغرب فرأى الأمير - رحمه الله - أن من الخير بذل النصيح لهم . وهذه عادة أئمة هذه الدعوة يتخللون الناس بالنصح والتوجيه كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

يقول المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي^(٢) : لفظ الناس من خبر الوهابي^(٣) ، واختلفوا فيه فمنهم من يجعله خارجياً وكافراً وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم ، ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه وأرسل إلى شيخ الركب المغربي كتاباً ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته وصورتها .

(١) الهدية السنية ص ٢٦ طبعة النهضة الحديثة مكة ١٣٨٩ هـ .

(٢) مؤرخ مصري ولد سنة ١١٦٧ هـ وتوفي سنة ١٢٣٧ هـ . من مؤلفاته تاريخه المشهور (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) في أربعة أجزاء .

(٣) يريد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا - إلى أن قال -

وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء والشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والندور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك فنهى أن يجصص القبر وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر^(١).

وثبت عنه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب وأمر أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه . ولهذا قال غير واحد من العلماء :

يجب هدم القباب المبنية على القبور ؛ لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا هو الذي أوجب الخلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفروا بهم ، وهو الذي ندعو الناس إليه ، ونقاتلهم عليه بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإجماع السلف الصالح من هذه الأمة متمثلين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾^(٢).

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾^(٣).

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الجنائز ج ٢ : ٦٦٧ ترتيب محمد عبد الباقي .

(٢) البقرة : ١٩٣

(٣) الحديد : ٢٥

وندعو الناس إلى إقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع ، وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (١) .

فهذا هو الذي نعتقده ، وندين الله به فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضاً أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك (٢) . إلخ الرسالة .

ويعلق المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي على هذه الرسالة فيقول : إن كان كذلك فهذا ماندين الله به نحن أيضاً وهو خلاصة لباب التوحيد وما علينا من المارقين والمتعصبين انتهى كلام الجبرتي .

هذا هو رأي مؤرخ مشهور معتمد محايد سبر الأحداث وحققها فأبت نفسه إلا أن تنطق بالحق .

ولم تزل الدعوة في تقدم وظهور حتى انتشرت في جميع نواحي الحجاز وقد بايع أهل المدينة سعوداً على السمع والطاعة وإقامة شعائر الدين فهدمت القباب المبنية على القبور ونادى في طيبة داعي الفلاح وأمنت السبل وعم الرخاء ورخصت الأسعار في بلاد الحرمين وغيرها .

(١) الحج : ٤١

(٢) من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ، لمحمد أديب غالب ص ٩٣ ، ٩٤ طبعة دار اليمامة الرياض .

الدعوة في تهامة.

إن حركة المد والجزر بين الدولة السعودية الأولى في نجد وبين أشراف مكة التي دامت أكثر من أربعين سنة أعطت القبائل الضاربة في جنوب الحجاز الفرصة لتفهم الدعوة السلفية وبالتالي استجابت هذه القبائل لمبادئ الدعوة عن قناعة وطوعية فعملت بإخلاص في سبيل نشرها . ووقفت هذه القبائل موقف المؤيد والمعين للدولة التوحيد في العمليات الحربية التي خاضتها ضد الأشراف بمكة .

يقول المؤرخ عثمان بن بشر :

ثم أرسل عبد العزيز إلى هادي بن قرملة ومن لديه من قبائل قحطان وربيعة بن زيد أمير الوادي ومن معه من الدواسر وغيرهم .

وأمر أيضاً على قبائل من أخلاط البوادي وجيش من الحضرة وأمرهم أن يجتمعوا ويكونوا في وجه الشريف فقوى الله عزائمهم وساروا إليه حتى داهموه في منزله على الحزمة . . . (١) انتهى .

هكذا كان موقف هذه القبائل مع دولة التوحيد وهو موقف إخلاص ومؤازرة . ومن هذه القبائل انطلقت الدعوة إلى منطقة تهامة عسير حتى تأثرت بالدعوة السلفية ، وفي هذه المنطقة وجدت الدعوة أذنأ صاغية وقلباً نيراً متفتحاً تقبل الدعوة السلفية ودافع عنها .

لهذا بادر أحد زعماء القبائل فيها وهو الشريف أحمد بن حسين الفلقي بالذهاب إلى الدرعية قاعدة الدعوة السلفية ليتلقى مبادئ الدعوة من رجالها الأوائل .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد . للشيخ عثمان بن بشر ج ١ : ١٥١ طبعة وزارة المعارف .

وصل هذا الزعيم إلى الدرعية وبعد الاطلاع على حقيقة الدعوة وسيرة أهلها وما يدعون الناس إليه اتسعت دائرة الرؤية لديه وعرف يقيناً أن مبادئ هذه الدعوة وأهدافها هو عين الحق الذي لا إشكال فيه وهو إخلاص العبادة لله وحده وإقامة شعائر الدين الإسلامي الحنيف .

لهذا عزم الفلقي على نشر الدعوة في ربوع عسير والمخلاف السليماني^(١) ، فعندما أراد العودة من الدرعية طلب من الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود تزويده بكتاب يكون حجة له في نشر الدعوة بين تلك القبائل .

ولما كان الهدف هو نشر الدعوة إلى الله استجاب الإمام عبد العزيز لطلب الفلقي وحمّله الرسالة التالية إلى أهل المخلاف السليماني :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني ، وفقنا الله وإياهم إلى سبيل الحق والهداية ، وجنبنا وإياهم طريق الشرك والغواية ، وأرشدنا وإياهم إلى اقتفاء آثار أهل العناية أما بعد :

فالموجب لهذه الرسالة أن الشريف أحمد^(٢) ، قدم علينا فرأى ما نحن عليه وتحقق صحة ذلك لديه فبعد ذلك التمس منا أن نكتب ما يزول به الاشتباه لتعرفوا دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه .

فاعلموا - رحمكم الله تعالى - أن الله أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكبره وزيدته إخلاص العبادة لله لا شريك له والنهي عن الشرك وذلك هو الذي خلق الله الخلق لأجله ودل الكتاب على فضله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

(١) المخلاف السليماني هو ما يعرف الآن بمنطقة جازان ، وكانت قاعدته مدينة (أبو عريش) .

(٢) هو الشريف أحمد بن حسين الفلقي .

لِيَعْبُدُونِ ﴿^(١)﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ^(٣) ، وإخلاص الدين هو صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له وذلك بأن لا يدعى إلا الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يذبح إلا لله ولا يخشى ولا يرجى سواه ولا يرهب ولا يرغب إلا فيما لديه ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه . وأن كلما هنالك لله تعالى لا يصلح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما ، وهذا هو بعينه توحيد الألوهية الذي أسس الإسلام عليه وانفرد به المسلم عن الكافر . وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله - إلى أن قال :

إذا عرفتم هذا فاعلموا - رحمكم الله تعالى - أن الذي ندين الله به هو إخلاص العبادة لله وحده ونفي الشرك وإقامة الصلاة في الجماعة ، وغير ذلك من أركان الإسلام ، . والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولا يخفى على ذوي البصائر والأفهام والمتدبرين من الأنام أن هذا هو الدين الذي جاءنا به الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال جل جلاله : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ^(٤) . وقال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ^(٥) . فمن قبل ولزم العمل به فهو حظه في الدنيا والآخرة ونعم الحظ دين الإسلام . ومن أبى واستكبر فلم يقبل هدى الله لما تبين له نوره وسناه نهيناه عن ذلك وقاتلناه قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ ^(٦) .

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

(٢) الآية ٣١ من سورة التوبة

(٣) الآية ٣٦ سورة النحل .

(٤) أية ٨٥ سورة آل عمران .

(٥) أية ٣ سورة المائدة .

(٦) أية ١٩٣ سورة البقرة .

وقصدنا من إرسال هذه النصيحة إليكم القيام بواجب الدعوة قال تعالى :
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
(١). وصلى الله على محمد (٢).

وبعد وصول أحمد الفلقي إلى تهامة شرع بالوعظ والإرشاد والتف الناس حوله وتقبلوا مبادئ الدعوة حتى صارت منطقة عسير قاعدة النفوذ في نشر الدعوة السلفية في جنوب الجزيرة العربية بما فيها منطقة المخلاف السليماني حيث دخل شريفها حمود بن محمد الملقب بأبي مسمار (٣). بالطاعة وأعلن ولاءه ومناصرته للدعوة والتبعية لدولة التوحيد في الدرعية .

يقول صاحب كتاب "لمع الشهاب" :

«أرسل الشريف حمود حيثئذ أربعة رجال من بني عمه معهم بعض الهدايا إلى سعود وهو يومئذ في مكة شرفها الله تعالى حاجا وكتب معهم كتاب العهد والأمان وأظهر الطاعة فقبل ذلك سعود منه وأكرم رسله وكتب جوابه :

بأن الآن قد عفا الله عما مضى وقد جعلتك أميراً على تلك النواحي فجاهد في سبيل الله وخصمك خصمنا وصديقك صديقنا . . . (٤) . انتهى

هكذا استقرت الدعوة في جنوب الجزيرة العربية وانتشرت في ربوعها فاجتمعت القلوب على الإيمان وأقيمت شعائر الدين وعُبدَ الله وحده . وانمحت آثار الشرك والبدع والخرافات .

(١) أية ١٠٨ سورة يوسف .

(٢) كتاب الدرر السنية جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ج ١ ص ١٤٦ طبعة دار الإفتاء .

(٣) الشريف حمود بن محمد بن أحمد الحسني التهامي من أشرف تهامة كانت له ولاية «المخلاف السليماني» في عهد الدولة السعودية الأولى توفي سنة ١٢٣٣ هـ .

(٤) لمع الشهاب . تحقيق مصطفى أحمد أبو حاكمه ص ١٣٦ ، ١٣٧ طبعة بيروت .

الباب الثالث

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها

من شبهه وافتراءات

يحتوي هذا الباب على الموضوعات التالية :

- ١- التمهيد .
- ٢- افتراءات سليمان بن محمد بن سحيم والرد عليها .
- ٣- شبهات الشيخ سليمان بن عبد الوهاب والرد عليها وما قيل في رجوعه عنها .
- ٤- افتراءات صاحب كتاب (لمع الشهاب) والرد عليها .
- ٥- افتراءات عثمان بن عبد العزيز بن منصور والرد عليها .
- ٦- شبهات داود بن سليمان بن جرجيس العراقي والرد عليها .
- ٧- افتراءات أحمد بن زيني دحلان والرد عليها .
- ٨- تنويه بكاذبين آخرين هما :

أ - علوي الحداد الحضرمي

ب- جميل صدقي الزهاوي العراقي

١- التمهيد :

إن الدعوة السلفية الإصلاحية التي نادى بها الإمام محمد بن عبد الوهاب كغيرها من الدعوات النافعة لا بد أن تقابل من بعض الناس بالرفض والمعارضة، وبخاصة من الذين لهم نفوذ وشهرة ومكانة اجتماعية لدى العامة.

فيرون قيام مثل هذه الدعوات وتصحيح المفاهيم على يد غيرهم أمر يحط من قدرهم ويصرف الأنظار عنهم. وهذا ما تم بالفعل بالنسبة للدعوة السلفية فقد قوبلت في بداية أمرها في نجد وغيرها بالرفض من قبل البعض، وعدوا منهجها خروجاً عن الدين القويم، ورموا صاحبها بالجهل والضلال، ولم يتورع أحدهم من أن يرميه بدعوى النبوة^(١)، لينفر الناس عنه ويبعدهم عن تفهم دعوته.

أخذ دعاة الباطل يكاتبون الدولة العثمانية، راعية العالم الإسلامي في ذلك الوقت ويستفزون سلاطينها، وقضااتها، وولاتها بأساليب مختلفة طمعاً في إنزال هذه الدولة العملاقة إلى ميدان الحرب ضد الدعوة السلفية، وأصحابها.

وفعلاً استجابت الدولة العثمانية لذلك لحكمة أرادها الله - تعالى - حيث صادمت دولة التوحيد وجهاً لوجه مستخدمة السيف والسنان تارة، والقلم واللسان تارة أخرى.

فقد جهزت جيشاً كبيراً منظماً بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي الألباني وإلى مصر في ذلك الوقت زحف به إلى نجد وحاصر مدينة الدرعية معقل الدعوة

(١) انظر كتاب (الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد)، تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ص ١٢، ١٣ الطبعة الثانية الرياض.

السلفية ، وعاصمة الدولة السعودية الأولى مدة طويلة حتى دمرها سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ م .

أما الغزو الفكري ضد هذه الدعوة . فقد قام بدوره بعض من يدّعي العلم ، والمعرفة بالكتابة والتصنيف والخطب على المنابر ضد هذه الدعوة وأصحابها . وأخذوا بشككون الناس في حقيقة أمر هذه الدعوة وأعدوا رسائل في ذلك ، وصنفوا كتباً حشوها بالكذب والبهتان .

والذين عارضوا الشيخ محمداً وسفّهوا رأيه وتنكروا لدعوته منهم من كان في وقت حياة الشيخ ، ومنهم من جاء بعد ذلك . والشبه واحدة والمفتريات متقاربة كلها كانت تؤخذ من مصدر واحد ، وإن اختلفت المشارب .

ولا نريد هنا أن نذكر جميع هؤلاء المعارضين بالأسماء ، والألفاظ المقذعة التي قالوها فذلك أمر يطول بحثه ، ولا داعي لبعثها ونشرها من جديد فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها لا سيما أن أولئك قد أفضوا إلى ما قدموا ، وسوف يسألون عن ذلك أمام حكم عدل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا .

إلا أن هناك معارضين تجدر الإشارة إلى ذكرهم هنا وإيضاح حقيقة أمرهم حيث لا نزال نسمع لهم ذكرا بين حين وآخر ويوجد من يروج بضاعتهم الزائفة لغرض سيئ .

تأمر أولئك على الدعوة وثار تائرتهم وراحوا يؤلبون عليها العامة والخاصة ، وأجلبوا عليها بالسنتهم وخيلهم ورجلهم ومن كان على شيعتهم .

وأخذوا يرمون أصحاب الدعوة بالكفر والمروق من الدين تارة أو أنها مذهب خامس لا أصل له في الدين الإسلامي تارة أخرى .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ١٦١

وطبعت مؤلفاتهم المحشوة بالزيف والكذب ووزعت في الأقطار ، وانتشرت في الأمصار ، وبذل كل جهد في سبيل ترويجها ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾^(١) .

حقاً إن الموقف دقيق وخرج يتطلب شجاعة وإيماناً في سبيل إرضاء الله وإظهار الحق واضحاً جلياً ، ويكون إلى جانب ذلك قوة لسان ووضوح بيان مقرونان بالحجة والبرهان فبهذا وذلك تقابل هذه الشبهات والمفتريات ويرد ما فيها من ضلالات وأكاذيب ودعاوى باطلة .

وسوف نتكلم في موضوعات هذا الباب عمن اشتهر منهم ، ونُعرِّف في حقيقة أمرهم حتى يعرف القارئ فساد عقولهم ، وبطلان حججهم ، ومن نستمد العون والتسديد .

٢- إفتراءات سليمان بن محمد بن سحيم والرد عليها:

هذا الشخص يعرف بمطوع الرياض ولد سنة ١١٣٠هـ وتوفي سنة ١١٨١هـ في بلد الزبير في العراق ، وهو من المعاصرين للشيخ محمد بن عبد الوهاب ويعد نفسه من أهل العلم في ذلك الوقت ؛ فكان يتولى الإفتاء وإمامة الناس في الصلاة في مدينة الرياض في منتصف القرن الثاني عشر الهجري .

وعند قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته السلفية استحسنها سليمان في أول الأمر ، ولما نشطت وتحولت الأنظار إليها ؛ لأنها أذان بيزوغ فجر جديد تنكر لها سليمان ، وأخذ يؤلب الناس ضدها خوفاً على مركزه الاجتماعي والديني وحسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق .

(١) سورة الصف : ٨

لذا حمل سليمان راية العداء للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته ، ورماه بالجهل والضلال والابتداع في الدين .

فقد بعث رسالة^(١) إلى العلماء والحكام في مختلف الأقطار يدعوهم فيها إلى التصدي لهذه الدعوة والقضاء عليها في مهدها .

يقول فيها - بعد المقدمة - : فقد خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل مضل جرت منه أمور فظيعة ، وأحواله شنيعة فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وحكامهم ليردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته . . . إلخ ما جاء فيها من الألفاظ البذيئة التي يستحيي الجاهل من ذكرها فكيف تصدر من عاقل يدعى العلم والمعرفة .

والمسائل التي استنكرها سليمان واعترض فيها على الشيخ محمد تتلخص في النقاط التالية :

- ١- دعواه أن الشيخ محمداً نبش قبور الصحابة الذين دفنوا في الجبيلة بعد وقعة اليمامة المشهورة لأجل أنهم في حجارة ولا يقدر أن يحفروا لهم فطروا على أضرحتهم قدر ذراع ، ومن أبرز هذه القبور قبر زيد بن الخطاب رضى الله عنه .
- ٢- دعواه أن الشيخ هدم مسجداً في ذلك دون مبرر شرعي .
- ٣- أنه أحرق كتابي «دلائل الخيرات» و «روض الرياحين» .
- ٤- القطع بفساد الوقف .
- ٥- التكفير بالعموم .
- ٦- تكفير ابن الفارض وابن عربي .
- ٧- دعاوى أخرى باطلة نسبها إلى الشيخ زوراً وبهتاناً .

(١) انظر النص الكامل لهذه الرسالة في كتاب «تاريخ نجد» للشيخ حسين بن غنام ص ٢٩٣ ، تحقيق ناصر الدين الأسد .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وإفتراءات ١٦٣

إلى آخر ما جاء في هذه الرسالة من إفتراءات واعتراضات .

وقد حصل لهذه الرسالة دعاية في بعض الأوساط النجدية وبلاد الحرمين فكانت سبباً لكل شروجه لهذه الدعوة .

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل ذلك وملابساته ومغالطات سليمان خشية الإطالة ، ولكن حسبنا أن نبين وجه الحق فيما اعترض به سليمان على الشيخ محمد فنقول :

(١) زعم أن الشيخ محمداً عمد إلى قبور شهداء وقعة اليمامة الذين دفنوا في الجبيلة وهدم قبورهم وبعثرها .

والجواب على ذلك أن الشيخ لم ينبش القبور ولم يبعثرها كما زعم هذا المعترض ، بل أزال الأبنية المشادة على تلك القبور على شكل قباب امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله لحديث أبي الهياج الأسدي قال : «قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»^(١) .

فلما رأى الشيخ رحمه الله جهلة الناس قد اتخذوا من هذه القبور مزارات افتتنوا بها يفزعون إليها عند اشتداد الأمر ونزول المصائب طمعاً في جلب النفع أو دفع الضر زاعمين أن أصحاب هذه القبور هم شهداء اليمامة زيد بن الخطاب ورفقاه رضي الله عنهم .

لكن هذا الزعم باطل فإن الذين قتلوا في حرب الردة زمن مسيلمة الكذاب قد دفنوا في الوادي الذي وقعت فيه المعركة وهو وادي حنيفة ولا يعرف أين موضع

(١) رواه مسلم في كتاب الجنائز ٢: ٦٦٦ ترتيب محمد عبد الباقي .

قبورهم من قبور غيرهم ، وكذلك قبر زيد بن الخطاب بالذات لا يعرف أين موضعه ، وإنما وسوس الشيطان لمن انخدع له بأن هذا قبر زيد فافتتنوا به وفتنوا الناس أيضاً .

ثم لو سلمنا جدلاً أن هذه هي قبور الشهداء حقيقة فإن التوسل بالقبور والبناء عليها محرم ؛ لأن فيها أموات لا يملكون نفعاً ولا ضراً لأنفسهم فكيف ينفعون غيرهم من الناس فأزال الشيخ الأبنية المشادة على هذه القبور إبطالا لهذا المعتقد الباطل وسداً لذريعة الشرك .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد)^(١) (فوائد غزوة الطائف) : ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً فإنها شعائر الكفر والشرك ولا يجوز الإقرار عليها بعد القدرة عليها البتة قال :

وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله وكذا الأحجار التي تقصد بالتعظيم والتبرك ، والنذر والتقييل فلا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . . .

وقال الإمام الصنعاني - رحمه الله - مادحاً الشيخ محمداً ودعوته :

ويعمر أركان الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد^(٢)

هذا هو الذي تعرض له الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(١) ج ٣ : ٥٠٦ تحقيق شعيب الأرناؤوط الطبعة الثانية .

(٢) عنوان المجد ج ١ : ٦٩ لابن بشر طبع وزارة المعارف .

أما القبور نفسها فلم يتعرض لها بسوء فهو يعتقد أن حرمة الميت المسلم كحرمة حياً ، وكتب الشيخ ورسائله تؤكد هذا .

أما قول المعارض : (لأجل أنهم في حجارة ولا يقدر أن يحفروا لهم فطوا على أضرحتهم قدر ذراع . . إلخ .)

فهذا القول أيضاً ليس بصحيح فإن تلك القبور لم تكن في حجارة حتى يكون هذا مبرراً لرفع البناء عليها ؛ بل كانت في أرض سهلة تمكن من التلحيد فيها .

يقول مؤرخ نجد الشيخ حسين بن غنام وقد شاهد تلك القبور زمن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب يقول :

فإن الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر وأهل العينة ، والجيلة ، وغيرهما من بلدان العارض يدفنون موتاهم في تلك المقبرة وهي أرض سهلة لا حجارة فيها ^(١) .

(٢) وأما قوله : (عمد أيضاً إلى مسجد في ذلك وهدمه دون مبرر شرعي) فإن كلامه يشير إلى أن هذا المسجد قد أقيم على تلك القبور وعلى قبر زيد المزعوم بالذات .

ومما يؤكّد هذا رواية الشيخ حسين بن غنام وهي قوله : فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره وذلك المسجد المبني على المقبرة ^(٢) .

والشارع قد نهى عن إقامة المساجد على المقابر سداً لذريعة الشرك ، وحمى جانب التوحيد ؛ فلأجل هذا أزال الشيخ هذا المسجد لما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول صلى الله

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ، ص ٣١١ - ٣١٢ ، تحقيق ناصر الدين الأسد .

(٢) المرجع نفسه .

عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة^(١)).

وحديث (فأولئك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^(٢)) فهل في هذا لوم على الشيخ ، وقد جاء بدعوته المباركة ليعود بعقيدة التوحيد إلى معينها الصافي خالصة من الشرك وذرائعه . فلا وجه للاعتراض بذلك .

(٣) أما دعوى المعارض بأن الشيخ محمد قد أحرق كتاب «دلائل الخيرات»^(٣) . لأجل قول صاحبه سيدنا ومولانا ، وأحرق أيضاً كتاب «روض الرياحين» .

فلم يثبت هذا الادعاء برواية صحيحة .

وكل ما في الأمر أن الشيخ حذر خواصه من الناس بأن لا يجعلوا هذين الكتابين في نفوسهم أجل من كتاب الله فبشتغلوا في ترديدهما ويتركوا كتاب الله المشتغل على سعادة الدارين .

وقد نوه الشيخ نفسه عن هذا بقوله :

وأما دلائل الخيرات فلذلك سبب وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن (٤)

(١) رواه البخاري ج ١ : ١١١ ومسلم ج ١ : ٣٧٦ ترتيب محمد عبد الباقي .

(٢) رواه البخاري ج ٢ : ١٠٦ ومسلم ج ١ : ٣٧٧ ترتيب محمد عبد الباقي .

(٣) سبقت الإشارة إليه .

(٤) تاريخ نجد لحسين بن غنام ص ٣٦٠ تحقيق ناصر الدين الأسد .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ١٦٧

فمفهوم كلام الشيخ أنه يكفي عن دراسة هذين الكتابين وترديدتهما لفظ «اللهم صل على محمد وآله وصحبه» .

هذا اللفظ هو الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالروايات الصحيحة وهو القدوة والأسوة وهذا معتقد سلف هذه الأمة .

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني حينما نقل إليه دعوى أن الشيخ أحرق كتاب «دلائل الخيرات» :

وأحرق عمداً للدلائل دفترا أصاب ففيها ما يجلب عن العد
غلو نهى عنه الرسول وفرية بلا مزية فاتركه إن كنت تستهد
أحاديث لا تعزى إلى عالم فلا تساوي فليسا إن رجعت إلى العد

(٤) وأما قول المعترض : بأنه يقطع بفساد الوقف . . إلخ

فلا حقيقة لهذا الزعم ؛ بل المعروف والمشتهر عن حال الشيخ في فتاواه، ومراسلاته، ومصنفاته الحث على الأوقاف المطلقة المقصود منها نفع اليتامى والمساكين وأبواب البر الأخرى مما يراد به وجه الله والدار الآخرة .

قال الشيخ محمد - رحمه الله - :

إن الرجل إذا وقف بعض ما له يريد به وجه الله والدار الآخرة، ولا يريد حرمان أحد، ولا تحريم بيعه عليهم خوف الفقر بل مقصوده وجه الله أنه يصح^(١) .

هذا هو رأي الشيخ في حكم الوقف لا كما يدعيه هذا المعترض تشويهاً للحق .

أما الوقف الذي أفتى الشيخ بعدم صحته، وحكم بفساده فهو نوع آخر وهو وقف الجنف والإثم .

(١) الدرر السنية ج ٥ : ٢٥٩

مثاله : كأن يعمد أحدهم إلى قسم ماله على هواه فراراً من قسمة الله ، وتمرداً عن دينه كأن يوصي بأن لا ترث امرأته من هذا النخل ، ولا تأكل منه إلا حياة عينها ، أو يريد أن يزيد بعض أولاده على بعض في الميراث .

فهل مثل هذا يعد وقفاً؟! الجواب لا . هذا النوع ليس وقفاً بل هو تحايلاً على إبطال ما شرعه الله .

قال تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمَتُ لِحَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿وَلَهُنَّ الْرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِكُمْ تَوْصُوتُ بِهَا أَوْ دَيْنٌ﴾ (٢) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلا أدنى رجل ذكر) (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام : (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) (٤) .

فهل يا ترى تترك ، أحكام هذه الأدلة ، ويؤخذ بوصايا جانفة جائرة .

وهذه المسألة قد أثرت وقت انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولعل المعترض ممن أفتى بصحتها فحمله التعصب لرأيه ، وأتباع الهوى بأن يرمى الشيخ محمداً بأنه يقطع بفساد الوقف ، وإلا فأي عدالة في هذه الوصية .

وبتتبع آثار الشيخ محمد ومصنفاته وجد أنه قد أعد رسالة في هذه المسألة بالذات ، وقد سماها «إبطال وقف الجنف والإثم» . وقد قدّمنا الكلام عليها في فصل مصنفاته .

(١) الآية ١١ سورة النساء .

(٢) الآية ١٢ سورة النساء .

(٣) رواه البخاري في كتاب افرائض ج: ٦ طبعة استانبول .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الوصايا ج: ٣: ١١٤ والترمذي والنسائي وغيرهم .

فمن هذا يعلم أن الشيخ محمداً لم يقطع بفساد الوقف إلا ما كان مجانفاً للحق وفراراً من وصية الله بالعدل .

(٥) وأما قول المعارضين بأن الشيخ يقول : إن الناس منذ ستمائة سنة ليسوا على شيء وأن من لم يتبعه يقطع بكفره وبكفر ابن الفارض وابن عربي وقد استدل المعارض بهذا على أن الشيخ محمداً يكفر العامة .

فالجواب : أن الشيخ رحمه الله لم يكفر الأمة على الإطلاق كما يفهمه هذا المعارض ؛ بل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ملتزماً بمضمون الشهادتين فهو عند الشيخ وسائر العلماء من أهل السنة والجماعة موحد معصوم الدم والمال ولو كان فاسقاً ؛ لأن المسلم لا يخرج عن دائرة الإسلام إلا بالشرك أو الكفر .

لكن مَنْ عرف دين الإسلام ثم سبه ونهى الناس عنه وعادى أهله فهذا الصنف من الناس يكفره الشيخ محمد وغيره من العلماء .

يقول الشيخ في رسالة أرسلها إلى أحد علماء العراق الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السويدي شرح له فيها عقيدته وما هو عليه .

فيقول : وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ، ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه ، وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره ، وأكثر الأمة - ولله الحمد - ليسوا كذلك ^(١) انتهى .

فانظر إلى قوله : وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك فهل يتفق هذا القول مع الزعم القاتل بأن الشيخ يكفر الأمة على الإطلاق .

(١) الدرر السنية ج ١ : ٥٦ طبعة دار الإفتاء السعودية .

ويقول الشيخ محمد أيضاً : وأما القول : بأننا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون عن هذا الدين .

فهذا القول تأكيد لما سبق فلا وجه لهذه الدعوى الباطلة من أن الشيخ يكفر بالعموم .

وقبل الانتقال عن الكلام في هذه المسألة يحسن بنا أن نختمها بقول أحد أبناء الشيخ ؛ وهو علامة نجد في وقته الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . حينما دخل مكة المكرمة في شهر محرم عام ١٢١٨ هـ صحبة الإمام سعود بن عبد العزيز^(١) اجتمع الشيخ عبد الله بعلماء البلد الحرام وسألوه عما ينسب إلى أئمة الدعوة فأجاب بقوله :

وأما ما يكذب علينا ستر الحق وتليساً على الخلق بأننا مجسمة وأنا نكفر الناس على الإطلاق و..... و..... لما استفهمنا عنها من ذكر كان جوابنا في كل مسألة من ذلك : سبحانك هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسب إلينا فقد كذب علينا وافترى^(٢) .

هكذا كان موقف الشيخ محمد - رحمه الله - من هذه المسألة ، وموقف من جاء بعده من أئمة الدعوة ، وسار على نهجه .

وكل من عرف هذه الدعوة على حقيقتها ، وخالط أهلها والمنتسبين إليها ، وسبر حالهم ، واطلع على آثارهم يدرك هذا تماماً .

(١) هو الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ولد في الدرعية سنة ١١٦٣ هـ قائد شجاع تولى الحكم في عهد الدولة السعودية الأولى بعد اغتيال أبيه سنة ١٢١٨ هـ وتوسعت الدولة في عهده ، وتوفي في الدرعية سنة ١٢٢٩ هـ .

(٢) الدرر السنية ج ١ : ١٢٧ طبعة دار الإفتاء .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ١٧١

(٦) أما تكفير ابن عربي ، وابن الفارض فلم ينفرد الشيخ بتكفيرهما بل كفرهما جمع من أهل العلم .

أما ابن عربي فهو من القائلين بوحدة الوجود ، وقد حكم العلماء بأنه أكفر من فرعون .

وقيل : من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر ، ذكر هذه المقالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله^(١) نقلاً عن ابن مقري الشافعي .

(٧) أما بقية ما احتوته رسالة هذا المعترض فقد أجاب عنها الشيخ محمد جملة : أنها كذب وبهتان قال - رحمه الله - ما نصه : فالمسائل التي شنع بها - أي سليمان بن سحيم - منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله : إني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وقوله : إني أدعى أني أكفر من توسل بالصالحين ، وقوله إني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق ، وقوله : إني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها ، وجعلت لها ميزاباً من خشب وقوله : إني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله : إني أنكر زيارة قبور الوالدين وغيرهم ، وإني أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول : سبحانك هذا بهتان عظيم^(٢) .

وقد أكد هذا النفي رحمه الله أكثر من مرة فحينما سئل عما ينسب إليه من الأقاويل الباطلة أجاب بقوله : « الحمد لله رب العالمين أما بعد فما ذكره المشركون عني أني أنهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو أني أقول لو أن لي أمراً هدمت قبه النبي - صلى الله عليه وسلم - أو أني أتكلم في الصالحين أو أنهى عن

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ، ص ٣٠٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .

محبتهم فكل هذا كذب وبهتان افتراه علي الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل»^(١).

فهل مع هذه الأقوال الصريحة الصحيحة يستطيع قائل أن يقول: إن الشيخ لا يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهى عن الصلاة عليه وعن زيارة قبره.

إن المنصف حينما يقف على هذه النصوص يدرك تماماً أن ما افتراه سليمان بن سحيم من الكذب والبهتان أملاهما عليه الحسد والبغض الدفين للدعوة السلفية وأثمتها طمعاً في تثبيت مركزه الديني والإحتماعي.

فقد روى أن هذا الشخص يكتب الحجب التي تعلق على شكل تمائم وبعبارات غير واضحة، طلاس لا يعرف لها معنى ويأخذ عليها أجراً حتى إنه كتب لامرأة حجاباً لعلها تحبل^(٢)، وقد ذكر أهل العلم أن ذلك من السحر ومعلوم حكم الساحر.

إن من يفعل هذا جدير بأن يخلق الكذب والبهتان وهو أشد إذا صاحبه حسد وهوى. وإلا فإن الشيخ محمداً يعتقد أن رتبة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أعلى مراتب المخلوقين وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء، ومن أشغل وقته في الصلاة والسلام عليه على ما ورد عنه فقد فاز بسعادة الدارين، وأنها تسن زيادة قبره، لكن لا تشد الرحال إلا لزيارة مسجده كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم، وأنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، ولا ينكر كرامات الأولياء والصالحين؛ بل يعترف بحقهم، وأنهم على هدى من ربهم إذا سلكوا الطريق السوي لكن لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادة.

(١) الدرر السنية ج ١ : ٥٢ طبعة دار الإفتاء السعودية .

(٢) تاريخ نجد لحسين بن غنام ص ٣٢٨ تحقيق ناصر الدين الأسد .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ١٧٣

هذه حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا كما توهمه هذا المعترض المفتون قال الشاعر:

وما ضر نور الشمس أن كان ناظراً . . إليها عيون لم تزل دهرها عميا

إن الفجر الصادق قد لاح في سماء نجد تلك الفترة بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المباركة فبددت ظلام الجهل وانفضت سوق الدجل والتضليل وأصبحت شمس الحق والهدى تملأ كل مكان فاضطر هذا الكاذب المفتون ومن كان على شاكلته أن يختفى اختفاء الخفاش في وضوح النهار فقد ترك سليمان بن سحيم نجداً ليقيم في بلد الزبير في العراق حتى وافاه أجله سنة (١١٨١هـ) فقدم على ما قدم فوقاه الله حسابه .

٣- شبهات الشيخ/سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان بن مُشَرَّف والرَّد عليها :

ولد الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في بلدة العيننة وتوفي في مدينة الدرعية سنة ١٢٠٨هـ وهو أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأمه وأبيه تربي وتعلم بنفس المدرسة التي تربي بها الشيخ محمد في العيننة ، وحرملأ على يد أبيهما الشيخ عبد الوهاب ، وعلى غبره من علماء نجد في ذلك الوقت .

وخلف سليمان أباه في قضاء وإمامة الجماعة في حرملأ بعد وفاة الشيخ عبد الوهاب عام (١١٥٣هـ) .

إن كليهما من نبات ذلك النقع الطاهر النقي لكن اختلف الثمر ، فالشيخ محمد إمام هذه الدعوة السلفية المباركة .

وأما سليمان فقد شك في صحة هذه الدعوة في بداية أمره وربما دب إليه داء الحسد وحب الرياسة والظهور .

فنجده يكيد لأخيه ويلفق عليه الأكاذيب ويقف في صف خصومه ومعارضيه .

وقد أعد رسالة عام (١١٦٧هـ) لأهل حريملاء ، عرفت فيما بعد بعنوان «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية»^(١) .

وتذكر بعض الروايات أن هناك رسالة أخرى للشيخ سليمان اسمها «حجة فصل الخطاب من كتاب رب الأرباب ، وحديث رسول الملك الوهاب وكلام أولى الألباب في إبطال مذهب ابن عبد الوهاب» والظاهر أنها هي الأولى ، وسبب إختلاف العنوان من فعل النساخ .

أو من فعل المغرضين الذين استخدموا هذه الرسالة كسلاح يقفون به في وجه الشيخ محمد ودعوته المباركة .

وقد جاء فيها عدة اعتراضات على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومخاطبات بأسلوب العتاب الجاف ، والنقد المشوب بالمغالطات فيقول سليمان مخاطباً الشيخ محمد :

«من أين لكم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إذا دعا غائباً أو ميتاً أو نذر له أو تمسح بقبره أن هذا هو الشرك الأكبر من فعله حل ماله ودمه»^(٢) .

(١) علماء نجد . للشيخ عبد الله البسام ج ١ : ٣٠٤ الطبعة الأولى مكة .

(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية لمنير العجلاني ج ١ : ٣١٧ طبعة بيروت .

هذه نماذج مما أورده الشيخ سليمان في رسالته المشار إليها .

فكيف فهم سليمان أن سؤال الموتى وإنزال الحوائج بهم مما هو مختص بالله عز وجل لا يكفر فاعله .

ولدراسة هذه الشبه التي أوردها الشيخ سليمان وبيان وجه الحق فيها نرجع إلى نصوص قاطعة تزيل الشك ، والارتباب .

يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (١) .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً كلها تقرر حقيقة واضحة وهي أن لا يعبد إلا الله دعاء وتوسلاً وتوكلاً .

ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما : (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) (٣) .

فأين هذا ممن يدعو ويتوسل بقبور الموتى طالباً منها جلب نفع أو دفع ضرر . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه :

فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان انصرني أو أغثنى أو ارزقني أو أنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل (٤) .

(١) سورة الجن الآية ١٨ .

(٢) سورة يونس الآية ١٠٦ .

(٣) رواه الترمذي في باب صفة القيامة وقال : حديث حسن صحيح ج ٧ : ٢٠٣ .

(٤) نقل ذلك عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة له إلى أهل العيينة ، انظر : تاريخ نجد لابن غنام ، ص ٤٣٧ ، تحقيق ناصر الدين الأسد .

هذا كلام إمام ثقة من أئمة أهل السنة والجماعة يؤكد بوضوح أن من أتى بشيء من هذه التوسلات والدعوات لغير الله فهو مشرك ضال . وهذا ينافي ما اعترض به الشيخ سليمان من شبه وضلالات .

وينقل العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية - رحمه الله - كلاماً لأبي الوفاء ابن عقيل^(١)، - رحمه الله - فيقول قال :

لما صعبت التكليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذا لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال : وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد السرج عليها وتقبيلها ، وخطاب أهلها بالحوائج وكتابة الرقاع فيها يا مولاي أفعل بي كذا وكذا وأخذ تربتها تبركاً وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى^(٢) ، انتهى كلامه .

فرحم الله ابن عقيل حيث يقول عن هذا الصنف من الناس : (وهم عندي كفار بهذه الأوضاع) ثم جعل يعدد أفعالهم الباطلة .

فهل بقي دعوى وحجة لمن زعم أن هذه الضلالات لا تضر مع شهادة الأئمة إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وإذا رجعنا إلى معنى شهادة الأئمة إلا الله نجدها نفياً وإثباتاً؛ فهي نفى لكل ما يعبد من دون الله وإثبات العبادة لله وحده ، وشهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع .

(١) هو أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل البغدادي أحد أئمة الحنابلة في الأصول والفروع توفى سنة ٥١٣هـ .

(٢) كتاب إغاثة اللهفان لابن القيم ج ١ : ١٩٥ طبعة دار المعرفة .

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أمر بتوحيد الله بالعبادة ، وهذا لب رسالته ودعوته ونهى وزجر وحذر من عبادة الأوثان بأي صورة من الصور وشكل من الأشكال ، وشرع لنا جميع أمور ديننا ، ودنيانا فهل شرع لنا التوسل بالأموات ، وطلب الحاجات منهم أبداً لم يشرع شيئاً من ذلك وها هو يقول في الحديث السابق ذكره ﴿ إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ﴾ .

فمن شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ودعا الموتى وتمسح بقبورهم وطلب الحاجات منهم فهل حقق معنى شهادة التوحيد؟!!

وقد تكلم ابن القيم - رحمه الله - عن الشرك وأنواعه فقال : «ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى ، والاستعانة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم» .

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في تحقيق التوحيد وما يضاده من الشرك وقد ساروا عليه - ولله الحمد - خلفاً عن سلف .

وبعد أكثر من أربعة قرون جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ليقول في هذه القضية نفس القول الذي قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن قيم الجوزية - رحمهما الله - رغم حلقة ظلام الجهل والضلال وتلبد غيوم الشرك والوثنية في سماء التوحيد .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : إن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذي بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - لمحوه فكفر من لم يتب عنه وقاتله وعاداه^(١) ، انتهى كلامه .

(١) كتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري ص ٢٩٧ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وسئل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر حينما بعثه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود عام (١٢١١هـ) لمناظرة علماء مكة ، عمن تكلم بالشهادتين وهو مع هذا يتوسل بالموتى ويدعوهم ويتمسح بقبورهم فأجاب - رحمه الله - :

أما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركة يدعو الموتى ، ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا كافر مشرك حلال الدم ، والمال ، وإن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى ، وصام ، وزعم أنه مسلم^(١) .

فكلام هذا العالم الجليل - رحمه الله - نص صريح في المسألة التي اعترض بها الشيخ سليمان بن عبد الوهاب على أخيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

بهذه النقول وغيرها يندفع ما توهمه سليمان ، ويتقرر أن التوسل ، والدعاء ، والتوكل لا ينبغي صرفه إلا لله وحده .

ثم أيضاً هذه الرسالة التي روجها أعداء الدعوة وصار لها طنين في أفق الأمة الإسلامية ووضع لها الأعداء عنواناً ومقدمات وتقريضات في تجريح الدعوة ، وضلال صاحبها ما قيمتها العلمية ؟

للإجابة عن هذا الاستفهام نرجع إلى قول أحد علماء نجد في وقته الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٩٣هـ حيث أطلع على هذه الرسالة فقال :

وقد رأيت له رسالة - أي الشيخ سليمان - يعترض فيها على الشيخ محمد وتأملتها فإذا هي رسالة جاهل بالعلم والصناعة مزجى التحصيل والبضاعة لا يدري ما طحاها ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها^(٢) .

(١) الهدية السنوية للشيخ سليمان بن سحمان ، ص ٦٥ طبعة المنار مصر .
(٢) الضياء الشارق للشيخ سليمان بن سحمان ص ٢٢ طبعة المنار بمصر ١٣٤٤ هـ .

فهذا الأسلوب وإن كان فيه غلظة وشدة من الشيخ عبد اللطيف - رحمه الله - في جانب الشيخ سليمان مؤلف هذه الرسالة ، لكن الشيخ عبد اللطيف قال ذلك من باب مقابلة الشيء بالمثل فإن سليمان زعم أن الشيخ محمداً لا يملك الاجتهاد وليس فيه خصلة واحدة من خصاله .

والواقع والحقيقة يكذبان هذا الزعم فقد أفنى الشيخ محمد عمره في طلب العلم وتحصيله ونشره للناس ، وقد أجزى من عدد من علما نجد ، والحجاز ، والبصرة وهي إجازات تتضمن الشهادة له بالعلم والفضل صادرة من علماء أعلام قبل أن يرتفع شأن الشيخ محمد ، ويعظم قدره ، وقد تم ذلك بتوفيق من الله عز وجل حتى لا يكون هناك مجال للمجالات وتبادل الثناء والتعظيم .

وللوقوف موقف العدل نرى من اللازم أن نذكر هنا ما لهذه الرسالة وما عليها ، فنرجع إلى تعليق الدكتور منير العجلاني على هذه الرسالة حيث يقول :

يعد هذا الكتاب - يريد رسالة الشيخ سليمان - من أقل الكتب التي ألفها خصوم الشيخ فجوراً ومغالطة ، ولولا أنه قال عن الشيخ محمد إنه لا يملك الاجتهاد وليس فيه خصلة واحدة من خصاله لكان كتابه بريئاً من هجر القول^(١) .

فهذا القول هو الواقع فإن الشيخ سليمان لم يرم أخاه الشيخ محمداً بالزندقة ، ولا بدعوى النبوة ولا بسفك الدماء ولا بالزيغ كما فعل بعض خصومه الآخرون .

ثم لنقف وقفة قصيرة عند عنوان هذه الرسالة «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» ما معنى الوهابية ومتى عرف هذا اللفظ وما صلته بهذه الرسالة؟؟

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية، ج ١ : ٣١٧ طبعة بيروت .

مما لا شك فيه أن الشيخ سليمان قد أعد رسالته المذكورة قبل عام ١١٦٧هـ، بعد ظهور الدعوة السلفية .

وما كان أهل نجد ولا غيرهم في ذلك الزمان - علماء وعامة - ما كانوا يعرفون لفظ (الوهابية) وهاهي رسائل معاصري الشيخ وكتاباتهم من الموافقين له والمعارضين له ولدعوته لا نجد فيها لفظ الوهابية . وكان في المنطقة حينذاك أكثر من مؤرخ كابن غنام وابن بشر وغيرهما لا يوجد في مؤلفاتهم هذا اللفظ البتة .

يقول المؤرخ الفرنسي (ما نجان) :

(إن إطلاق اسم الوهابيين على أنصار محمد بن عبد الوهاب قد بدأ في السنوات الأولى من إمارة عبد العزيز)^(١) .

والمراد بعبد العزيز في قول هذا المؤرخ هو الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وتوليه للإمارة في نجد كان في عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥ م .

ويقول الكاتب والمحقق الإسلامي المعروف السيد محمد حامد الفقي .

(إن لفظ الوهابية نشأ في الأقطار والأوساط التي كانت تبذل أقصى جهدها لحرب هذه الدعوة حين كان عبد العزيز وسعود يبسطان نفوذهما على جزيرة العرب)^(٢) .

ويقول أحد علماء الهند الأستاذ مسعود الندوي :

(والظاهر أن الكتاب - يريد رسالة سليمان بن عبد الوهاب - سمي بهذا الاسم

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني ج ١ : ٣٤٤ .

(٢) المرجع السابق .

في الأيام المتأخرة؛ لأن سليمان بن عبد الوهاب كان قد أرسلها إلى أهل حريملة^(١)، في سنة ١١٦٧ هـ، ولم يكن لقب الوهابية معروفاً آنذاك^(٢).

هذا رأي بعض مفكري الشرق والغرب عن منشأ هذا اللفظ وهي آراء متفقة تؤكد جميعاً حداثة هذا اللقب، وإن رسالة الشيخ سليمان لا صلة لها به.

وإلى يومنا هذا فإن أهل نجد قاطبة لا يلقبون أنفسهم بالوهابية ولا يرضون لأحد أن يطلق عليهم هذا اللفظ بل هم قوم سنيون عموماً معتقدهم جميعاً معتقد أهل السنة والجماعة.

وكذلك نسبة هذا اللفظ إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب خطأ فصاحب هذه الدعوة هو محمد لا عبد الوهاب، ولو سلمنا جدلاً بصحة إطلاق هذا اللفظ فإن الأولى أن ينسب إلى صاحب الدعوة نفسه وهو محمد فيقال «المحمدية».

ولعل الواضع الأول لهذا اللقب هو شخص غربي لأن أهل الغرب عادة ينسبون الأشياء إلى أسرة الشخص لا إلى الشخص نفسه.

كما أن الشيخ حمد الجاسر يميل إلى أن الواضع لهذا اللقب «الوهابية» الدولة العثمانية فقد بثت الدعاية السيئة ضد هذه الدعوة لما رأت انتشارها وتغلغلها في معظم مدن الجزيرة العربية بما في ذلك الحرمين الشريفين اللذين ترى في حمايتهما والسيطرة عليهما فخراً وعزاً لسلطينها.

يقول الشيخ حمد ما نصه: «الوهابية» كلمة أحدثتها الدعاية السيئة. حينما رأت السلطة العثمانية انتشار التجديد الإصلاحية في جزيرة العرب بمؤازرة الغر

(٣) لفظ حريملة. هذا نص كلام الندوي، والصواب (حريملاء).

(٤) كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه، للشيخ مسعود الندوي، ص ٢٥٦.

الميامين من آل سعود الذين امتد سلطانهم إلى الأقطار المحيطة بالجزيرة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وسلب سلطانهم مختلف النفوذ في تلك الأقطار وخاصة الحرمين الشريفين، وكان من أضخم ألقاب السلطان العثماني عند المسلمين (خادم الحرمين الشريفين) فقامت السلطنة العثمانية للقضاء على هذه الدعوة بمختلف الوسائل ومنها إلصاق تهمة الابتداع والخروج عن الدين بمثل ذلك اللقب انتهى كلام الجاسر^(١).

هذا موقف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من الدعوة في بداية الأمر وهذه رسالته المشهورة والتي كثيراً ما يستشهد بها كل من أراد الكيد لهذه الدعوة، فهل يا ترى استمر سليمان على موقفه المعادي والمعارض لأخيه أم ماذا؟ هذا ما سنعرفه في الفقرة التالية إن شاء الله.

رجوع الشيخ سليمان بن عبد الوهاب عن معارضة أخيه:

تذكر بعض المصادر التاريخية أن الشيخ سليمان لم يستمر على معاداته ومعارضته لأخيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد تبصر في الأمر، وثاب إلى رشده، وندم على ما صدر منه من تسفيه وتجهيل لأخيه.

فقدم على أخيه في الدرعية سنة (١١٩٠هـ) واتخذها سكناً له حتى توفاه الله سنة (١٢٠٨هـ).

يقول المؤرخ حسين بن غنام :

وفي هذه السنة - ١١٩٠هـ قدم أهل «منيخ»^(٢)، وأهل الزلفي على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والأمير عبد العزيز في الدرعية لأداء السلام ووفد معهم

(١) مجلة العرب ج ٩ السنة الرابعة ربيع الأول سنة ١٣٩٠هـ، ص ٧٦٤.

(٢) منيخ : جبل أبيض في الجنوب الغربي من مدينة المجمعة في إقليم سدير.

سليمان بن عبد الوهاب أخو الشيخ فأقام في الدرعية ولاقاه الشيخ بالقبول والإكرام وأحسن إليه ووسع عليه قوته ومعاشه . . . فكان ذلك سبباً لإنقاذ سليمان وصدق إيمانه»^(١).

ويؤكد هذه الرواية المؤرخ عثمان بن بشر فيقول : وفيها (١١٩٠ هـ) وفد أهل الزلفي وأهل منيخ على الشيخ محمد وعبد العزيز بن سعود ومعهم سليمان بن عبد الوهاب استقدمه أخوه الشيخ محمد وعبد العزيز وأسكنه هو وأهله في الدرعية ، وقام بجميع ما ينوبه ، ويعتازه ، من النفقة حتى توفاه الله^(٢).

هكذا استقر الشيخ سليمان في الدرعية بجوار أخيه الشيخ محمد وماذا قدم سليمان للدعوة السلفية ، وقد أصبح من أنصارها ، والداعين إليها ؟

تشير بعض المصادر التاريخية إلى مكاتبة جرت بين سليمان ، وبين أحمد بن محمد التويجري وأحمد ومحمد بن عثمان بن شبانة من أهل الجمعة ، وكان هؤلاء الثلاثة من ندماء سليمان في معارضة الدعوة السلفية .

وقد كتب سليمان لهم رسالة - حمد الله - فيها على ما من الله به عليه وعليهم من العودة إلى الحق ، وندم على ما بدر منه ومنهم في أول الأمر ، وحثهم على العمل لصالح الدعوة أكثر مما عملوه ضدها^(٣).

وقد أجابوه على رسالته بقولهم : وصلت نصيحتكم إلينا . . . وقد خضنا فيما مضى بالعدول عن الحق ودخضناه ، وارتكبنا الباطل ونصرناه جهلاً منا وتقليداً لمن قبلنا فحق علينا أن نقوم مع الحق قيام صدق أكثر مما قمنا مع الباطل على جهلنا وضلالنا .

(١) تاريخ نجد لابن غنام ص ١٤٢ تحقيق ناصر الدين الأسد .

(٢) عنوان المجد لأبن بشر ص ٤١ طبعة وزارة المعارف السعودية .

(٣) مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، ص ٦١ .

فالمأمول والمبغى منا ومنكم ، ومن جميع إخواننا التبين الكامل الواضح لئلا يغتر بأفعالنا الماضية من يقتدي بجهلنا ، وأن نتمسك بما اتضح وابلولج من نور الإسلام ، وما بينَّ الشيخ محمد . . . من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم .

إلى أن قالوا :

فحمد الله الذي لا إله إلا هو حيث من علينا بهذا الشيخ في آخر هذا الزمان . . نسأل الله العظيم أن يمتع المسلمين به ، ويعيذه من شر كل حاسد وباغ ، ويبارك في أيامه . . إلخ^(١) .

فمن هذا يتضح أن ما حوته رسالة سليمان المكتوبة سنة ١١٦٧ هـ والمعروفة بـ (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية) التي تكلمنا عنها سابقاً لم يرد بها وجه الله وإنما أملاها الشقاق ، والحسد ، لكن الرجوع إلى الله الحق خير من التماذي في الباطل ، وأن الذين اتخذوها وسيلة للطعن في هذه الدعوة - ولا نزال بين حين وآخر نسمع نعيقهم ، وشنشتهم - ليزوبون خجلاً وحياء أمام هذه الشهادة الصادرة من أهلها .

وما قيل : إن الشيخ سليمان قدم الدرعية على أخيه مكرهاً لا يؤيد هذا القول دليل صحيح ؛ ومعارض بما ذكره الثقات من المؤرخين مثل ابن غنام ، وابن بشر .

كما يذكر ابن غنام في آخر كلامه عن الشيخ سليمان بقوله:

ولاقاه الشيخ بالقبول والإكرام ، وأحسن إليه ووسع عليه قوته ، ومعاشه ، فكان ذلك سبباً لإنقاذ سليمان ، وصدق إيمانه وتوبته وإقراره على نفسه بما تقدم منه فوفى بما عاهد فلم يوافه الموت إلا وهو في حالة رضية^(٢) انتهى .

(١) المرجع السابق ص ٦٣ .

(٢) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ١٤٢ تحقيق ناصر الدين الأسد .

وابن غنام - رحمه الله - من المعاصرين للشيخ سليمان ، وإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومقيم في الدرعية بلد الشيخين حتى توفي سنة (١٢٢٥ هـ) فهل تترك شهادته الصريحة هذه ويؤخذ بتحريات وظنون ، وتأويلات لا أصل لها . ولو كان الشيخ سليمان مكرهاً كما قيل كان بإمكانه السفر إلى بلد لا سلطان للدولة السعودية عليها كما فعل غيره من المعارضين أمثال سليمان بن سحيم ومحمد بن فيروز وغيرهما من الذين شرقوا في الدعوة فغادروا نجداً إلى بلد الزبير في العراق ، وغيرها .

كما نختم هذه الفقرة بتعليق لأحد المهتمين بتحقيق تراث هذه الجزيرة الشيخ حمد بن محمد الجاسر بقوله : وما ذكر عن الشيخ سليمان أخي الشيخ محمد فقد كان بينهما في أول الأمر نفور ولكنه زال بعد أن شرح الله صدر الشيخ سليمان لقبول الدعوة السلفية وقرر ذلك في رسالة له . . (١) .

٤- **إفتراءات صاحب كتاب "لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب" والرد عليها:**

هذا الكتاب لم يعرف مؤلفه على وجه اليقين .

وغاية ما هنالك أنه كتب في الصفحة الأخيرة من مخطوطته النص التالي :

«وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب في يوم السبت السادس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والألف كتبه الجاني حسن بن جمال بن أحمد الريكي» (٢) .

(١) مجلة العرب ج ٩ - ١٠ ص ١٢ ص ٦٩٨ لعام ١٣٩٨ هـ .
(٢) كتاب لمع الشهاب تحقيق أحمد مصطفى أبو حكمة ، ص ١٩٩ طبعة بيروت .

فلا يعلم هل هذا الكاتب هو المؤلف أم أنه ناسخ له كعادة النساخ يذيلون ما يخطونه باسمائهم .

وقد حُققَ الكتابَ مرتين أولاًهما من قبل الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة الأردنية وقد طبع في مطابع دار الثقافة ببيروت عام ١٩٦٧م .

والأخرى من قبل الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ - رحمه الله - وقد طبعت دارة الملك عبد العزيز في الرياض عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

أما أبو حاكمه فلم يذكر شيئاً عن شخصية مؤلفه . ولعله لم يظهر له ما يدل عليه فآثر العدول عنه والاشتغال في الكتاب إذا هو بيت القصيد .

وأما المحقق الثاني الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف فكثيراً ما يردد جملة «المؤلف النكرة» .

وقد جاء في مقدمة تحقيقه النص التالي :

وبعد فهذا كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب) ألفه رجل مجهول حوالي سنة ١٢٣٣هـ وجاء في آخره ما يفيد أنه بخط شخص يدعى حسن بن جمال بن أحمد الريكي . ومن الجائز أن يكون هذا الكاتب هو المؤلف وعلى الفرض فهو نكرة مجهول^(١) .

أما الشيخ حمد الجاسر فيرى أن حسن جمال الريكي هو المؤلف لهذا الكتاب .

يقول الشيخ الجاسر : وهو كتاب ألف حوالي سنة ١٢٣٣هـ كتبه شخص يدعى حسن بن جمال بن أحمد الريكي نسبة إلى ريك أوريق أو ريج بالجيم كما يرى أنه

(١) لمع الشهاب تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، ص هـ .

ألفه استجابه لرغبة أحد موظفي الإنجليز في الخليج ويعلل ذلك بأن الكتاب يحوى ثناء على الإنجليز في الخليج ووصف لأعدائهم من العرب في الشارقة وغيرها بأوصاف كان موظفو الإنجليز في ذلك العهد يطلقونها عليهم وهي غير صحيحة^(١).

والكتاب لا يتحدث عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقط كما جاء في عنوانه وإنما تناول فيه مؤلفه بعضاً من أحوال الدولة السعودية الأولى وحروبها وذكر طرفاً من حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أكثرها مخالف للصواب وقد ذكرنا كلامه على كثير منها في فصل رحلات الشيخ وشيوخه فلا داعي للإعادة هنا.

كما تناول الكتاب أيضاً حدود نجد وقبائلها وطباع أهلها، ومعاشهم وعن الحجاز واليمن وأعرابهم وأنسابهم وعن بلدان الخليج العربي، وقبائلها.

فالكتاب في جملته عبارة عن تاريخ للجزيرة العربية وأهلها لا عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

والذي يعنينا في هذا الكتاب ما أورده صاحبه في آخره من شبه وافتراءات على الشيخ محمد فقد جاء في خاتمته مجموعة من الانتقادات زعم فيها أن الشيخ محمداً قد ابتدعها، وخالف فيها علماء المسلمين، وقد قسم هذه الانتقادات إلى قسمين :

القسم الأول : يتعلق بأصول العقيدة طرح فيه ثمان مسائل، وأخذ يناقشها مسألة مسألة.

وكان كلامه في كل مسألة مغالطات، ومداخلات تنم عن عدم معرفته بأصول الدين، وكلام أصحاب هذه الصناعة من السلف والخلف ووهمه فيها ظاهر جلي.

(١) مجلة العرب، ج ١٠ لعام ١٣٩٠ هـ، ص ٩٤٠.

وقد وفق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ - رحمه الله - محقق الكتاب بالرد على هذه المسائل فكفيها ذلك فقد وأبطل حجته فلا ندخل في تفاصيلها وخير الكلام ما قل ودل .

أما القسم الثاني : من هذه الانتقادات فزعم المؤلف لهذا الكتاب أنها تتعلق بالفروع التي مشى عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب على غير مذهب الإمام أحمد ابن حنبل وقد جعل هذا القسم في أربع مسائل .

ومع أن الشيخ عبد الرحمن قد علق على أكثر هذه المسائل ، ورد عليها ضمن تحقيق الكتاب إلا أننا نشير إليها هنا بشيء من التفصيل إتماماً للفائدة لئلا يغتر بها من يطلع عليها لأن هذا الكتاب ينقل عنه من لا يعرف حقيقة الدعوة السلفية ظناً منه أن ما ذكر فيه هو الصواب ، وهو خطأ محض ، وكذب ظاهر . فيقول في المسألة الأولى :

ومما أوجبه محمد بن عبد الوهاب على الناس عينا الصلاة جماعة ، ولم ينقل هذا عن مذهب الإمام أحمد ، ولا غيره .

ومما أفتى به تحريم التن ووضع له حدا في الشرع من ضرب قدر أربعين سوطاً أو أقل أو حلق لحيته أو سب حسب ما يقتضي رأي القاضي من أحد هذه الثلاثة^(١) .

والجواب على ذلك نقول :

أما وجوب صلاة الجماعة فلم تكن رأياً خاصاً للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بل هو رأي جمهور أهل العلم حتى ذهب بعضهم إلى أن الجماعة شرط في صحة الصلاة مع القدرة وقد اعتمدوا في هذا على نصوص صريحة من كتاب الله ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

(١) لمع الشهاب تحقيق أحمد مصطفى أبوحاكمة ، ص ١٩٥ .

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْتُمْ طَائِفَةً مِّنْهُمْ مَّعَكَ ﴾ الآية (١).

فإذا كان المسلمون مأمورين بإقامة صلاة الجماعة وهم في أشد الخوف بمواجهة عدوهم فإن إقامتها في حال الأمن والاستقرار من باب أولى فهي من أكد الواجبات وأجل الطاعات.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة في هذه الآية حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك.. (٢).

ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار) (٣).

وقد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أم مكتوم وكان رجلاً أعمى فقال يا رسول الله أنا ضير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل تجد لي رخصة أصلي في بيتي فرخص له . فلما ولي دعاه فقال : (هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال نعم قال فأجب ، وفي لفظ فإني لأجد لك رخصة .) (٤) رواه مسلم.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يحضر الجماعة فقال هو في النار (٥).

(١) سورة النساء ، ١٠٢

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ : ٥٤٧ طبعة المكتبة الشيعية مصر .

(٣) رواه البخاري ج ١ : ١٥٨ طبعة استانبول ، سلك ج ١ : ٤٥٢ ترتيب محمد عبد الباقي .

(٤) رواه مسلم ج ١ : ٤٥٢ ترتيب محمد عبد الباقي .

(٥) روى هذا الأثر مجاهد . انظر كتاب «تنبيه الغافلين» للسمرقندي ، ص ، ١٠٢ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : من تأمل الكتاب والسنة وما كان عليه السلف حق التأمل علم أن فعلها في المسجد فرض عين إلا لعذر^(١).

فهذه الأدلة الصحيحة صريحة في وجوب صلاة الجماعة ، وأنها من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة فهل كان رأيا انفرد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ أم هو معتقد سلف الأمة الإسلامية وخلفها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وصلاة الجماعة اتفق العلماء على أنها من أوكد العبادات ، وأجل الطاعات ، وأعظم شعائر الإسلام^(٢).

وأما قول المعترض : ولم ينقل هذا عن مذهب الإمام أحمد ولا غيره .

فهذا محض افتراء فقد نقل الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني علامة اليمن نقل الخلاف في هذه المسألة ، فقال رحمه الله : «وإلى أنها فرض عين ذهب عطاء والأوزاعي ، وأحمد ، وأبو ثور ، وابن خزيمة وو . . . إلخ^(٣) .

وقد عقد الإمام البخاري - رحمه الله - لها باباً في صحيحة فقال «باب وجوب صلاة الجماعة»^(٤).

وسئل أحد أئمة الدعوة السلفية عن وجوبها فأجاب : اختلف العلماء في وجوبها . . . والمشهور عن أحمد وغيره من فقهاء الحديث أنها واجبة على الرجال المكلفين حضراً وسفراً^(٥).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢٣ : ٢٢٥ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ج ٢٣ ، ص ٢٢ .

(٣) سبل السلام ج ٢ : ١٩ . للصنعاني .

(٤) فتح الباري للحافظ ابن حجر ٢ : ٢٦٦ الطبعة المصرية .

(٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ج ٤ : ١٩٠ .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ١٩١

فمن هذه النصوص الصريحة الصحيحة يظهر أن وجوب صلاة الجماعة للصلوات الخمس دليله الكتاب والسنة والآثار المروية عن كبار الأئمة وعمل المسلمين إلى اليوم لا كما توهمه هذا المعترض .

ولو بسطنا القول في هذه الشعيرة الظاهرة من شعائر الإسلام ، وجمعنا كل ما قيل فيها وما ورد في فضلها لاستغرق ذلك وقتاً وضم سفراً كبيراً .

وأما المسألة الثانية وهي :

قوله : « وأما ومما أفتى به تحريم التتن ووضع له حداً في الشرع من ضرب قدر أربعين سوطاً . إلخ :

فالجواب أنه لم ينقل عن الشيخ محمد - رحمه الله - فتوى في حكم شرب الدخان (التتن) على التفصيل الذي ذكره هذا المعترض بل حينما بلغه أن أناساً من أعداء الإسلام يذكرون عنه أنه يكفر بالذنوب .

أجاب رحمه الله بما نصه :

يذكر لنا من أعداء الإسلام من يذكر أنا نكفر بالذنوب مثل شرب التتن ، وشرب الخمر ، والزنا ، وغير ذلك من كبائر الذنوب فنبرأ إلى الله من هذه المقالة^(١) فنفي رحمه الله التكفير بسبب هذه الذنوب .

أما شرب التتن (الدخان) فهو عادة خبيثة ، وفعلة رذيلة ومضاره الصحية والمالية معلومة يعترف بها شاربه .

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، المرجع السابق ، ج ٨ : ٢٠٧ .

والشارع نهى عنه كل ما فيه ضرر على الأبدان والأموال قال الله تعالى :
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (١).

والتن ضرره على الأجسام ظاهر فقد أكد الثقات من الأطباء أن شربه يورث
الإصابة بالتدرن الرئوي ، والأمراض الصدرية .

وأما ضرره على الأموال فهو صرف لها بدون فائدة ولا منفعة فهو تبذير
وإسراف ، وهذا منهي عنه . قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا ﴾ (٢).

وهو أيضاً مفتر للأجسام وقد نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن كل
مفتر فقد روي الإمام أحمد - رحمه الله - عن أم سلمة رضي الله عنها قالت (نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر).

فلو سألت شاربه هل هو من الطيبات أو من الخبائث فحينما يصدقك يقول : إنه
من الخبائث إذا فالخبائث محرمة بنص القرآن قال تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (٣).

وبناء على هذه الأدلة تناوله العلماء المتأخرين بالبحث والمناقشة لكونه لم
يعرف في بلاد الغرب إلا خلال القرن السادس عشر الميلادي ثم جعل ينتشر وينتقل
حتى وصل إلى بلاد الشرق .

وشرب الدخان بدعة سيئة صح تحريمه من أربعة أوجه :

١ - كونه مضرأ بالصحة بإخبار الأطباء المعبرين .

٢ - كونه من المخدرات والمفترات .

(١) الآية ٢٩ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الإسراء .

(٣) الأعراف : ١٥٧ .

٣- كون رائحته كريهة تؤذي الناس الذين لا يستعملونه .

٤- كونه سرفاً وتبذيراً للمال .

يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؛ وبما ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم يتبين لك تحريم التتن الذي كثر في هذا الزمان استعماله وصح بالتواتر عندنا والمشاهدة اسكاره في بعض الأوقات خصوصاً إذا أكثر منه أو تركه يوماً أو يومين لا يشربه ثم شربه^(١) .

ويقول الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين : الذي نرى فيه التحريم لعلتين . إحداهما حصول الإسكار إذا فقد شاربته ثم شربه أو أكثر منه والأخرى أنه منتن مستخبث عند من لم يعتاده^(٢) .

وللدكتور صالح بن عبد العزيز آل منصور رسالة^(٣) . تبحث في حكم شرب الدخان ساق فيها الأدلة وكلام العلماء على تحريمه .

ومن صرح بتحريمه أيضاً مفتى الديار السعودية في وقته سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ - رحمه الله - وقد ألف فيه رسالة ذكر فيها أقوال العلماء فيه .

هذه آراء علماء الإسلام في حكم شرب الدخان وهي كلها تتفق على تحريمه إذاً فما الذي يؤخذ على إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذا أفتى بتحريم التتن مع أنه لم يتكلم فيه بشيء سوى ما سبق ذكره .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله آل الشيخ محقق كتاب «لمع الشهاب» يقول :

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ٦ : ٤٥٣ طبعة دار الإفتاء .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٥٤ .

(٣) عنوانها : الدخان في نظر الإسلام طبعت في الرياض في مطابع النور .

اجتهدت في أن أقف على كلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التتن أو مماثله فلم يتيسر لي الوقوف على كلام للشيخ في ذلك^(١).

فما دام أنه لم يصدر من الشيخ محمد - رحمه الله - فتوى في التتن فكيف يضع له حداً في الشرع كما يزعم هذا المعترض .

ثم لو فرضنا جدلاً أن الشيخ محمداً وضع لشارب الدخان الحد المشار إليه فإن ضرب شاربه أربعين سوطاً يصح قياساً على حد شارب الخمر لوجود علة الإسكار والتفتير إذ لا يوجد نص شرعي في حكم شاربه لحدوث اكتشافه واستعماله .

أما حلق لحيته كما يدعي هذا المفتري فإن العقل السليم الخالي من الهوى لا يقبل هذا إذ كيف ينهى عن عمل محدث ويعاقب عليه بمعصية محرمة بنص كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حلق اللحية .

فقد قال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الشريف : (أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى)^(٢) .

ثم إن الشرع قد حكم على من اعتدى على لحية إنسان فأزال شعرها بالكلية على وجه لا يرجى عوده حكم عليه بالدية كاملة^(٣) .

فلولا مكانتها من الشرع لما حكم عليه بالدية كاملة وجعلها في مقابلة البدن جميعه فكيف يعاقب الشيخ محمد من شرب الدخان بحلق لحيته ، هذا بعيد كل البعد لكن هذا المفتري يهذي هذيان المحمومين فلا يدري ماذا يقول .

(١) لمع الشهاب ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ص ٢١٥ .
(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر ج ١ : ٢٢٢ ترتيب محمد عبد الباقي .
(٣) انظر كتاب (المغني) لابن قدامة ج ١٢ : ١١٨ تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو .
وكتاب (الفتاوي السعدية) للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي ج ١ : ١٢٥ .

والمسألة الثالثة :

قوله : وكان يوجب على الناس - يقصد الشيخ محمداً - دفع زكاة أموالهم الباطنة كالنقود ومال التجارة إلى الإمام أي سلطان المسلمين وهو يفرقها لمستحقيها، وكان يأمر بالتجسس عما عند الناس من الأموال الباطنة ليأخذ الإمام زكاتها قهراً منهم مع أن هذا غير المعهود من مذهب أحمد . . . إلخ .

والجواب عن ذلك نقول : إن الله أنزل في محكم كتابه قوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

فأمر تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية الكريمة بأخذ زكاة الأموال من الأغنياء وتوزيعها في مصارفها الثمانية الذين وضحهم الله بقوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (٢) .

فدلت الآية الأولى بقوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ على أن للرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ولمن جاء بعده من أئمة المسلمين أخذ زكاة الأموال ولم تفرق الآية بين الأموال الظاهرة كالحبوب والثمار والمواشي وبين الأموال الباطنة كالذهب والفضة وعروض التجارة .

ولهذا قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية : اعتقد بعض مانعو الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصاً بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا احتجوا بقوله خذ من أموالهم صدقة، وقد ردَّ

(١) الآية ١٠٣ من سورة التوبة .

(٢) الآية ٦٠ من سورة التوبة .

عليه هذا التأويل ، والفهم الفاسد أبو بكر الصديق وسائر الصحابة - رضى الله عنهم - وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتي قال الصديق : والله لو منعوني عناقاً وفي رواية عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعه . . . (١) ، انتهى كلام ابن كثير .

ويروى أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إذا أديت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله ورسوله ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : نعم إذا أديتها إلى رسولي فقد برئت إلى الله ورسوله فلك أجرها وإثمها على من بدلها (٢) .

إن الصحابة - رضوان الله عليهم - قد فهموا من هذه الأدلة مشروعية دفع الزكاة إلى ولي الأمر ليفرقها على الفقراء وفي مصالح المسلمين ، ولم يفرقوا بين الظاهر والباطن .

فقد روى ابن أبي شيبه قال قلت لابن عمر : إن لي مالا فإلى من أدفع زكاته ؟ قال : ادفعها إلى هؤلاء القوم - يعني الأمراء - قلت : إذا يتخذون بها ثياباً وطيباً قال وإن (٣) .

وسئل سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة رضي الله عنهما عن دفع الزكاة إلى السلطان فقالا : ادفعها إلى السلطان فقال السائل : هذا السلطان يفعل ما ترون أفادفع إليه زكاتي ؟ قال نعم (٤) .

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ : ٣٨٥ ، ٣٨٦

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج ٤ : ١٧٤

(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

(٤) المرجع السابق ص ١٧٤ .

إذا علم هذا فلماذا يعيب هذا المعارض على الشيخ محمد في هذه المسألة مادامت محل نقاش بين أهل العلم من السلف والخلف .

وقد اجتهدت في طلب الوقوف على كلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة فلم أظفر بشيء فيما اطلعت عليه . إلا أنني اطلعت على كلام لابنيه ؛ وهما الشيخان عبدالله ، وحسين .

فقد سئلا هل للإمام طلب الزكاة من الأموال الباطنة؟ فأجابا - رحمهما الله - هذه المسألة اختلف فيها العلماء فمنهم من يقول للإمام أخذ الزكاة من الأموال الباطنة كالظاهرة ويجب دفعها إليه وهو قول مالك وقول في مذهب أحمد . . . واتفقوا - يعنى الأئمة الأربعة - على أن للإمام طلب الزكاة من الأموال الظاهرة ، والباطنة وإنما الخلاف في وجوب الدفع إليه وهل يجزئ عن صاحبها إذا لم يدفعها إليه أو لا؟^(١) .

فكيف يدعى هذا المعارض أن الشيخ ألزم الناس بدفع زكاة أموالهم الباطنة إلى الإمام فلو وجد لعرف ودون ؛ فإن رسائله ، وفتاواه مبذولة ومنتشرة وقد حوت الكثير من الأمور الفقهية فلو كان له كلام في هذه القضية لاشتهر وعرف ولكن شيئاً من ذلك لم يكن .

ثم لو فرضنا جدلاً أن الشيخ محمداً قال ذلك فإنه لم ينفرد بهذه الفتوى بل سبقه إليها فحول الصحابة ومن سار على نهجهم من أهل العلم وقد قدمنا رواياتهم وما قالوه في هذه المسألة .

أما دعواه بأن الشيخ كان يأمر بالتجسس عما عند الناس من الأموال الباطنة ليأخذ الإمام زكاتها قهراً منهم .

(١) الدرر السنية ج ٢ : ٣٢٤ ، ٣٢٥ طبعة دار الإفتاء السعودية .

فالجواب : أن هذا محض افتراء وكذب على الشيخ محمد فلم يثبت ذلك بدليل صحيح ، ولم يقل به أحد من المؤرخين وأئمة الدعوة ، وعلماء نجد الذين وجدوا بعده وهم ولله الحمد كثر .

والشيخ محمد - رحمه الله - صاحب مكارم أخلاق وعفة نفس وكان يدعو الناس إلى البر والتقوى ، ويحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وقد جاء النهي الشديد عن التجسس والغيبة فقال الله تعالى ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ (١) .

فلا يعقل أبداً أن يفعل الشيخ هذا مع ورود هذا النهي الشديد .

قال الشاعر (٢) :

لا تنه عن خلق ، وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

أما دعوى هذا المعارض بأن أخذ زكاة الأموال الباطنة ودفعها إلى السلطان غير معهود في مذهب الإمام أحمد .

فهذا الكلام غير صحيح أيضاً فإن المشهور في مذهب الإمام أحمد جواز ذلك قال الشيخ منصور البهوتي (٣) - رحمه الله - في كتابه (شرح منتهى الإرادات) :

لا يختلف أئمة المذهب أن دفعها للإمام جائز سواء كان عدلاً أم غير عدل ، وسواء كانت من الأموال الظاهرة أم الباطنة (٤) .

(١) الحجرات : الآية ١٢

(٢) أبو ذؤيب الهذلي

(٣) هو أبو السعادات الشيخ منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي من أشهر علماء الحنابلة في القرن الحادي عشر الهجري له عدد من المصنفات في فقه مذهب الإمام أحمد توفي في مصر سنة ١٠٥١ هـ .

(٤) شرح منتهى الإرادات ص ٤١٨ .

المسألة الرابعة :

قوله : (وقد حكم بتحريم ذبيحة من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وأحلها أحمد بن حنبل اكتفاء بظاهر الإسلام . . . إلخ^(١)).

فالجواب عن هذا أن الشيخ محمداً - رحمه الله - لا يحكم بتحريم ذبيحة من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعمل بمقتضى هذه الشهادة أما من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهو مع هذا مقيم على أعمال الشرك يدعو أصحاب القبور ، ويزور أضرحتهم متبركاً بها ، ويطلب منهم قضاء الحاجات ، ودفع المضرات كما كان يفعله بعض الناس قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

فهذا الصنف من الناس هم الذين حرم الشيخ ذبيحتهم ؛ لأنهم لم يجردوا التوحيد ، ويخلصوا العبادة لله وحده ، والمشهور لدى أهل العلم أن المذكين ثلاثة أصناف :

صنف اتفق العلماء على صحة تذكّيته وهو من اجتمع فيه خمسة شروط .
الأول : الإسلام والثاني : الذكورية والثالث : البلوغ والرابع : العقل والخامس : المحافظة على شعائر الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام ونحوها .

وصنف اتفق العلماء على عدم صحة ذبيحته ؛ وهم المشركون عبدة الأصنام لقوله تعالى : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾^(٢) .

وصنف اختلف في جواز ذبيحتهم وهم أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم الله .

(١) لمع الشهاب تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، ص ٢١٦ .

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة .

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عن حكم من ذبح للجن فأجاب :

إذا فهمت هذا فهم صرحوا - يريد أهل العلم - أن الذبح للجن ردة تخرج عن الإسلام، وقالوا: الذبيحة حرام ولو سمي عليها قالوا : لأنه يجتمع فيه مانعان : أحدهما : أنها مما أهل به لغير الله . والثاني : أنها ذبيحة مرتد لا تحل ذبيحته، وإن ذبحها للأكل وسمى عليها^(١).

كما سئل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله عن حكم ذبيحة الوثني والمرتد فأجاب :

من استدل على ذبيحة الوثني والمرتد بقوله : ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٢)، فهو من أجهل الناس بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة . . . إلى أن قال : وأما ما ذبحوه تقرباً إلى غير الله فهو حرام وإن ذكرت التسمية عليه^(٣).

هذا طرف من أقوال بعض أئمة الدعوة في هذه المسألة فمن هذا نعرف أن الشيخ محمداً لم يحرم ذبيحة من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله عاملاً بمقتضى هذه الشهادة فلا يدعو إلا الله ولا يتوسل إلا بالله ولا يذبح إلا باسم الله .

أما من توسَّل بأصحاب القبور وسألهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات وتقرب إليهم بالذبح والنذر لهم فهذا الصنف من الناس هم الذين حرَّم الشيخ ذبيحتهم ، لأنها أهلت لغير الله ولم ينفرد الشيخ بهذا الحكم بل هو عقيدة أهل السنة

(١) الدرر السنية ج ٦ : ٤٦٧ طبعة دار الإفتاء السعودية .

(٢) سورة الأنعام : ١١٨ .

(٣) الدرر السنية ج ٦ : ٦٨ .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ٢٠١

والجماعة وعلى رأسهم شيخ الأمة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السلف والخلف .

٥- إفتراءات عثمان بن عبد العزيز بن منصور الناصري والرد عليها:

ولد هذا الرجل في بلدة الفرعة إحدى بلدان الوشم في نجد . في أول القرن الثالث عشر الهجري . وتلقى تعليمه على يد عدد من علماء نجد، ثم رحل إلى بلد الزبير في العراق حيث تتلمذ على الشيخ محمد بن سلوم ، وتتلمذ أيضاً على داود بن سليمان بن جرجيس العراقي ، وعبد الرحمن الزواوي وهؤلاء من أشد المعارضين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فنهج عثمان بن منصور منهج شيوخه وشرب من أجاجهم حتى توفي سنة ١٢٨٢ هـ في حوطة سدير .

وابن منصور هذا لم يعاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وإنما عاصر ازدهار دعوته فكان في بادئ أمره من المناصرين لها حتى إنه شرح كتاب التوحيد الذي صنفه إمام الدعوة وسمى شرحه «فتح الحميد شرح كتاب التوحيد»^(١) .

وهو لا يخلو من الشطحات يقول عنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :

والرجل فيه رعونة . . حتى في كتابه الذي زعم أنه شرح على كتاب التوحيد رأيت فيه من الدواهي والمنكرات ما لا يحصيه إلا الله^(٢) .

إن ابن منصور قد شرب من وحل داود بن جرجيس وغيره من المعادين للدعوة السلفية حتى تأثر بأفكارهم فصار هو الآخر من المعادين لها .

(١) هذا الشرح يقع في جزئين والظاهر أنه لا زال مخطوطاً ويوجد في إحدى المكتبات الخاصة .

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ج ٩ : ٣٣٣ .

يقول الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام : إن الرجل متردد في اتجاهه العقائدي فمرة يوالي الدعوة السلفية وينتسب إليها وأخرى يبتعد عنها ويوالي أعداءها^(١).

ويسوق الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ الشبه التي أوردها عثمان بن منصور على هذه الدعوة وإمامها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فيقول ما نصه :

ويصرح بأن الشيخ ضال مضل وأنه أجهل من أبي جهل بمعنى لا إله إلا الله وأنه ضل في تخطئة صاحب البردة، وأن دعاء الرسول وطلب الشفاعة منه بعد موته جائز وأن الله ابتلى نجداً بهذا الرجل بل ابتلى به جزيرة العرب، وأنه لم يتخرج على العلماء، وأنه أخذ بلدان المسلمين بيت مال له ولعياله، وأنه أتى الأمة من الباب الضيق وهو تكفيرها، ولم يأتها من الباب الواسع . . إلخ^(٢).

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : أما بعد فإننا قد وجدنا في كتب عثمان بن منصور بخطوطه أموراً تتضمن الطعن على المسلمين وتضليل إمامهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فيما دعا إليه من التوحيد وإظهار ما يعتقد في أهل هذه الدعوة من أنهم خوارج تنزل الأحاديث التي وردت في الخوارج عليهم^(٣).

كما أن عثمان ألف كتاباً سماه « كشف الغمة في الرد على من كفر الأمة » قد وجد هذا المصنف مخطوطاً ضمن كتبه حينما جرى بها إلى الرياض بعد وفاته وقد شهد كل من علي وأحمد ابني عيسى أن هذا الكتاب مكتوب بخط عثمان بن منصور .

(١) علماء نجد خلال ستة قرون ، للشيخ عبدالله بن بسام ج ٣ : ٦٩٦ .

(٢) الدرر السنية ج ٩ : ٣٣٣ طبعة دار الإفتاء .

(٣) الدرر السنية ج ٩ : ١٩٤ طبعة دار الإفتاء .

وقد رد عليه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتاب سماه «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» فجاء هذا الرد وافياً كافياً أبطل فيه كل الشبه التي أوردها عثمان بن منصور .

وأيضاً صنف دواد بن سليمان بن جرجيس العراقي كتاباً^(١) ، أجاز فيه دعاء الأولياء والصالحين من أهل القبور ، والاستغاثة بهم .

وهذا عمل بلا شك ينافي عقيدة التوحيد لكن ابن منصور استحسن هذا العمل وقرض عليه بقصيدة بلغت أبياتها ستة وثلاثين بيتاً يمدح فيها طريقة داود ، ويشنع فيها بأهل هذه الدعوة المباركة التي جاءت لتخليص العقيدة من شوائب الشرك والوثنية . نذكر منها الأبيات التالية :

خليلاي هلا تنظران حاجة	أقيما فواقاً من نهار كما البدر
عسى تنقضى الحاجات مني رسالة	إلى الجسر من بغداد بالود واليسر
بها بينات واضحات من الهدى	تحطم منهاج الخوارج ^(٢) بالصفير
وتفضح عن غوب الطغام بمأزق	من الجيش فرسان الدلائل كالبحر
ومنبعها بيت النبوة يالها	صواعق رعد تقذف بالصخر
تأملت سبراً فوجدتها	جواهر وحي صافية الدر
فضيفتها منى قريضاً مروقاً	على أنها الحسناء واضحة الثغر
فمنى سلام رائق ماسرى الصبا	وما هبت النكباء أو غنت القمرى
على سيد السادات روي ومهجتي	مثير غرام الود قابل العذر
سمى نبي الله داود ليتني	تمليت منه الأنس في ساعة العمر
إلى جده جرجيس بالأصل ينتمي	لبنت رسول الله عالية الخدر
من الخل عثمان التميمي قريضها	على نقض زيغ من طغام صدى وكر

(١) عنوان هذا الكتاب (صلح الإخوان) .

(٢) يقصد بالخوارج هنا أئمة الدعوة السلفية .

إلى آخر هذه القصيدة المشؤمة^(١).

وقد أشتهرت هذه القصيدة ، وأخذ دعاة الباطل يرددونها ويستشهدون بها على باطلهم رغم احتوائها على الكذب الواضح .

وقد تصدى للرد عليها عدد من فحول علماء نجد من أبرزهم العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد فيقول نظماً :

وحال الذي أنشأ القريض ضيافة لعقيدة البهتان مهتوكة الستر
فبعداً لها محققاً لها من رسالة مضيفها ما خاف من موقف الحشر^(٢)

كما أن الشيخ عبد اللطيف^(٣) بن عبد الرحمن بن حسن . نظم قصيدة بلغت أبياتها ثلاثة وخمسين بيتاً نقض فيها كل ما نسجه عثمان بن منصور في منظومته فكان جوابه كافياً شافياً أجاد فيه وأفاد نذكر منها الأبيات التالية :

على وجهها الموسوم بالشؤم والغدر	شمائل زيغ لاتزال مدى الدهر
فإن سودتها كف بغى وغادر	فاقلامنا بالرد أنهارها تجري
رسالة مختال تجر ذيلها	إلى مهمة قفر من العلم والذكر
هدية عثمان إلى شر صاحب	إلى الجسر من بغداد بالود واليسر
مؤيدة حزب الضلال وشيعة	إلى درك النيران أعمالها تسرى
بها من صريح الإفك أخبث مورد	وإن ظنها الجهال من خالص التبر
رأيت بها ما يستباح بمثله	على ناظم سل المهند والسمر
فتعسّالها منظومة ما أضلها	وأبعدها عن منهج الرشد والبر
أيوصف بالإيمان يا عابد الهوى	دعاةً إلى باب الجحيم وما تدري
فما أحوج الإنسان في أمر دينه	إلى ناصح والصمت أجدر بالحر
أترضى بأن يدعى حسين وخالد	وزيد وما يدعى مع الله في العسر

(١) الدرر السنية ج ٩ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ طبعة دار الإفتاء السعودية .

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ج ٣ : ٦٩٦ .

(٣) هو العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ولد في الدرعية سنة ١٢٢٥ هـ ورحل مع والده إلى مصر سنة ١٢٣٣ هـ وتعلم على يد والده وعلى علماء مصر حتى برز في مختلف العلوم وعاد إلى نجد سنة ١٢٦٤ هـ وتولى القضاء والإفتاء والتدريس والتأليف حتى توفي في الرياض سنة ١٢٩٣ هـ رحمه الله .

وتنصر قوما يعدلون بربهم
فياويحه إن لم يباشره رحمة
سوى منهج قد أوضحوه وقرروا
وقولهم للخلق نصحا ورحمة
ولا تعبدوا غير المهيمن إنه
فإن كان هذا عنده الزيع والهوى
فما صدقت تلك الدعاوى وعودها
على هضبات الشعب من أيمن الحمى
إلى أن قال :

وقد كان منهاج الشريعة طامساً
فجرد عزماء لا يضاهى بمثله
فزالت بهذا الشيخ عنها غياهب
تجربه نجد ذيول افتخارها
عليه من المولى الكريم تحية
وخير صلاة الله ثم سلامة

وأعلام أصل الدين في ساحة الحجر
وقام قيام الليث في عزمة الصقر
وعادت كما قد كان في سالف العصر
إلى منهل صاف من الشرك والكفر
يباشره روح الرياحين والزهر
على سيد السادات خاتمة الشعر^(١) .

ويقول الشيخ أحمد بن علي مشرف المتوفي سنة ١٢٨٥ رحمه الله :

وقفت على نظم لبعض بني العصر^(٢) .
بها شبه للجاهلين مضلة
تصدى لها حبر الزمان^(٣) ونجله^(٤)

تضمن أفوالاً بقائلها تزري
أكاذيب لا تخفى على كل ذي حجر
فرداً وهداً ما بناه من القعر^(٥)

(١) الدرر السنية ج ٩ : ٣٥٠ ، ٣٥١ طبعة دار الإفتاء .

(٢) يريد عثمان بن منصور .

(٣) يقصد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٤) يقصد الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .

(٥) علماء نجد خلال ستة قرون ج ٣ : ٦٩٦ .

أما الشبه الأخرى التي ألصقها عثمان بن منصور بهذه الدعوة وإمامها فستكلم عنها فقرة فقرة .

يقول عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (بأنه ضال مضل) والواقع يكذب هذا الزعم الباطل .

فإن الشيخ - رحمه الله - لم يكن ضالاً بل كانت عقيدته عقيدة السلف الصالح الذين كانوا على هدى من ربهم .

أما الضلال فهو عقيدة الكفار قال تعالى : ﴿ وَمَادُّعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (١) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴾ (٢) .

فالشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا الناس إلى إصلاح العقيدة وإخلاص العبادة لله وحده ، ونبذ كل ما يخالف ذلك من دعاء أصحاب القبور والتوسل بهم والذبح والنذر لهم مما هو موجود ومشتهر إبان دعوته المباركة .

فجعل - رحمه الله - يذب عن عقيدة التوحيد حتى هدى الله من شاء فأخلص العبادة لله ، ولا تزل هذه العقيدة الصافية يتوارثها أهل هذه الجزيرة حتى اليوم فهل كان الشيخ - رحمه الله - مع هذا الجهد مضلاً حاشاً وكلاً بل كان هادياً ومرشداً ومعلماً فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

أما دعوى ابن منصور أن الشيخ محمد أنه أجهل من أبى جهل بمعنى لا إله إلا الله . فسيرة الشيخ ، وآثاره تؤكدان بطلان هذا الزعم ؛ لأن من المعروف من دعوته أنها تدعو في المقام الأول إلى تجريد التوحيد من كل شائبة ، وهذا لا يتأتى إلا بتحقيق معنى لا إله إلا الله .

(١) الآية ٥٠ من سورة غافر
(٢) الآية ٥ من سورة الأحقاف

وقبل انتقال الشيخ - رحمه الله - من العيينة إلى الدرعية والجهر بدعوته المباركة . صنّف كتابه المشهور «كتاب التوحيد» وقد ضمنه باباً مستقلاً سماه «باب تفسير التوحيد وشهادة ألا لا إله إلا الله»^(١) .

وقد ساق الأدلة على ذلك من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية المطهرة .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾﴾^(٢) .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في كلامه على هذه الآية : قول الخليل عليه السلام للكفار إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني . فاستثني من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة ، وهذه الموالاتة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله^(٣) .

ثم ساق أيضاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله)^(٤) .

فيقول الشيخ - رحمه الله - : وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل ولا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع^(٥) انتهى كلامه .

(١) مجموعة التوحيد النجدية ص ١٠ الطبعة الأولى .

(٢) الآية ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة الزخرف .

(٣) مجموعة التوحيد النجدية ص ١١ الطبعة الأولى .

(٤) رواه مسلم . ج ١ : ٥٣ ترتيب محمد عبد الباقي

(٥) مجموعة التوحيد النجدية ص ١١ ، ١٢ الطبعة الأولى .

هذا معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في معنى لا إله إلا الله فهل كان في ذلك أجهل من أبي جهل الذي مات مشركاً يعبد اللات والعزى؟
إن الشيخ رحمه الله هو الذي بين للناس ما جهلوه من معنى لا إله إلا الله فأرشدهم إلى أنها تدل على ركنين أحدهما نفى عبادة كل من سوى الله وثانيهما إثبات العبادة لله .

والآيات القرآنية في بيان هذا المعنى كثيرة جداً قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۖ ﴾ (٢) .

أما قوله : إن الشيخ محمداً ضل في تخطئته صاحب البردة (٣) . فإن الشيخ محمداً ليس هو وحده الذي خطأ صاحب البردة في بعض أبياته كقوله :

يا أكرم الخلق مالي من ألودبه سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
فإن عامة علماء المسلمين المحققين قد خطؤا البوصيري في ذلك .

أما ما ينسب إلى الشيخ محمد - رحمه الله - من تكفيره للبوصيري صاحب البردة وإخراجه من دائرة الإسلام فقد صرح الشيخ محمد بنفيه فقال - رحمه الله - .

إذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها - يريد سليمان بن سحيم مطوع الرياض - منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله . . . وقوله إني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم

(١) الآية ٢٣ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٦٤ من سورة آل عمران .

(٣) صاحب البردة هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري توفى في مصر سنة ٦٩٥ هـ .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ٢٠٩

الخلق . . . فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول : سبحانه هذا بهتان عظيم»^(١).

إن الآيات المذكورة ، وما مائلها تنافي عقيدة التوحيد التي بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - بتحقيقها . فإذا كانت الدنيا والآخرة من وجود المخلوق كما يدعيه هذا الشاعر الغالي فماذا ترك لله عز وجل الذي له ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثراء ؟

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - : إن صاحب البردة أفرط في الغلو غاية الإفراط وخرج عما يحبه الله ورسوله إلى ما حرمه الله ورسوله^(٢).

إن الشيخ عبد الرحمن - رحمه الله - حينما قرر بطلان هذا القول لم يكن بدعا منه بل سبقه إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه .

فحينما قدم مصر وجد بها من غلا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتكب ما نهى عنه أمته من الغلو ، ومن جملة ذلك صاحب البردة ذكر له أبياتاً منها قوله :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحافيه واحتكم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفهم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
لونا سبت قدره آياته عظماً أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في رده على ابن البكري :

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ص ٢٩٩ .

(٢) الدرر السنية ج ٩ : ٨٣ طبعة دار الإفتاء .

من هؤلاء من يقول : أسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت ثم ساق الآيات المذكورة .

هذا هو موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من بعض آيات البردة وصاحبها . وهذا هو رأي أهل العلم فيما تضمنته هذه المنظومة من آيات شركية تنافي ما بعث الله به محمداً - صلى الله عليه وسلم - .

لكن بعض القوم قد افتتن بهذه الآيات وصار يردّها وعدّها أفضل من الأوردة الماثورة التي شرعها الله ورسوله . فإننا لله وإنا إليه راجعون !

وكيف يجتمع هذا مع قول الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)^(١) ، أي في العبادة .

فكأن القوم لم تطرق أسماعهم الأدلة الشرعية في النهي عن ذلك فكانوا في جانب وتعاليم الشرع في جانب آخر^(٢) .

أما قول عثمان بن منصور : إن دعاء الرسول وطلب الشفاعة منه بعد موته جائز .

فنقول : مما لا شك فيه أن دعاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حال حياته مرغوب فيه وإجابة دعوته من الله حاصلة . فقد تضافرت الأدلة على وقوعه منه لعدد من المسلمين كدعائه حينما أجذبت الأرض فأمطرت السماء قبل مغادرته مصلاه ، وكدعائه لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما بأن يفقه في الدين ويعلمه التأويل ، وكدعائه لخادمه أنس بن مالك بإكثار ولده وماله ، وغير ذلك كثير ، وقد استجاب الله دعاءه في جميع هذه الوقائع كلها . وعلم ذلك الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فطلبوا منه الدعاء لهم .

(١) الحديث مروي عن عمر بن الخطاب ومخرج في الصحيحين .
(٢) ولمعرفة المزيد من الافتتان بآيات « البردة » أنظر إلى كتاب « كتب ليست من الإسلام » لمحمود مهدي الإستانبولي .

أما بعد مماته فلم ينقل بالرواية الصحيحة أن أحداً منهم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استغاث به لا في أمور الدين، ولا في أمور الدنيا.

وقد حلت بهم المضلات وتعددت المشكلات ؛ لعلمهم أن هذا لا يجوز شرعاً لنهي الله ورسوله عنه بقوله : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، وقوله : اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد^(١) ، وحينما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يستسقى للناس . استسقى بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه حي ولم يذهب إلي قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه فلو كان ذلك جائزاً لفعل .

وقد رأى علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم رجلاً يدعو عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فنهاه عن ذلك^(٢) .

وقد نصَّ الأئمة الأربعة رحمهم الله على أن المسلم إذا أراد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء إلى القبر أنه يسلم وينصرف ، فإذا أراد الدعاء عنده أدار وجهه إلى القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر وذلك سداً للذريعة حتى لا يغتر أحد بأن الداعي يدعو صاحب القبر بل الدعاء يكون لله وحده لأنه عبادة ، والعبادة لا تصرف إلا لله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ودعاء الميت من الشرك سواء طلب منه أن يفعل أو طلب أن يسأل .

ونقل علامة نجد الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين رأي الإمام مالك في هذه المسألة فقال رحمه الله : وفي المبسوط عن مالك . لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي^(٣) .

(١) رواه مالك في الموطأ .

(٢) ذكر هذا الأثر صاحب كتاب (قرة عيون الموحدين) ص ١٤٤ .

(٣) الدرر السنية ج ٩ : ٢٨٦ طبعة دار الإفتاء .

من هذه النصوص علم أن دعاء الأموات غير جائز . لا كما يزعمه هذا المعترض ، ولا أظن أن هذا الأمر قد خفي على عثمان بن منصور ؛ ولكن ربما قال بجوازه مجارات لرأي شيخه داود بن سليمان بن جرجيس فسلك عثمان مسلكه ، ونقل هذا الرأي عنه .

وكان الأولى به أن يدور مع الحق حيثما دار فيستفيد من علمه الصحيح النافع ويرفض ما خالف الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من هذه الأمه .

ويقول الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين أيضاً :

إنه إذا خوطب الرسول أو غيره من الأموات والغائبين بشيء من ألفاظ الاستغاثة ، أو طلب منه حاجة بنحو قوله : أغثني أو انقذني أو خذ بيدي أو أقضي حاجتي أو أنت حسبي ونحو ذلك يتخذه واسطة بينه وبين الله في ذلك فهذا شرك العرب الذين بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم^(١) .

أما الشفاعة فهي ثابتة لبنينا محمد - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة .

قال صلى الله عليه وسلم : (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) .

فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً^(٢) .

وفي حديث آخر : (فأتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه علي أحد قبلي فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي يا رب أمتي أمتي فيقول : ادخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب)^(٣) .

(١) تأسيس التقديس . للشيخ عبدالله أبابطين ص ٢٦ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه أحمد في المسند ج ٢ : ٤٣٥ بإسناد صحيح .

فهذه الشفاعة تكون يوم القيامة ، وهي مقيدة بشرطين :

أحدهما : الإذن للشافع أن يشفع قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (١) .

وثانيهما : رضاه عن المشفوع له . قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ (٢) .
وآية أخرى جمعت بين هذين الشرطين وهي قوله تعالى : ﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنِ بَعْدَ أَنْ يُأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٣) ، فالإذن بالشفاعة يكون بعد الرضى .

أما الكافر والمشرک فليس له نصيب من هذه الشفاعة للأحاديث التي سبقت ولقوله تعالى : ﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٤) .

أما الشفاعة في الدنيا فتارة تكون محظورة ، وتارة تكون مباحة ومرغوب فيها . وقد فصل ذلك شارح العقيدة الطحاوية (٥) ، فقال رحمه الله :

أما الاستشفاع بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ففيه تفصيل فإن الداعي تارة يقول بحق نبيك أو بحق فلان . يقسم على الله بأحد من مخلوقاته فهذا محذور من وجهين :

أحدهما : أنه أقسم بغير الله . وثانيهما : أعتقد أن لأحد على الله حقاً ولا يجوز الحلف بغير الله وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه .

(١) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٢٨ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ٢٦ من سورة النجم .

(٤) الآية ٤٨ المدثر .

(٥) علي بن محمد بن أبي العز الحنفي .

وتارة يقول باتباعي رسولك ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ، ورسلك ،
وتصديقي لهم ونحو ذلك فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل
والاستشفاع^(١) .

إن هذا الاستشفاع مبني على صالح الأعمال ليس فيه محذوراً لحديث الثلاثة
الذين احتجزتهم الصخرة فدعوا الله بصالح أعمالهم فانفرجت عنهم فمشوا طلقاً .

أما الاستشفاع بالأموات سواء كانوا أنبياء ، أو أولياء ، أو غيرهم فهذا محذور ؛
لأنه لم يأذن به الله ورسوله ؛ ولأن الميت لا يستطيع أن ينفع نفسه فكيف يستطيع
جلب النفع لغيره لحديث : إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له^(٢) .

ونقل العلامة ابن قيم الجوزية كلاماً لشيخه ؛ شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس
الله روحه - وهو في غاية الوضوح والدلالة على منع دعاء الأموات فيقول :

وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته
كما يفعله كثير من هؤلاء من جنس عباد الأصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في
صورة الميت كما يتمثل لعبادة الأصنام^(٣) .

أما شفاعة الحي لأخيه في أمر من أمور الدنيا عند ذي سلطان أو صاحب حق
فقد ورد الدليل بإباحته كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إشفعوا
تؤجروا»^(٤) ، وحديث « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة »^(٥) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، الطبعة الثالثة .

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة . ج ٣ : ١٢٥٥ ترتيب محمد عبد الباقي

(٣) إغاثة اللهفان ج ١ : ٢١٧ .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه مسلم من حديث أبي الدرداء .

أما قول عثمان بن منصور : إن الله ابتلى نجباً بهذا الرجل بل ابتلى به جزيرة العرب ، وأنه لم يتخرج على العلماء ، وأنه أخذ بلدان المسلمين بيت مال له ولعياله . . إلخ .

فالجواب عن ذلك نقول :

ما هي البلوي التي جرّها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - على أهل هذه البلاد . أهى إخلاص العبادة لله وحده؟

إن كان الأمر كذلك فنعمت هذه البلوى ، وقد أحسن القائل (١) .

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقرب بأني وهابي

إن الشيخ محمداً - رحمه الله - لم يأت بمذهب جديد في الدين ليفتن أهل هذه الجزيرة فيه فيكون ذلك وبالا عليهم ؛ بل دعا الناس إلى العودة إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ، وسلوك طريقه السلف الصالح من هذه الأمة ، الذين هم أعلم الناس بمصادر التشريع ، وأشدّهم تحريماً لاقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقضت هذه الدعوة المباركة علي آثار الشرك المنتشرة وعاد الناس إلى حظيرة التوحيد الخالص من كل شوائب الشرك ، وحكموا كتاب الله وسنة رسوله في جميع أمورهم فاجتمعوا بعد الفرقة واتحدت كلمتهم وانتشر العلم بين طبقاتهم فعادت دولة الحق ، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

يقول الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني - رحمه الله - وقد عاصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، يقول في قصيدة له يثني بها على الشيخ محمد ويؤيد دعوته :

(١) الشيخ ملا عمران صاحب لنجة .

قفي واسألني عن عالم حل سوحها به يهتدي من ضلَّ عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً مشاهد ضلَّ الناس فيها عن الرشد^(١)

إلى آخر القصيدة :

ويقول مؤرخ نجد أبو بكر حسين بن غنام :
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالألمعي ترفع
فآثره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتسطع^(٢)

هذه آثار الشيخ محمد - رحمه الله - على أهل هذه الجزيرة لا كما يتوهمه هذا الحاسد فهلا ذكر شيئاً من البلاوي التي يزعم ؟

إنه لا يستطيع أن يأتي بشيء ؛ لأن صلاح الشيخ محمد - رحمه الله - وإصلاحه لمجتمعهم قد عُلِمَ لدى أهل هذه الجزيرة ، وغيرهم بالتواتر الذي لا يتطرق إليه أدنى شك .

ما قوله : إنه لم يتخرج على العلماء : فقد قدمنا الكلام على هذا في فصل مستقل في رحلات الشيخ وطلبه للعمل وشيوخه في نجد والحجاز والبصرة فلا حاجة إلى الإعادة هنا خشية الإطالة والتكرار . وبه يعرف من له أدنى مسكه من عقل بطلان ما افتراه هذا المعترض .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ص ٦٨ ، ٦٩ طبعة وزارة المعارف .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٢

أما قوله : إنه أخذ بلاد المسلمين بيت مال له ولعياله . فما هي المحاصيل التي أخذها الشيخ من تلك الديار وأين المال الذي ورثه لأولاده من بعده .

فإن مؤرخي نجد لم يذكروا شيئاً من ذلك ؛ بل إن الشيخ حينما قدم الدرعية عام (١١٥٧هـ) وتعاهد هو والإمام محمد بن سعود رحمهما الله على القيام بالدعوة اشترط الإمام محمد بن سعود على الشيخ محمد شرطين ثانيهما (إن لي على أهل الدرعية قانوناً أخذه منهم في كل عام في وقت الثمار ، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً) ، وكان جواب الشيخ محمد عن هذا الشرط قوله :

لعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها^(١) .

فلو كان قصد الشيخ الحصول على المال لما اعترض على هذا الشرط .

ويذكر صاحب كتاب «لمع الشهاب» وهو تأريخ اشتهر بالتجني على الدعوة وعلى الشيخ محمد بالذات ، يقول وهو يتحدث عن تركة الشيخ :

لم يخلف من المال إلا أرضاً قد اشتراها في حياته في بدء الأمر ذات نخل وزرع وأشجار وفواكه تساوي خمسين ألف ذهب وترك مائتي كتاب ، وقيل ستمائة^(٢) .

وكلام صاحب اللمع فيه نظر ويحتاج إلى تدقيق .

وتذكر بعض الروايات ولعلها أقرب للصواب . أنه لم يخلف سوى داراً كان يسكنها .

لقد ظل منزل الشيخ طيلة حياته وخاصة بعد قيام الدعوة محط طلاب العلم ومقصد المعوزين فكان ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر .

(١) تاريخ نجد لابن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ص ٨٠

(٢) لمع الشهاب . تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ص ١٠١

يقول الشيخ عثمان بن بشر مؤرخ نجد وهو يتحدث عن صفات الشيخ وكرمه
يقول :

وكان عطاؤه عطاء من وثق بالله عن الفقر بحيث إنه يهب الزكاة والغنيمة في
مكان واحد ولا يقوم معه منها شيء ويتحمل الدين الكثير لأضيافه وسائليه
والوافدين عليه (١) .

هكذا كانت حالة الشيخ المادية فلم يختص لنفسه ولا لولده بشيء من المال فلو
كانت الحال كما يدعيه عثمان بن منصور لتجمعت الثروة في يده ولظهر أثرها على
ولد ولده لكن شيئاً من ذلك لم يكن .

أما قوله وإنه أتى الأمة من الباب الضيق وهو تكفيرها ولم يأتها من الباب
الواسع . . . إلخ .

فالجواب عن ذلك ما قدمناه في رد مفتريات وأكاذيب سليمان بن محمد بن
سحيم مطوع الرياض ، لأن هذه المسألة هي عين تلك المسألة وهي قضية التكفير
وملخص جوابها أن الشيخ محمداً - رحمه الله - نفى هذا وقال فيه : وأما التكفير فأنا
أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ، ونهى الناس عنه وعادى من فعله
فهذا هو الذي أكفره ، وأكثر الأمة - ولله الحمد - ليسوا كذلك (٢) .

ويقول في موضع آخر : وأما القول إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء
الذين يصدون عن هذا الدين .

فقوله : وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك . ينفي دعوى التكفير بالعموم
فبهذا يتبين بطلان مازعمه هذا المعترض .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد للشيخ عثمان بن بشر ص ١١٣ طبعة وزارة المعارف

(٢) الدرر السنية ج ١ : ٥٦

وأما دعوى هذا المعترض : بأن أهل هذه الدعوة خوارج تنزل الأحاديث التي وردت في الخوارج عليهم .

فالجواب عن ذلك نقول :

إن هذا الزعم باطل ، لأن الخوارج الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الواردة فيهم قوله صلى الله عليه وسلم : (أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم)^(١) قد خرجوا في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأعلنوا معتقدهم الباطل بعد وقعة صفين^(٢) ، حيث كفروا الصحابة .

أما أهل هذه الدعوة السلفية فهم أبعد الناس عن مشابهة هذه الطائفة الضالة ، فمعتقد أئمة هذه الدعوة معتقد أهل السنة والجماعة وهو حب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وموالاتهم ، والترضي عنهم والكف عما شجر بيهم ، وحمل كل منهم على أنه مجتهد ، لهم حسنات عظيمة يحو الله بها سيئاتهم .

يقول إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله^(٣) :

وأومن بأن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى ، وأتولى أصحاب رسول الله عليه وسلم ، وأذكر محاسنهم ، وأترضى عنهم ، واستغفر لهم ، وأكف عن مساوئهم ، وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٤) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) وقعة صفين سنة ٣٧ هـ .

(٣) الدرر السنية ج ١ : ٢٩ ، ٣٠ طبعة دار الإفتاء .

(٤) الآية ١٠ من سورة الحشر

ويقول حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد :

وأما أهل هذه الدعوة الإسلامية التي أظهرها الله في نجد فهم بحمد الله أبعد الناس عن مشابهة الخوارج ، وغيرهم من أهل البدع^(١) .

فإذا كانت هذه عقيدة الشيخ محمد - رحمه الله - ومن جاء بعده من أئمة هذه الدعوة في حب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وموالاتهم . فكيف ساغ لهذا المعارض أن ينزلهم منزلة الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واعترضوا على قصة التحكيم بعد وقعة صفين وكفروا كل من رضي به ، سبحانه هذا بهتان عظيم .

٦- شبهات داود بن سليمان بن جرجيس العراقي والرد عليها:

ولد داود ببغداد سنة (١٢٣١ هـ) ونشأ بها وتعلم على والده وسافر إلى بلاد الحرمين ، ومكث بهما مدة عشر سنوات .

وهو حنفي المذهب ، ومن كبار الصوفية ذكر ذلك الأستاذ أحمد تيمور^(٢) .

ويذكر الشيخ عبدالله البسام أن داود قد جاء إلى نجد أثناء مجيئه للحج وتعلم على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين في عنيزة وقرأ عليه طرفاً من تفسير البيضاوي وبعضاً من فقه الحنابلة فاستجازه في فقه الحنابلة فأجازه^(٣) ، وتوفي داود في بغداد سنة (١٢٩٩ هـ) .

يقول الشيخ عبدالله أبابطين عن هذه الإجازة مانصه (أما بعد فإنه قد قدم علينا في اثناء عشر ستمين السنة رجل اسمه داود بن سليمان البغدادي ، ومعه شيء من كتب

(١) الدرر السنية ج ٩ : ١٩٤

(٢) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، ص ٣٣٢ .

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون ج ٢ : ٥٦٩ .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ٢٢١

المذهب ، وجلس عندنا مدة ، وطلب مني إجازة في الفتيا في المذهب . وكتبت له^(١) انتهى .

وقد عاد داود إلى بغداد ، وبعد أربع سنوات عاد ثانية إلى الحج ، ومر بشيخه أبا بطين في عنيزة .

لكن داود في هذه المرة قد علقَ في ذهنه أمور تخالف العقيدة الصحيحة ، حيث زعم استحالة وقوع الشرك في الأمة المحمدية ، وأن دعاء الأموات ، والغائبين لا يسمى دعاء بل نداء ، وأن الشرك هو السجود لغير الله فقط .

وليت داود جعل هذه الأمور رأياً خاصاً له فهو مجرد رأي من شخص لا يعول عليه . لكنه عزا هذه الأمور إلى أحد كبار الأئمة من أهل السنة والجماعة وهو شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية - رحمه الله - .

لهذا اندهش علماء نجد من هذه المسألة ؛ لأن ما ذكره خلاف ما يعرفونه عن شيخ الإسلام ابن تيمية .

لذا لا بد من كشف الأمر والوقوف على حقيقته ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٢) .

فبرز لمكاشفته والتحقيق مما ذكره علامة نجد الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين^(٣) ، وطلب من داود بسط شبهه هذه في ميدان البحث والمناقشة فأحضر داود ورقة قد سجل فيها بعض عبارات شيخ الإسلام .

(١) تأسيس التقديس ، ص ٣ ، ٢ - طبعة مصر ١٣٤٤ هـ .

(٢) آية ٦ من سورة الحجرات .

(٣) هو العلامة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن أبابطين العائذي القحطاني ولد في روضة سدير سنة ١١٩٤ هـ وتعلم على يد علماء نجد وغيرهم حتى برز ، وتولى القضاء والتدريس والتأليف والرد على أهل البدع . وتوفي في شقراء سنة ١٢٨٢ هـ رحمه الله .

لكن الشيخ عبد الله رجع إلى تلك النصوص في مصنفات شيخ الإسلام نفسها فظهر أن ما تعلق به داود هو كلام أورده ابن تيمية ليرد عليه لا أنه رأى له أو دليل فظهر بطلان هذه الشبه فما وسع داود إلا التسليم ظاهراً قطعاً للمنافسة والمناظرة .

يقول الشيخ أبابطين - رحمه الله - : فقلت له أخبرني عن حقيقة الشرك الذي حرمه الله ، وأخبر أنه لا يغفره فقال هو السجود لغير الله فقلت نهى الله عن السجود لغير الله لكن مادليلك على أنه شرك فلم يكن عنده جواب فلما أوردت بعض الأدلة على بطلان دعواه ، ودحض حجته أظهر الموافقة قصداً لقطع الكلام ^(١) .

لكن داود أضمر الشر لهذه الدعوة وأتمتها فبعد رجوعه إلى بغداد أخذ يغني على ليلاه كما يقول ابن بسام . فسعى إلى جمع ما كتبه أعداء الدعوة ، وما ألصقوه بأهلها زوراً وبهتاناً فاستخلص منها رسالة سماها «صلح الإخوان» .

يقول عن هذه الرسالة علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي ^(٢) . إن كتاب (صلح الإخوان) الذي ألفه داود بن سليمان لما كان مشتملاً على ما يصادم الشريعة الغراء من الدعاء إلى عبادة غير الله ، وجواز الالتجاء إلى ما سواه ، وما إلى ذلك من الشبه رد عليه العالم الشيخ عبداللطيف النجدي ^(٣) بكتاب سماه «منهاج التأسيس» ^(٤) . . . انتهى كلام الألوسي .

بعث داود بكتابة أو رسالته إلى خاصته وشيعته من أهل نجد فجعلوا يدندنون حوله حتى قال عثمان بن عبدالعزيز بن منصور منظومة فيه ، يمدح فيها داود وطريقته وما ضمنه في رسالته «صالح الإخوان» وقد ذكرنا طرفاً من أبياتها في أول الرد على عثمان بن منصور . ومنها هذه الأبيات :

(١) تأسيس التقديس ص ٣، ٢ طبعه مصر ١٣٤٤ هـ .
(٢) ولد في بغداد سنة ١٢٧٣ هـ عالم ومؤرخ وأديب له ردود طيبة على أهل البدع وله مصنفات كثيرة توفي في بغداد سنة ١٣٤٢ هـ .

(٣) يقصد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ

(٤) أعلام العراق لمحمد بهجة الأثري ص ١٤٢

تأملتُها سبرا لها فوجدتها ————— جواهر وحي صافية الدر
تبارك ربي ما أجل متونها ————— وأرصافها رصفا بقاصمة الظهر
تدمدم حرف الزيف من بعد ما علا ————— وتدحض جور الخارجي والجبر
فضيفتها من قريضا مروقا ————— على أنها الحسناء واضحة الثغر

وقد انبرى للرد على أباطيل هذا العراقي نخبة من علماء نجد البارزين في ذلك الوقت منهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب . رد على داود بكتاب اسمه «القول الفصل النفيس في الرد على داود بن جرجيس» .

ورد عليه أيضا الشيخ عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ بالكتاب المشار إليه سابقا «منهاج التأسيس والتقديس» وقد توفي الشيخ عبداللطيف قبل إتمامه فأتمه السيد محمود شكري الألوسي بكتاب سماه «فتح المنان تنمة منهاج التأسيس والتقديس» وقد طبعت هذه التتمة ضمن منهاج التأسيس والتقديس .

كذلك رد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن على داود بكتاب اسمه «دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ» .

وكذلك الشيخ عبدالله أبابطين رد على داود بكتاب اسمه «تأسيس التقديس» .

كل هؤلاء الأعلام والمشايخ الكرام نفوا ما توهمه داود بن جرجيس .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن : وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض ، ولجاجة وافتراءه على الله وعلى رسوله ؛ فإن دعوة غير الله ضلال وشرك ينافي عقيدة التوحيد وإن اتخذ الشفعاء إنما هو بدعائهم والالتجاء إليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي وقد نهى الله عن ذلك .

ويقول الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن :

نعم بقيت لتلك الشبه بقية بأيدي قوم ليس لهم في الإسلام قدم ولا بالإيمان درية يتخافتون بينهم ما تضمنته تلك الكتب من الشبه الشركية ، ويتواصلون بكتامانها كما تكتم كتب التنجيم والكتب السحرية حتى أتيح لهم هذا الرجل من أهل العراق فألقيت إليه تلك الكتب فاستعان بها على إظهار أباطيلة وتسطير إلحاده وأساطيله ، وزاد على ما في تلك المصنفات ، وأباح لغير الله أكثر العبادات ؛ بل زعم أن للأولياء تدبيراً وتصرفاً مع الله ، وأجاز أن يكل الله أمور ملكه وعباده إلى الأولياء والأنبياء ، ويفوض إليهم تدبير العالم ، وهذا موجود عندنا بنص رسائله^(١) .

ويقول الشيخ راشد بن عبيد الله الغزي في رسالة له :

وصلنا الرياض بالسلام وبحثنا عن نقض كلام داود بن جرجيس فوجدنا ثلاث نسخ كل نسخة لواحد من المنتسبين إلى الدين من أهل تلك البلاد النجدية وسمعت كثيراً من ردهم ونقضهم فوجدتهم قد أوردوا من الحجج ، والأدلة والبراهين ما لا يقاومه ، ولا يستطيع ذلك مجادل ؛ فإنهم احتجوا على وجوب إخلاص الدين لله ، وافراده بالعبادة ، والدعاء ، والاستغاثة والاستجارة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال علماء الأمة وما درج عليه القرون المفضلة بنص الحديث فقام الدليل واتضح السبيل^(٢) .

وبالجملة فإن الشبه التي أثارها داود بن جرجيس تدور حول ثلاثة أمور لو صحت لكانت سهماً قاتلاً في قلب العقيدة . لكن الله سَلَّمَ وحفظ دينه وجعل عقيدة التوحيد عقيدة أنبيائه ورسلة ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين . وهذه الشبه هي :

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ٩ : ص ٣٣١

(٢) الدرر السنية ج ١ : ٢٤٩

الشبهة الأولى : محاولة إثبات التوسل بالأنبياء ، والصالحين وقت حياتهم وبعد مماتهم .

وقد استدل على ذلك من القرآن بقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وبقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ (٢) .

واستدل من السنة بحديث الأعمى ولفظه : أن رجلاً ضريراً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ادع الله أن يكشف عن بصري فأمره أن يتوضأ ، ويصلي ركعتين ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك ، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم شفعه في فقام وقد أبصر) رواه الترمذي والنسائي والبيهقي ، والطبراني بإسناد صحيح .

الشبهة الثانية : أن دعاء الأموات لا يسمى دعاء إنما هو نداء وأن العبادات التي صرفت لأهل القبور لا تسمى عبادة ولا شركاً إلا إذا اعتقد التأثير لأربابها وأن عبادة القبور لا يكفرون ، وأن من قال لا إله إلا الله واستقبل القبلة فهو مسلم وإن لم يرغب عن ملة عبادة القبور .

وقد استدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ (٣) .

(١) الآية ٣٥ من سورة المائدة

(٢) الآية ٥٧ من سورة الإسراء

(٣) الآية ٩٤ من سورة النساء

فزعم داود أن سبب نزول هذه الآية قتل رجل كافر قصده الإسلام ولم يتلفظ بالشهادة .

واستدل من الحديث بما رواه الحاكم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادي يا عباد الله احبسوا فإن لله عبداً حاضرين سيحبسونها» .

واستدل أيضاً بما رواه الحاكم في مستدركه قال : أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً جبهته على القبر فقال : أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - فقال : جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم آت الحجر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله) .

إلى غير ذلك من الشبه التي اعتبرها داود أدلة على ما ذهب إليه .

الشبهة الثالثة: أن الحلف بغير الله ليس بشرك ولا كفر بل هو مكروه كراهة تنزيه أو تحريم واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١) .

وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه «لا وأبيك» .

والرد على هذه الشبه نقول :

أما دعوى إثبات التوسل بالأنبياء ، والصالحين وقت حياتهم ، وبعد مماتهم فلنعرف أولاً معنى التوسل . فالوسيلة في اللغة . القربة وهي على وزن فعيلة .

(١) الآية ٧٢ من سورة الحجر

قال عنترة مخاطبا امرأته :

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

وتجمع على وسائل، قال الشاعر :

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

والوسيلة في الشرع : هي ما يوصل إلى ثواب الله عز وجل ، والزلفى لديه وذلك بفعل الطاعات وترك المنهيات .

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : والوسيلة أيضاً عَلمٌ على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

والمتتبع لكلام السلف الصالح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتابعيهم يجد أن التوسل ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولا : التوسل بالإيمان بالله والتصديق برسالة رسوله وطاعته .

فهذا النوع من التوسل هو أصل الإيمان ، والإسلام ، وقد انعقد الإجماع على مشروعيته .

ثانيا : التوسل بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقت حياته ، ويوم القيامة ، ودعاء من يُعتَقَد فيه الصلاح وقت حياته فقط . كدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الأعمى بأن يرد الله إليه بصره ، وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أراد العمرة قال له الرسول : (لاتنسنا يا أخي من صالح دعائك)^(٢) وكاستسقاء عمر بن الخطاب بالعباس بن عبدالمطلب ، واستسقاء معاوية بن أبي سفيان باليزيد بن الأسود . أي بدعائهم حال حياتهم .

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ : ٥٦٣ طبعة بيروت

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ج ١ : ٢٩ وأبو داود عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

والوقائع من هذا النوع كثيرة جداً ومشهورة لدى الصحابة وغيرهم .

فعلم من ذلك أن هذا النوع من التوسل مشروع أيضاً ، ولا مخالف له ممن يعتد بقوله .

ثالثاً : التوسل بذوات أصحاب القبور من الأنبياء ، والصالحين ، والمشايخ الذين هم محل تعظيم عند أولئك المفتونين بهم .

وهذا النوع هو الذي قصده داود بن جرجيس ويدل عليه كلامه منطوقاً ومفهوماً يقول في تشطيره لبعض أبيات البردة :

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي ومنقذي من عذاب الله والألم
أو شافعا لي مما قد جنيت غدا فضلا وإلا فقل يازلة القدم

فأتى في البيت الأول بالصدر من كلام البوصيري وأتى بالعجز من عنده وهو قوله : ومنقذي من عذاب الله والألم .

فهل ينقذ من عذاب الله إلا الله وهل يستطيع أحد أن يكشف الآلام إلا الله؟ وأتى بصدر البيت الثاني من عنده وهو قوله : أو شافعا لي مما قد جنيت غداً وأتى بالعجز من كلام البوصيري .

إن هذا النوع من التوسل ممنوع لدى علماء المسلمين المحققين ، ولم يكن معروفا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

فلم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى قبر أحد كائناً من كان يدعوه ، ويتوسل به ، بل المعروف عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يزور القبور يدعو لأصحابها .

وهذا الأمر مشروع في الإسلام في حق الرجال ، قال صلى الله عليه وسلم : زوروا القبور فإنها تذكركم (الآخرة) ^(١) : كيف يدعون لأصحاب القبور ، وهو «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين ، والمسلمين إنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية» ^(٢) .

هذا هو الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور وقد أمرنا بهذا تأديباً وحماية لجناب التوحيد ؛ لأن اعتقاد الأمم السابقة في أصحاب القبور كان هو مبعث الشرك ، ومنطلق عبادة الأصنام .

وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يتوسلوا بأحد من الأموات مهما كانت درجته .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الأقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة ، والتابعين ؛ بل عمر بن الخطاب ومعاوية ابن أبي سفيان ومن بحضرتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان لما أجذبوا استسقوا ، وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس وكيزيد بن الأسود ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره ولا غير قبره ^(٣) .

ويقول رحمه الله في موضع آخر :

وأما القسم الثالث مما يسمى توسلاً فلا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً يحتج به أهل العلم كما تقدم بسط الكلام على ذلك وهو

(١) رواه الترمذي

(٢) أخرجه مسلم ج ٢ : ٦٧١ ترتيب محمد عبد الباقي .

(٣) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢٩

الإقسام على الله عز وجل بالأنبياء ، والصالحين أو السؤال بأنفسهم فإنه لا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ثابتاً لافي الإقسام أو السؤال به ولا في الإقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين^(١) .

هذا هو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا النوع من التوسل وهو المنع وجزمه بعدم ورود أي دليل عليه .

فكيف ساغ لداود استحسان ذلك والترغيب فيه ، وجعله آيتي التوسل أصلاً في دعاء الأموات والتوجه بهم إلى الله وجعلهم وسائط بين العباد وبين خالقهم في قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات .

ويقول العلامة بن القيم رحمه الله :

فأبى المشركون إلدعاء الميت ، والإشراك به ، والإقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة ، والتوجه إليه بعكس هديه صلى الله عليه وسلم فإنه هدى توحيد ، وإحسان إلى الميت . وهدى هؤلاء شرك ، وإساءة إلى أنفسهم ، وإلى الميت^(٢) .

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فقد تكلم على هذه المسألة وقال فيها مانصه :

وأما التوسل وهو أن يقول اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم أو بحق نبيك ، أو بجاه ، عبادك الصالحين ، أو بحق عبدك فلان فهذا من أقسام البدع المذمومة ولم يرد بذلك نص^(٣) .

(١) المرجع السابق ص ١٠٦

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ج ١ : ١٤٦

(٣) الدرر السنية ج ١ : ١٢٩

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ٢٣١

مما تقدم يظهر بطلان هذا النوع من التوسل وأنه ليس من الإسلام في شيء لكن نريد أن نقف على المعنى الصحيح للأدلة التي استشهد بها داود على ما ادعاه من الباطل .

يقول الله عز وجل في سورة المائدة : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١) .

فما معنى الوسيلة في هذه الآية ؟

يقول ابن جرير في تفسيره : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه ، وهو قول قتادة ومجاهد^(٢) .

ويقول القرطبي : الوسيلة درجة في الجنة وهي التي جاء الحديث الصحيح بها في قوله صلى الله عليه وسلم : فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة^(٣) .

ويقول ابن كثير : والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى المقصود وهي أيضا علمٌ علي أعلى مكان في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم داره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش^(٤) .

وروى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتي محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة ﴾^(٥) .

(١) المائدة : ٣٥

(٢) تفسير ابن جرير ج ١٠ : ٢٩٠

(٣) تفسير القرطبي ج ٦ : ١٥٩ طبعه مصر ١٣٨٧ هـ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ : ٢٣٥ طبعه ١٣٧٨ هـ .

(٥) فتح الباري لابن حجر ج ٢ : ٢٣٥ طبعه ١٣٧٨ هـ .

وفي صحيح مسلم^(١)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مِنْ صَلَّيَ عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ﴾.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن الوسيلة فقال: ﴿هِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ﴾^(٢).

هذه أقوال أئمة التفسير والحديث على هذه الآية وما أوردوه من أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها.

وهي أقوال تفيد قطعاً أن المراد بالتوسل الوارد في الآية الكريمة هو التقرب إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه، وأنها أيضاً منزلة عالية في الجنة يستحقها رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - لا كما يتوهمه داود من أنها التوسل بذوات الأموات من الأنبياء والصالحين.

أما آية الإسراء وهي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ فلنقرأ الآية التي قبلها يقول الله عز وجل: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾^(٥٦)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٥٧) (٣).

(١) ج ١ : ٢٨٨ تحقيق محمد عبد الباقي طبعه دار الإفتاء

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٢ : ٢٦٥

(٣) الآية ٥٦ ، ٥٧ من سورة الإسراء

يقول ابن كثير رحمه الله : يقول الله تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ادعوا الذين زعمتم من دونه من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم أي بالكلية ولا تحويلا أي بأن يحولوه إلى غيركم . والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق ، والأمر ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ قال : ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا^(١) .

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في معنى قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال كان نفر من الجن أسلموا وكانوا يُعبدون فبقي الذين كانوا يُعبدون على عبادتهم وقد أسلم النفر من الجن^(٢) .

ويقول القرطبي يبتغون : يطلبون من الله الزلفة والقربة ، ويتضرعون إلى الله تعالى في طلب الجنة ، وهي الوسيلة . أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم^(٣) .

ويقول الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية :

هذا رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على أنها صور الملائكة ، وعلى طائفة من أهل الكتاب كانوا يقولون بإلهية عيسى ومريم وعزير فأمر سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله .

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ : ٤٦ طبعة بيروت .

(٢) صحيح مسلم ج ٤ : ٢٣٢١ تحقيق محمد عبد الباقي

(٣) تفسير القرطبي ج ١٠ : ٢٧٩

وقيل أراد بالذين زعمتم نفراً من الجن عندهم ناس من العرب فلا يملكون كشف الضر عنكم أي لا يستطيعون ذلك .

والمعبود الحق هو الله الذي يقدر على كشف الضر ، وعلى تحويله من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان فوجب القطع بأن هذه التي تزعمونها آلهة ليست بآلهة .

ثم إنه سبحانه أكد عدم اقتدارهم ببيان غاية افتقارهم إلى الله في جلب المنافع ودفع المضار فقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ .

والوسيلة القربة بالطاعة والعبادة أي : يتضرعون إلى الله في طلب ما يقربهم إلى ربهم^(١) انتهى كلام الشوكاني .

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

وهذه الأقوال كلها حق فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله ، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر^(٢) .

هذه أقوال العلماء المعتد بقولهم في هذه الآية ، والتي يتضح منها جلياً أن المعبودين الذين عبدتهم الكفار من دون الله يتقربون إلى الله بطاعته طمعا فيما عنده من الثواب الموصل إلى جنته فكان الأولى بكم يا من تعبدونهم وتزعمون أنهم وسيلة إلى الله . الأولى بكم أن تطلبوا الثواب والجنة ممن يطلبونها منه وهو الله عز وجل فإنه سبحانه يقبل دعاء عبده إذا تاب إليه وأناب وأخلص العبادة له يقبله من غير واسطة ولا بواب .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾^(٣) .

(١) فتح القدير للشوكاني ج ٣ : ٢٣٧
(٢) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٢٨
(٣) البقرة : ١٨٦

فهل كان لداود بن جرجيس في هذه الآية ما يستدل به على التوسل بذوات الأنبياء، والصالحين؟ أبدأ ليس فيها ما يشير إلى ذلك لا منطوقاً ولا مفهوماً.

وأما استدلال داود بحديث الأعمى السابق ذكره فليس فيه دليل على دعواه لعدة أمور :

١- أن هذا الرجل لم يتوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم بل توسل بدعائه بدليل أنه طلب من الرسول أن يدعو الله له بقوله : ادع الله لي أن يعافيني ؛ ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له : وإن شئت دعوت لك قال فادعه . فهذا النوع من التوسل جائز بإجماع المسلمين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وحديث الأعمى الذي رواه النسائي والترمذي من القسم الثاني من التوسل بدعائه ، فإن الأعمى قد طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره ^(١) .

٢- أن الحديث دليل على أنه لا يدعى في جلب النفع ودفع الضر إلا الله والرجل قد فهم هذا لقوله : (ادع الله لي) فربط العافية مما به بدعاء الله .

٣- أن الدعاء الوارد في القصة صادر عن شخص حي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا الدعاء لا يقول أحد بعدم جوازه مطلقاً .

٤- أن الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه كطلب الصحابة رضوان الله عليهم من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يغيثهم ، وكطلب أحدهم من الرسول بقوله : ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، وكاستسقاء عمر رضي الله عنه بالعباس . وهكذا .

لهذا علم أن المعنى الصحيح للحديث المشار إليه هو التوجه إلى الله سبحانه بدعاء نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وشفاعته المشتملة على الدعاء

(١) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٩٢

فالحديث قد بدئ بدعاء الله ، وختم بدعاء الله ، وبقبول شفاعته رسوله فلاوجه للاستدلال به على التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم ولاغيره .

٥- أن قول الرجل : اَللّٰهُمَّ شفّعه فيّ دليل واضح على أن توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بدعائه لله له . والله أعلم .

أما النوع الثاني من شبه داود بن جرجيس وهو أن دعاء الأموات لا يسمى دعاء ، وإنما هو نداء وأن العبادات التي صرفت لأهل القبور لا تسمى عبادة ، ولا شركاً إلا إذا اعتقد التأثير لأربابها . . إلخ فنقول :

الدعاء والنداء من حيث اللفظ العام يقصد بهما شيء واحد وهو الطلب ولفت الانتباه .

وقد يطلق الدعاء ويراد به النداء كقوله تعالى حكاية عن ابنة شعيب عليه السلام : ﴿ اِنَّكَ اَبِيْ يَدْعُوْكَ لِجَزِيْكَ اَجْرًا مَّسْقِيَّتَ لَنَا ﴾ (١) .

وقد يطلق النداء ويراد به الدعاء كقوله تعالى حكاية عن نبيه زكريا عليه السلام : ﴿ اِذْ نَادٰى رَبُّهُۥ رِنْدَآءٍ خَفِيًّا ﴾ (٢) . فزكريا في هذا النداء يدعو الله سبحانه أن يهبه ولدا يكون خليفة من بعده كما يوضحه قوله ﴿ فَهَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ (٣) .

ويقال إن الدعاء يكون للقريب والنداء يكون للبعيد ذكره القرطبي (٤) . ولهذا سمي الأذان للصلاة نداء ؛ لأنه دعوة للناس من بعيد للحضور إلى تأدية الصلاة

(١) الآية ٢٥ من سورة القصص .

(٢) الآية ٣ من سورة مريم .

(٣) الآية ٥ من سورة مريم .

(٤) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢١٥

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ٢٣٧

جماعة قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٩) ﴿ (١) .

وقد يكون النداء للقريب كقوله تعالى : ﴿ فَنادَئْهُمَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (٢) . وكقول الرسول صلى اله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه وكان راكبا معه على حمار فقال له : « يامعاذ أتدري ما حق الله على العباد الحديث » فناداه عن قرب .

وفي لسان العرب لابن منظور : النداء : الدعاء بأرفع الصوت . وأنشد الأصمعي :

فقلت أدعي وأدعو إن أندى لصوت أن ينادي داعيان

فالشاعر في هذا البيت استعمل لفظ الدعاء ، والنداء في معنى واحد ، وهو رفع الصوت .

هذا هو المقصود بالدعاء ، والنداء من حيث اللفظ والعموم .

ولاشك أن داود بن جرجيس لا يريد هذا ، وإنما أراد إثبات مشروعية دعاء الأموات ، وندائهم .

فمن حضر إلى ضريح ، وجعل ينادي صاحبه ويستغيث به ويطلب منه العون والمدد فهو لا يطلق هذه الكلمات عبثا كيفما وقعت دون قصد وإنما يقصد معاني هذه الكلمات وهو جلب النفع أو دفع الضر .

وهذا هو الذي أراده داود في دعواه . لكنها دعوى باطلة يكذبها العقل الصحيح والنقل الصريح ؛ وذلك أن الدعاء والنداء من حيث المعنى بينهما اختلاف

(١) الآية ٩ من سورة الجمعة

(٢) الآية ٢٤ من سورة مريم

كبير . فالمقصود بالدعاء هو طلب جلب النفع أو دفع الضر ، وطلب الرحمة والمغفرة من الله تعالى . قال في القاموس : الدعاء الرغبة إلى الله .

وقال في تاج العروس الدعاء الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده من الخير والابتهاال إليه بالسؤال . والمعنى واحد . والدعاء لا يكون إلا لله وحده قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) .

والدعاء هو العبادة ، والعبادة لا تكون إلا لله قال تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٤) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا .

أما النداء فإن المقصود به طلب الإنسان المقابل بالمجئ أو لفت انتباهه إلى شيء معين وهو بخلاف الدعاء . ويكون النداء من الخالق إلى المخلوق قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٥) . وقوله تعالى : ﴿ قِيلَ يَنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ (٦) .

وفي الحديث القدسي : ﴿ يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ﴾ (٧) .

(١) الآية ١٠٦ من سورة يونس

(٢) الآية ١٨ من سورة الجن .

(٣) الآية ٥ من سورة الفاتحة .

(٤) الآية ٢٣ من سورة الإسراء .

(٥) الآية ١١٦ المائدة

(٦) الآية ٤٨ من سورة هود .

(٧) رواه مسلم وأحمد .

ويكون النداء من المخلوق إلى الخالق قال تعالى حكاية عن زكريا : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ ^(١) وقوله سبحانه ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ ^(٢) أي نادى ربه سبحانه . وفي الحديث : (ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) ^(٣) .

ويكون النداء من المخلوق إلى المخلوق قال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا أَيْمَنَكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ^(٤) ﴿ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾ ^(٥) . وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٦) والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً فتبين بهذا الفرق بين الدعاء، والنداء . فالدعاء لا يكون إلا لله وحده وهو العبادة .

أما النداء فيكون لله ولغيره .

وإذا نادى العبد ربه كان الغرض منه الدعاء كقول امرأة عمران : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ ﴾ الآية ^(٧) .

والنداء لا يكون للميت وإنما يكون للحَي الذي يطلب مجيئه أو لفت انتباهه .

أما الأموات فلا قدرة لهم على إجابة المنادي فلا وجه مطلقاً لما ادعاه داود . من أن دعاء الأموات نداء وليس دعاء .

(١) الآية ٣ من سورة مريم .
(٢) الآية ٨٧ من سورة الأنبياء
(٣) أخرجه في الصحيحين
(٤) الآية ٧٧ من سورة الزخرف .
(٥) الآية ٦٢ من سورة هود
(٦) الآية ٢ من سورة نوح
(٧) الآية ٣٦ من سورة آل عمران

ودعاء الأموات من حيث هو سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم فهو أمر باطل مخالف للعقيدة الصحيحة .

وما قامت الدعوة الإسلامية على يد قائدها الأول محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا للقضاء على هذا النوع ومحاربة الشرك في جميع صورته وأشكاله .

يقول الله عز وجل في سورة البقرة : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (١) .

وقد تكلم الحافظ ابن كثير على هذه الآية فقال : يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أنداداً أي أمثالا ، ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه (٢) .

وفي الصحيحين (٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك »

أما كون العبادات التي تصرف لأهل القبور لا تسمى عبادة ولا شركاً إلا إذا قصد التأثير لأربابها .

فنقول : هم لاشك ما عبدوها ، وتبركوا بها إلا معتقدين أن لها تأثيراً على الأحياء في أمور الدنيا والآخرة . وهو اعتقاد باطل ، وإلا فما هو الغرض من زيارتها ، وإطلاق الدعوات عندها أتراهم يفعلون ذلك عبثاً وتسلياً ؟

وإذا كان هذا لا يضر إلا إذا قصد التأثير كما يزعم داود بن جرجيس فلماذا لم يفعلوه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ؟

(١) الآية ١٦٥ من سورة البقرة .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ : ٣٥٦ طبعة بيروت

(٣) صحيح البخاري ج ٥ : ١٤٨ ، وصحيح مسلم ج ١ : ٩٠ ترتيب محمد عبد الباقي

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

وهذه الأمور المبتدعة من الأقوال هي مراتب أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجة أو يستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس بكثير من الأموات . وهو من جنس عبادة الأصنام ، ولهذا تتمثل لهم الشياطين على صورة الميت أو الغائب كما كانت تتمثل لعباد الأصنام بل أصل العبادة الأصنام إنما كانت من القبور^(١) .

وإذا كان الرسول قد سدّ كل ذريعة تؤدي إلى الشرك سواء كانت بالأفعال أم الأقوال كما فعل مع الرجل الذي جاء يطلب منه الحكم في تنفيذ نذره «ببوانة» فإن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام لم يحبه حتى سأل عن ذلك الموضع هل كان فيه وثن يعبد ؟

فلما أجيب بالنفي أمر الرجل بأن يفى بنذره . ومعلوم أن هذا الرجل قصده حسن وهو النذر بأن يذبح لله خمسين من الأبل وفي بعض الروايات من الغنم إن رزقه الله ولدا .

وحينما قال له رجل آخر : ما شاء الله وشئت أنكر عليه صلى الله عليه وسلم وقال له : (أجعلتني لله ندا)^(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)^(٣) . وقال : (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)^(٤) .

ولما قيل له : أنت سيدنا وابن سيدنا قال : السيد الله^(٥) .

(١) تلخيص الاستغاثة لابن تيمية ص ٥٦ .

(٢) أخرجه النسائي عن ابن عباس .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ومالك في الموطأ .

(٤) رواه البخاري وأحمد عن عائشة وابن عباس .

(٥) رواه البخاري وأحمد

وكما ذكرنا سابقاً كلام أبي الوفاء ابن عقيل - رحمه الله - قال :

لما صعبت التكاليف على الجاهل - والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور ، وخطاب الموتى وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ^(١) .

وحينما تكلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام هذه الدعوة رحمه الله على أنواع الدعاء قال الثاني :

أن يدعو الله ويدعو معه نبياً أو ولياً ويقول : أريد شفاعته وإلا فأنا أعلم ماينفع ولا يضر إلا الله لكن أنا مذنب وأدعو هذا الصالح لعله يشفع لي .

يقول الشيخ : فهذا الذي فعله المشركون وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتركوه ولا يدعوا مع الله أحداً لا لطلب شفع ولا نفع .

فكلامه رحمة الله نص في منع ما زعمه داود بن جرجيس .

وحينما دخل أحد أئمة الدعوة وهو الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله مكة صحبة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود عام (١٢١٨ هـ) ناظر الشيخ عبد الله علماء مكة في عدد من مسائل الدين ، ومن جملتها مسألة دعاء الأموات فوافقوه وحلفوا الأيمان المغلظة على انشراح صدورهم ، وجزم ضمائرهم أنه لم يبق لديهم شك في أن من قال يارسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا عبد القادر ، أو غيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من شفاء المريض ، والنصر على العدو ،

(١) نقل هذه المقالة عن أبي الوفاء . ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان ج ١ : ١٩٥

والحفظ من المكروه ، ونحو ذلك أنه مشرك شركا أكبر يهدر دمه ، ويبيع ماله وإن كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريح الكون هو الله وحده لكنه قصد المخلوقين بالدعاء تشفعاً بهم ومتقرباً بهم لتقضى حاجته هو الله وحده لكنه قصد المخلوقين بالدعاء تشفعاً بهم ومتقرباً بهم لتقضى حاجته من الله بسرهم ، وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ^(١) .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿ (٢) .

يقول ابن عباس ، وغيره من السلف : هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم .

فانظر كيف آل الأمر بهؤلاء من العكوف على القبور إلى تصوير أولئك الصالحين ، وبالتالي جرهم ذلك إلى عبادتهم .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ، ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين^(٣) .

ويقول صاحب الإقناع شرف الدين المقدسي الحجاوي - رحمه الله - :

من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعا ؛ لأن هذا كفعل عابدي الأصنام^(٤) .

(١) الدرر السنية ج ١ : ١٢٥

(٢) الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة نوح

(٣) كتاب تلخيص الاستغاثة لابن تيمية ص ٢٣٢

(٤) كشف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور البهوتي ج ٦ : ١٦٨

وأما قول داود : إن عباد القبور لا يكفرون أو أن مَنْ قال لا إله إلا الله ، واستقبل القبلة ، فهو مسلم وإن لم يرغب عن ملة عباد القبور .

فنقول : هذا زعم باطل ، ومردود على قائله ؛ لأن كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » تتضمن ركنين عظيمين إذا اختل واحد منهما لم تنفع قائلها .

الأول : نفي كل معبود سوى الله سبحانه وتعالى .

الثاني : إثبات العبادة لله وحده لا شريك له .

فإذا دعا المسلم أصحاب القبور ، واستغاث بهم وتوكل عليهم فهل حقق نفي كل معبود سوى الله .

والله يقول في محكم التنزيل : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ (١) .

ويقول : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

والظلم هنا هو الشرك قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » (٤) .

(١) الآية ٢١٣ سورة الشعراء

(٢) الآية ١٠٦ سورة يونس

(٣) الآية ١٣ سورة لقمان

(٤) رواه مسلم ج ٤ : ٢٢٨٩ ترتيب محمد عبد الباقي .

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ٢٤٥

ويقول ابن تيمية : (ومن أعظم الشرك أن يستغيث الإنسان برجل ميت عند المصائب فيقول : ياسيدي فلان كأنه يطلب منه إزالة ضرره ، أو جلب نفعه)^(١) .

فعدَّ - رحمه الله - دعاء الأموات من أعظم الشرك . فكيف يقول داود بن جرجيس إنهم لا يكفرون .

وفي الحديث : من قال (لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)^(٢) .

فالذي يدعو الأموات ، ويتوسل بهم ، يطلب منهم قضاء الحاجات هل كفر بما يعبد من دون الله ؟

وقد نصَّ على هذه المسألة . علامة نجد الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين - رحمه الله - فقال : من قال لا إله إلا الله ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر كدعاء الموتى والغائبين ، وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، والتقرب إليهم بالندور ، والذبائح فهذا مشرك شاء أم أبى^(٣) .

وحينما تكلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب على نواقض الإسلام .

قال في واحدة منها : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم كفر إجماعاً^(٤) .

وهذا رأي لم ينفرد به الشيخ محمد . بل يحكي إجماع أهل العلم على كفر من فعل ذلك .

(١) مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٩

(٢) رواه مسلم . ج ١ : ٥٣ ترتيب محمد عبد الباقي .

(٣) الدرر السنية ج ٢ : ١٥٠

(٤) المرجع السابق ص ١٧٦

إن داود بن جرجيس يدعي أنتسابه إلى أهل العلم ، ويعد نفسه من البارزين فيه .

فيقول في أول رسالته المسماة «صلح الإخوان» :

يقول داود ابن العالم المتضلع في العلوم سليمان بن جرجيس (١) .

ويقول أيضا اعلم أني وجدي ووالدي بيت علم (٢) .

فأين آثار العلم ؟ علم لا يدرك فيه معنى لا إله إلا الله . فهو كسراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

والله يقول : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : أي : من خلع الأنداد ، والأوثان ، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووجد الله فعبدته وشهد ألا إله إلا الله فقد استمسك بالعروة الوثقى (٥) . انتهى

وحينما أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ليناظر علماء مكة في أصل الدين ، والتوحيد . سنة (١٢١١ هـ) بناءً على طلب شريف مكة غالب بن مساعد ، قال الشيخ حمد بن معمر :

(١) منهاج التأسيس والتقديس للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ص ٨٠

(٢) الدرر السنية ج ٩ : ٢٨٨

(٣) الآية ٣١ من سورة الحج .

(٤) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة

(٥) تفسير ابن كثير ج ١ ٥٥٣ طبعة دار الأندلس بيروت .

أما من قال لا إله إلا الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ، ويستغيث بهم ، ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا كافر مشرك حلال الدم ، والمال وإن قال لا إله إلا الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم^(١) .

ولو أردنا سياق جميع أقوال العلماء في هذه المسألة لتجمع لدينا سفر ضخمة ولكن نكتفي بما ذكر . ومنه يتضح أنه لا صحة لدعوى داود بن جرجيس في جواز دعاء أصحاب القبور ، وأن عبّادها لا يكفرون ، أو من قال لا إله إلا الله واستقبل القبلة فهو مسلم وإن لم يرغب عن ملة عبّاد القبور .

أما استدلال داود بن جرجيس بآية سورة النساء وهي قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾^(٢) .

وكونها نزلت في قتل رجل كافر كان قصده الإسلام ولم يتلفظ بالشهادة . فلنرجع إلى أقوال العلماء في سبب نزولها ، وتفسيرهم لها ليتضح وجه الحق فيها .

أما سبب النزول فقد اختلفت الروايات في ذلك .

فبعضهم يرى أنها نزلت في جماعة من المسلمين لحقوا رجلاً كافراً معه غنيمة له فقال لهم : السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمة ، فنزلت الآية .

وهذه الرواية أوردها البخاري في صحيحه عن ابن عباس^(٣) .

ورواية أخرى تقول : إنه مرَّ رجل من بني سليم بنصر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسوق غنماً له فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا ليتعوذ

(١) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية (الفواكه العذاب) ، ص ٦٥

(٢) الآية ٩٤ من سورة النساء

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير ج ٥ : ١٢٨ طبعة استانبول .

منا فعدوا عليه فقتلوه ، وأتوا بغنمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الآية .
وهذه رواية أصحاب السنن عن ابن عباس .

وهناك روايات أخرى في سبب نزول الآية لكن ما ذكرنا هو أحسنها .

والجميع مذكور في كتب التفسير في الطبري وابن كثير والقرطبي . فمن أراد
التوسع فليرجع إليها .

وبمناقشة الروايات التي ذكرنا نستخلص منها .

أولاً : أن الروايات كلها متفقة على أن الرجل قد حياً من لقيه بتحية الإسلام ؛
وهي « السلام عليكم » لكن هذه التحية لا تعني أن الرجل كان مسلماً معصوماً الدم
والمال . ولعله قالها تقية منهم ، ولهذا توهموا في صحة دعواه فلم يلتفتوا إليها بل
عمدوا إلى قتله .

ثانياً : أن الروايات المشتهرة لم تذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما
علم بقتل الرجل لم يعاقب القاتل بالقصاص ؛ لأنه قتل عمداً ، ولم يكلفه أو عاقلته
بدفع دية إذا قلنا بأن المقتول مسلم معصوم الدم والمال .

يقول الإمام الشوكاني في تفسيره : وإنما سقط القتل عمن وقع منه ذلك في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم تأولوا ، وظنوا أن من قالها خوفاً من السلاح
لا يكون مسلماً ولا يصير بها دمه معصوماً وأنه لا بد من أن يقول هذه الكلمة وهو
مطمئن غير خائف^(١) .

أما تفسير الإمام الطبري لهذه الآية : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَّشْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ . . . الآية ﴾^(٢) .

(١) فتح القدير ج ١ : ٥٠١
(٢) النساء : ٩٤

فيقول : أي إذا سرتهم مسيراً لله في جهاد أعدائكم فتبينوا في قتل من أشكل عليكم أمره فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ولا تعجلوا فقتلوا من التبس عليكم أمره ولا تقدموا على قتل أحد إلا على من علمتوه يقينا حربا لكم ولله ، ولرسوله ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام . أي لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهراً لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم^(١) . انتهى

فالأية على هذا المعنى تنظيم للجيش الإسلامية في معاملة من يلتقون بهم من الأعداء فلا يتصرفوا معهم في شيء حتى يعلموا حقيقة حالهم .

وليس في الآية دليل على دعوى داود بن جرجيس . من أن عبّاد القبور لا يكفرون .

أما استدلاله بالحديثين المذكورين ففي إسناد الأول منهما ضعف وهو الأول : حديث ﴿إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادي . . . إلخ﴾ ففيه ضعف لأن في إسناده معروف بن حسان ، قال عنه ابن عدي هو منكر الحديث^(٢) .

والثاني : حديث وضع أبي أيوب الأنصاري جبهته على القبر معارض بأحاديث صحيحة كلها تنهى عن دعاء أصحاب القبور ، والتوسل بهم .

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد)^(٣) .

وقوله : (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)^(٤) .

(١) تفسير الطبري ج ٩ : ٧٠ طبعه دار المعارف بمصر
(٢) معروف بن حسان أبو معاذ السمرقندي ، يقول عنه ابن حجر في (لسان الميزان ج ٦ : ٦١) : هو منكر الحديث ، ويقول ابن أبي حاتم الرزقي في الجرح والتعديل ج ٨ : ٣٢٣ : سمعت أبي يقول : هو مجهول
(٣) رواه أحمد في المسند ومالك في الموطأ
(٤) أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)^(١).

ولما رأى علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم رجلاً يجرى إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعوا . نهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتخذوا قبوري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً فإن تسليمكم ليبلغني أينما كنتم » . رواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل ، والحافظ الضياء المقدسي في المختارة .

فكل هذه النصوص الصريحة تعارض ما استدل به داود ، والحديثان اللذان استدل بهما مع ضعفهما ليس فيهما دليل على دعواه .

وأما النوع الثالث من شبه داود : وهو دعوى أن الحلف بغير الله ليس بشرك ، ولا كفر بل هو مكروه كراهة تنزيه أو تحريم واستدلالة على ذلك بالآية الكريمة : ﴿ لَعَنُوكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٢) . وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا وأبيك) .

فنقول : مسألة الحلف بغير الله أجمع العلماء على النهي عنه .

وقالوا : إن سبب هذا النهي التحريم ، واستدلوا على ذلك بأحاديث صحيحة منها :

ما رواه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)^(٣) .

(٤) رواه مسلم
(٢) الآية ٧٢ من سورة الحجر .
(٣) رواه الترمذي .

وبما جاء في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حلفاً فليحلف بالله أو ليصمت).^(١)

ويقوله صلى الله عليه وسلم من حديث بريدة : (من حلف بالأمانة فليس
مناً)^(٢).

فالرسول عليه الصلاة والسلام أطلق في الحديث الأول على أن الحلف بغير الله
كفر أو شرك وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقال ابن مسعود : لأن
أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً^(٣).

فالحلف بغير الله أكبر من اليمين الغموس لاسيما إذا حلف كاذباً.

فدلّ هذا على أن الحلف بغير الله من أكبر المحرمات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : والحلف بالمخلوقات حرام عند
الجمهور وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد وقد حكي
إجماع الصحابة في ذلك^(٤).

وقال القاضي عياض في كتابه «الشفاء» : إن من حلف بغير الله على وجه التعظيم
كفر .

وسئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ما تقول في الحلف بغير الله ؟

فأجاب : « ينظر إلى حال المقسم إن قصد به التعظيم كتعظيم الله أو أشد كما
يقع لبعض غلاة المشركين من أهل زماننا إذا استحلف بشيخه أي معبوده الذي يعتمد

(١) صحيح البخاري ج ٤ : ٢٣٥ وصحيح مسلم ج ٣ : ١٢٦٦

(٢) رواه أبو داود ج ٣ : ٢٢٣

(٣) رواه الطبراني . وقال المنذري رواه رواية الصحيح .

(٤) كتاب التوسل والوسيلة ص ٥١

في جميع أموره عليه لا يرضى أن يحلف إذا كان كاذباً أو شاكاً، وإذا استحلف بالله فقط رضي - قال الشيخ - فهو كافر من أقبح المشركين وأجهلهم إجماعاً^(١).

وقد عقد رحمه الله في مصنفه « كتاب التوحيد » باباً ساق فيه الأدلة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة في المنع من الحلف بغير الله وقال في آخر الباب في تقريره على هذه الأدلة : فيه مسائل :

المسألة الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

المسألة الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس . . الخ^(٢).

هذه آراء العلماء في مسألة الحلف بغير الله وهي تفيد المنع منه للتحريم .

ونص بعضهم . على أنه شرك ؛ لكنه شرك لا يخرج من الملة كالشرك الأصغر .

فإن قصد به تعظيم المحلوف به كتعظيم الله فهو شرك أكبر قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جواب له^(٣).

وأما القول بأن الحلف بغير الله مكروه كراهة تنزيه فيقول عنه ابن عبد البر - رحمه الله - ولا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع ، ولا اعتبار بمن قال من المتأخرين إن ذلك على سبيل كراهة التنزيه ، فهذا القول باطل ، وكيف يقال ذلك لما أطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كفر أو شرك بل ذلك محرم^(٤).

وساق شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب الجمهور في هذه المسألة . فقال : حرام عند الجمهور ، وقيل مكروه كراهة تنزيه والأول أصح .

(١) الدرر السنية ج ١ : ١٢٩

(٢) مجموعة التوحيد النجدية ص ٥١ الطبعة الأولى .

(٣) الدرر السنية ج ١ : ١٢٩

(٤) نقل ذلك عن ابن عبد البر صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد ص ٥١٦

فابن عبد البر قال ببطلان القول بأنه مكروه . أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيرى أن مذهب الجمهور أصح^(١) . أي أنه حرام .

فمن هذا علم أن داود العراقي تعلّق في هذه المسألة على أقل تقدير بقول مرجوح ، ومعارض بأحاديث صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم بيانها .

أما استدلاله بالآية الكريمة : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فليس في الآية دليل على ما ادعاه . وذلك أن الله سبحانه وتعالى أقسم فيها بعمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تشریفاً له ، ولم يقسم بحياة أحد سواه . والله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته .

قال الشعبي : الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق . فإقسام الله بعمر نبيه كإقسامه بالتين ، والزيتون ، والليل ، والشمس ، والضحى ، وغير ذلك من مخلوقاته التي أقسم بها ، واشتمل عليه القرآن . فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وقيل : إن الإقسام بهذه الأشياء على تقدير حذف مضاف وهو القسم به أي وخالق عمرك وخالق التين . وهكذا .

فاستدلال داود بالآية جهل عظيم بمعناها وما عليه أهل العلم .

وقد حكى القاضي عياض ، وأبو بكر ابن العربي . إجماع المفسرين في قوله تعالى : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٢) ، على أن هذا قسم من الله عز وجل بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم . ذكره القرطبي في تفسيره لهذه الآية .

(١) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية . ص ٥١

(٢) سورة الحجر : ٧٢

أما استدلال داود بالحديث (لا وأبيك) فهو معارض بما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله : (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)^(١) ، وبغيره من الأحاديث المثبتة في المسانيد .

أما عبارة (لا وأبيك) أو (أفلح وأبيه) . إن صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي ألفاظ لا يقصد بها اليمين . بل هي مما يجري على السنة العرب عادة يدخلونها في كلامهم من غير قصد الحلف كقولهم تربت يداك . ثكلتك أمك ويح عمار ، ونحو ذلك .

وهناك قول بأن الألفاظ المذكورة قيلت قبل النهي عن الحلف بغير الله فهي منسوخة بالأحاديث الناهية عن ذلك . ذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن بن حسن ، وابنه عبداللطيف - رحمهما الله - .

هذا ما تيسر من الجواب عن أهم شبهات داود بن جرجيس التي أثارها حول التوسل بالأموات ودعاء أصحاب القبور وغير ذلك مما ذكر .

وهو حينما يحاول تصحيح هذه الدعاوى يقصد منها معارضة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

وهي دعوة س ، لفية مباركة تهدف إلى تصحيح العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والوثنية وقد حاربت هذه الدعوة المعتقدات الباطلة في دعاء أصحاب القبور والتوسل بهم حتى زالت من هذه الجزيرة وصارت الدولة فيها للتوحيد والعقيدة الصافية وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فحمد الله على ذلك .

(١) متفق عليه .

٧- افتراءات أحمد زيني دحلان والرد عليها:

هذا الرجل ولد سنة ١٢٣٢ هـ وتولى القضاء والتدريس في مكة وله عدد من المؤلفات في التاريخ . وتوفي في المدينة سنة ١٣٠٤ هـ .

أعد رسالة في حوالى (٧٠) صفحة طبعت عدة مرات عنوانها : «الدرر السنية في الرد على الوهابية» زعم في أولها أنه جمع فيها ما تمسك به أهل السنة والجماعة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والتوسل به ، وبالأولياء والصالحين في الحياة وبعد الممات .

ورسالته هذه تدور على ماذكر في شبهات داود بن جرجيس .

إلا أن دحلان زاد عليها بالسب والشتم والتجريح بإمام هذه الدعوة ومن حمل لوائها من بعده من العلماء وملوك آل سعود .

يقول دحلان في رسالته المذكورة : إنه - يريد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - منع الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج ناس من الأحساء وزاروا النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه خبرهم فلما رجعوا مروا عليه بالدرعية فأمر بحلق لحاهم ، ثم أركبهم مقلوبين من الدرعية إلى الإحساء ، وكان ينهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتأذى من سماعها^(١) .

إلى غير ذلك من الهراء والكذب الذي يطول ذكره .

والجواب عن ذلك نقول :

من عرف حال الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما هو عليه في عقيدته ، ودعوته ينكر هذا القول الباطل .

(١) الدرر السنية في الرد على الوهابية . ص ٤٤ طبعه القاهرة سنة ١٣٨٦ هـ

فالشيخ محمد - رحمه الله - يعتقد أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين ، ومن أشغل أوقاته بالصلاة والسلام عليه على ماورد عنه فقد فاز بسعادة الدارين .

وأثار الشيخ محمد ورسائله تدل على هذا بوضوح فلا يمر ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلا ويصلي ويسلم عليه .

أما قصد زيارة قبره صلى الله عليه وسلم دون مسجده فلم يرد في ذلك دليل صحيح على ما ذكره أهل العلم المعتقد بقولهم .

بل الدليل ورد بزيارة مسجده ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)^(١) .

فمن قصد مسجده للصلاة فيه سنَّ له زيارة قبره للسلام عليه ؛ لأن ذلك يدخل تبعاً لا قصداً .

ومن قال من العلماء يستحب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم فإن مرادهم زيارة مسجده للصلاة فيه ، والسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

ولهذا كره إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله أن يقول الرجل : زرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن هذا اللفظ لم يرد .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : والأحاديث المروية في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم كلها ضعيفة بل كذب^(٢) .

(١) متفق عليه

(٢) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة . لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٥٢ .

ويقول أحد أئمة الدعوة السلفية وهو الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود^(١) - رحمه الله - في إحدى رسائله : والأحاديث التي رواها الدار قطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كلها مكذوبة موضوعة باتفاق أكثر أهل المعرفة^(٢) .

أما دعوى دحلان حلق لحي المذكورين كما يزعم فهو قول مردود عليه ، لأن حلق اللحي قد ورد النهي عنه فقال صلى الله عليه وسلم : (أحفوا الشوارب وأعفوا اللحي)^(٣) .

وفي رواية أخرى : (وفروا اللحي وأحفوا الشوارب)^(٤) .

فهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان .

والشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - متبع لا مبتدع . فكيف يأمر بحلق لحاهم كما يزعمه هذا المعارض مع ورود الدليل على النهي عنه سبحانه هذا بهتان عظيم .

ومن جملة كذب دحلان أيضاً قوله في رسالته : فلما مضت دولة الشريف مساعد وتوفي سنة ١١٨٤ هـ وولي أماره مكة أخوه الشريف أحمد بن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائهم فأمر العلماء أن يختبروهم فاختبروهم فوجدوهم لا يدينون إلا بدين الزنادقة فأبى أن يأذن لهم في الحج^(٥) .

(١) هو الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ، ولد في الدرعية سنة ١١٣٢ هـ وتعلم على يد علمائها من أبرزهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتولى الحكم في عهد الدولة السعودية الأولى بعد أبيه سنة ١١٧٩ هـ كان فارساً مغواراً شديد البأس توسعت الدولة السعودية في عهده وبقي في الحكم حتى اغتيل سنة ١٢١٨ هـ على يد رجل شيعي .

(٢) الهدية السنية ص ١٨

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه البخاري

(٥) رسالة الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد زيني دحلان ص ٤٧ ، الطبعة الثالثة .

هكذا يقول دحلان عن أهل هذه الدعوة - عامله الله بعدله - فما دين أهل هذه المملكة الحاضرة إلا امتداد لدين أولئك الأفذاذ أتباع محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ومذهبهم مذهب أهل السنة والجماعة .

والاجتماع الذي أشار إليه دحلان قد بسط تفاصيله المؤرخ ابن غنام - رحمه الله - الذي عاصره وشاهد أحداثه . يقول ابن غنام :

وفي هذه السنة - (١١٨٥ هـ) أرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والأمير عبدالعزيز بن سعود إلى والي مكة أحمد بن سعيد هدايا وكان قد كاتبهما ، وطلب منهما أن يرسلوا إليه فقيها ، وعالما من جماعتهما يبين حقيقة مما يدعون إليه من الدين وينظر علماء مكة فأرسلوا إليه الشيخ عبدالعزيز الحصين ، ومعه رسالة منهما .

ثم أورد ابن غنام نص الرسالة بكاملها ومن جملة ماورد فيها قولهما :

ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر ، وهو واصل إليكم ، ويحضر في مجلس الشريف أعزه الله تعالى هو وعلماء مكة فإن اجتمعوا - فالحمد لله على ذلك - وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم ، وكتب الحنابلة ، والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعمله وجه الله ونصر رسوله كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَآتِيَتْكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (١) .

فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته فكيف بنا يا أمته انتهى .

ثم يمضي ابن غنام فيقول : فلما وصل الشيخ عبدالعزيز الحصين نزل على الشريف الملقب «بالفعر» ، واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده ؛ وهم يحيى بن

صالح الحنفي و عبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان وعبد الغني بن هلال وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها .

الأولى : مانسب إلينا من التكفير بالعموم .

الثانية : هدم القباب التي على القبور .

الثالثة : إنكار دعوة الصالحين للشفاعة .

فذكر لهم الشيخ عبدالعزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا .

وأما هدم القباب التي على القبور فهو الحق والصواب كما ورد في كثير من الكتب وليس لدى العلماء فيه شك .

وأما دعوة الصالحين ، وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل فقد نصَّ عليه الأئمة العلماء وقرروا أنه من الشرك الذي فعله القدماء ، ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد أو جاهل فأحضروا كتب الحنابلة فوجدوا أن الأمر على ما ذكر فاقتنعوا واعترفوا بأن هذا دين الله ، وقالوا : هذا مذهب الإمام المعظم^(١) . وانصرف منهم الشيخ مبجلاً معززاً . .^(٢) ، انتهى كلام ابن غنام .

وقد أورد هذه القصة بنصها الشيخ عبد الله بن بسام في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون»^(٣) في ترجمته للشيخ عبدالعزيز بن عبد الرحمن الحصين .

يقول ابن بسام في آخر القصة : وبعد البحث أذعنوا يريد علماء مكة - بأن الصواب في المسألة الثانية ، والثالثة وهو هدم القباب ومنع طلب الشفاعة إلا من الله تعالى وأنه مذهب الإمامين أبي حنيفة وأحمد كما بينَّ لهم الشيخ الحصين أن نسبة تكفير عموم المسلمين إلى أهل نجد كذب وبهتان فرجع منهم ظافراً مكرماً . . .

(١) يقصدون مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان .

(٢) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ص ١٣٣

(٣) ج ٢ ص ٤٧٩

هذه هي حقيقة القصة فهل كان أهل نجد لا يدينون إلا بدين الزنادقة كما يزعمه
دحلان؟!!

وأيضاً لنرى ما يقوله أحد أئمة الدعوة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري بعد
وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

يقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - وهو
يتحدث مع علماء مكة عام ١٢١٨ هـ عن الشبه ، والأكاذيب التي رُمي بها أهل هذه
الدعوة فيقول :

وأما ما يكذب علينا سترًا للحق وتلبيساً على الخلق بأننا نفسّر القرآن برأينا،
ونأخذ من الحديث ما وافق أفهامنا من دون مراجعة شرح ولا معوّل على شيخ وأنا
نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا : رمة في قبره ، وعصا أحدنا
أنفع له منه ، وليس له شفاعاة ، وأن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى
لا إله إلا الله حتى نزل عليه ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . مع كون الآية مدنية ، وأنا
لانعتمد على أقوال العلماء فنتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ،
وأنا مجسمة وأنا نكفر على الإطلاق أهل زماننا ومن بعد الستمائة سنة إلا من هو
على مانحن عليه وإننا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ونحرم
زيارة القبور المشروعة مطلقاً .

فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها أولاً كان
جوابنا في كل مسألة من ذلك : سبحانك هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئاً من
ذلك أو نسبته إلينا فقد كذب علينا وافترى ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق
ما عندنا علم أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين . . (١) . انتهى .

(١) الهدية السنية ص ٤٠ ، ٤١

ورسالة دحلان المذكورة ذات شطرين .

الشرط الأول: يدور حول دعوى إثبات التوسل بذوات الأموات ، ودعائهم في الكربات والمهمات .

والشرط الثاني: يدور حول هذه الشبه والمفتريات الكاذبة التي رمي بها أهل هذه الدعوة والتي قال عنها الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنفا : سبحانك هذا بهتان عظيم . فهو ينفيها عن أهل هذه الدعوة جملة وتفصيلا . ولولا خشية الإطالة لأتينا على كل فقرة مما ذكره دحلان . لكن الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي^(١) رحمه الله قد كفانا الرد عليها في كتابه « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » .

فهدم كل ما بناه دحلان ؛ لأنه وضع على غير أساس قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَتَسَسَّ بِئِنَّكِنَّهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَّ بِئِنَّكِنَّهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾^(٢) .

ورسالة دحلان في الجملة يقول عنها رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر السيد محمد رشيد رضا - رحمه الله - مانصه : تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين قطب الكذب والافتراء على الشيخ وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيب فيه . . .^(٣) .

ويقول عنها الشيخ محمد بشير السهسواني : (وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ أحمد بن زيني دحلان أنقذه الله من دحلان الخذلان وسماها « الدرر السنية في الرد على الوهابية » .

(١) هو الشيخ محمد بن بشير بن محمد بدر الدين السهسواني أحد علماء الهند ، له معرفة جيدة في الحديث والفقه وله عدد من المصنفات من أشهرها الكتاب المشار إليه أعلاه . توفي في دلهي سنة ١٣٢٦ هـ . رحمه الله .

(٢) الآية ١٠٩ من سورة التوبة

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، للشيخ محمد بشير السهسواني ص ٢٨ طبعه المنار بمصر .

رأيت مؤلفها يدّعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الروية أنه جمع فيها ماتمسك به أهل السنة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والتوسل به من الدلائل ، والحجج القوية من الآيات ، والأحاديث النبوية فتعجبت منه التعجب الصراح كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلاً عن الصحاح ، فتأملت فيها تأمل الناقد البصير لكي أعلم أنه أهل صدق في تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين محلاة بحلية الزور والكذب والباطل المهين ^(١) ، انتهى .

هذه لمحة عن رسالة دحلان الساقطة والتي طالما تناقلت عباراتها الألسن والأقلام ممن لا يعرف شيئاً عن حقيقة الدعوة السلفية وما عليه أهلها من الإيمان والإسلام .

ولم يكتف دحلان فيما افتراه في هذه الرسالة بل كرر كذبه وافتراءاته على أهل هذه الدعوة في عدد من الكتب التي ألفها . مثل (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) . وكتاب (الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية) . فقد تناول في مواضع متعددة من هذين الكتابين الطعن في هذه الدعوة وسب أهلها من الأمراء والعلماء من آل سعود وآل الشيخ . ووصفهم بأنهم زنادقة وبغاة تارة ، وبأنهم خوارج تارة أخرى .

ومالذي حمّله على ذلك وهو يكتب للتاريخ - كما يزعم - ويروي صورة حياة الأمم الماضية للأمة الحاضرة والقادمة ، وكيف ساغ له تعمد الكذب الصريح على أهل هذه الدعوة .

لا نجد لذلك سبباً سوى تعصبه لهواه ، والخوف على مركزه الاجتماعي والديني في مكة ومجاراته لولاية مكة في ذلك الوقت .

(١) المرجع السابق ، ص ٢

فإذا كان كذلك فأى قيمة لنقله ولدينه وأمانته ، وقد يقول قائل : لعله لم يطلع على حقيقة ما كان عليه أهل هذه الدعوة .

فنبول : من المستبعد جداً أن يكون أحمد دحلان لم يطلع على ذلك ؛ لكون هذه الدعوة المباركة قد انتشرت في بلاد الحرمين الشريفين وعرف الناس حقيقتها وقت دعائها الأوائل زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه الإمام سعود بن عبدالعزيز والشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبدالعزيز الحصين والشيخ حمد بن ناصر بن معمر وغيرهم في أول القرن الثالث عشر الهجري . وتداول الناس رسائل ومصنفات أئمة الدعوة واجتمع علماء الحرمين بعلماء الدعوة مراراً . وأحمد ودحلان هذا قد عاش في مكة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري فلا يخفى عليه حقيقة هذه الدعوة .

كما ننوه بكاذبين آخرين على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته
السلفية المباركة هما :

١ - علوي بن أحمد الحداد الحضرمي المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ .

٢ - جميل صدقي الزهاوي العراقي المتوفى سنة ١٣٥٤ هـ .

لقد لفق كل منهما ما قدر عليه من شبه وافتراءات فتارة يعمدان إلى تصحيح
التوسل بالأموات إرغاماً لأهل الدعوة السلفية ، وتارة يكيلان السب والشتم
والتجريح في إمام هذه الدعوة ومن جاء بعده من العلماء والأمراء .

أما الأول : فقد أعد رسالة سماها « مصباح الأنام وجلاء الظلام » عارض فيها
الدعوة السلفية وطريقة أهلها .

أما الآخر : فألف رسالة سماها « الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل
والكرامات والخوارق » عمد فيها إلى ترهات وافتراءات من سبقه من أعداء الدعوة
أمثال داود بن جرجيس ، وأحمد زيني دحلان فكان ينقل عنهما حرفياً .

ووصف الزهاوي نفسه فقال : كنت في صباي أسمى المجنون لحركاتي غير
المألوفة . وفي شبابي بالطائش وفي شيخوختي بالزنديق لمجاهرتي بأراء
الفلاسفة^(١) .

هذا ولانريد أن ندخل في تفاصيل الرد على هذين الرجلين فقد كفينا ذلك
حيث انبرى لهما أحد أئمة هذه الدعوة صاحب الصناعتين الشعر والنثر الشيخ
سليمان بن مصلح بن سحمان المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ - رحمه الله - فقد رد على الأول
بكتاب عنوانه (الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد)^(٢) .

(١) الأعلام للزركلي ج ٢ : ١٣٣
(٢) طبع في مجلد

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبه وافتراءات ٢٦٥

ورد على الآخر بكتاب عنوانه : (الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق)^(١) . وقد أجاد فيهما وأفاد وأبطل كل مالفقه علوي الحداد والزهاوي بالحجة والبرهان وأوضح ما كان عليه إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن سار على نهجه أجزل الله له الأجر والثواب .

والغرض من التنويه عن هذين الرجلين هنا التحذير من رسالتيهما فقد وجد من يجتر بهما من أعداء هذه الدعوة بين حين وآخر . والله المستعان .

(١) يقع في مجلد ضخيم حققه الشيخ عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم وطبع سنة ١٩٩٢/١٤١٢ م .

الباب الرابع

الدعوة السلفية وصاحبها

في نظر العلماء والأدباء والكتّاب العرب والغربيين

وآثارها في العالم الإسلامي

الفصل الأول : الدعوة السلفية وصاحبها (في نظر العلماء . والأدباء . العرب والغربيين

وفيه ثلاثة مباحث .

الأول : رأي علماء الشريعة وأصحاب الفكر الإسلامي .

الثاني : رأي الأدباء والمفكرين العرب .

الثالث : رأي الغربيين من الرّحالة والمستشرقين .

المبحث الأول

رأي علماء الشريعة في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من كبريات الدعوات التي اهتز لها التاريخ في الشرق ، وإن كانت تعنى في المقام الأول في إصلاح العقيدة والتركيز على الأمور الدينية لكنها مع ذلك غيرت الأحوال السياسية في الجزيرة العربية .

وإذا كنا في فصل سابق قد تحدثنا عن المعادين والمعارضين لهذه الدعوة فيحسن في هذا الفصل وما بعده أن نبين حقيقة هذه الدعوة في نظر علماء الشريعة ، وكتاب ومؤرخي الشرق والغرب الذين لم يقعوا تحت وطأت التعصب الديني أو الهوى النفسي أو مجارات رجال الحكم والسياسة فنقول :

حدد المؤرخون وقت بدء الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته السلفية بانتقاله من بلدة حريملاء إلى بلدة العيينة بعد وفاة أبيه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان سنة ١١٥٣ هـ .

حيث هدم القباب المشادة على بعض القبور . وحكم برجم المرأة الزانية المقررة لديه بالزنا ، وجعل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . عدّ المؤرخون هذا هو أول انطلاق الشيخ محمد - رحمه الله - في دعوته .

ولم ترتفع الأعناق إلى هذه الدعوة وصاحبها إلا عندما انتقل الشيخ إلى الدرعية سنة ١١٥٧ هـ تقريبا فمن هذا الوقت ذاع صيت الدعوة ، واشتهر أمرها وتحدث عنها العلماء والمفكرون والمؤرخون .

ففي اليمن:

يقول الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ، علامة اليمن في وقته المتوفى سنة ١١٨٢ هـ يقول رحمه الله :

لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له محمد بن عبد الوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبتة بهذه الأبيات سنة ١١٦٣ هـ وأرسلناها من طريق مكة المشرفة وهي :

سلامي على نجد ومن حلّ في نجد
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت
قفى وسألي عن عالم حلّ سوحها
محمد الهادي لسنة أحمد
لقد أنكرت كل الطوائف قوله
وما كل قول بالقبول مقابل
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله
وأما أقاويل الرجال فإنها
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل
ويعمر أركان الشريعة هادماً
أعادوا بها معنى سواع ومثله
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
وكم عقروا في سوحها من عقيرة
وكم طائف حول القبور مقبل

وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
رباها وحياتها بقهقهة الرعد
ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
به يهتدي من ضل عن منهج الرشيد
فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
ولا كل قول واجب الرد والطرد
فذلك قول جلّ إذا عن الرد
تدور على حسب الأدلة في النقد
يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
ومبتدع منه فوافق ما عندي
مشاهد ضل الناس فيها عن الرشيد
يغوث وود بثس ذلك من ورد
كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
أهلت لغير الله جهراً على عمد
وملتمس الأركان منهن بالأيدي

إلخ القصيدة^(١) .

وعالم يمني آخر هو العلامة محمد بن علي الشوكاني^(٢) ، مصنف كتاب نيل الأوطار في الحديث و «فتح القدير في التفسير» وغيرهما من المصنفات التي تربو على عشرين مصنفاً .

يقول - رحمه الله - في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته :

ومروري الصدى من فيض علم ونائل	إمام الهدى ماحي الردى قامع العداء
وشيخ شيوخ الجد فرد الفضائل	إمام الورى علامة العصر قدوتي
وجلّ مقاماً عن لحوق المطاول	محمد ذو المجد الذي عزّ ذكره
سلالة أنجاب زكي الخصائل	إلى عابد الوهاب يعزى وإنه
وقام مقامات الهدى بالدلائل	لقد أشرقت نجد بنور ضيائه
لمن كان مظلوماً وليس بخاذل	ومن شأنه قمع الضلال ونصره
مضل ويدعي ومغو ونائل ^(٣)	وكم ذبّ عن سامي حماه وذاد من

وفي الأحساء :

يقول الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد القادر في كتابه « تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد » عن الشيخ ودعوته :

فشرع في دعوة الناس إلى إخلاص الدعاء ، والعبادة لله عز وجل ، والتوجه إلى الله في طلب السراء ودفع الضراء ، وترك الوسائط ، والشفعاء ، ونهى عما نهى عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الحلف بغير الله ، والبناء على القبور

(١) عنوان المجد لابن بشر ص ٦٨ طبعة وزارة المعارف .

(٢) انظر التعريف به في مبحث آثار الدعوة السلفية في اليمن .

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر أبو طامي ، ص ١٠٩ .

وتعظيمها ، ودعا إلى ترك الخرافات واعتقادها ، والرجوع إلى ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والسلف الصالح في الاعتقاد والأعمال والعبادات وترك المحدثات^(١) .

أما في قطر :

فيقول قاضيها الشرعي الشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي في كتابه الشيخ محمد بن عبد الوهاب « متحدثاً عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته :

ولقد كان الشيخ الكبير والمصلح الشهير الداعي إلى توحيد الله العلي الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي - رحمه الله - من أولئك العدول المجددين ، والمصلحين والمخلصين قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه ، وعلى لسان رسوله خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - كما قام يدعو إلى نبذ البدع والمعاصي وعبادة الأولياء والصلحاء والأشجار والغيران ويأمر بإقامة شرائع الإسلام المتروكة وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوك^(٢) .

أما في العراق :

فيقول السيد محمود شكري الألوسي - رحمه الله - متحدثاً عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه « تاريخ نجد » والحاصل أنه أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العلماء الأمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، وكان يعلم الناس الصلاة . وأحكامها وسائر أركان الدين ويأمر بالجماعات ، وقد جد في تعليم الناس ، وحثهم على الطاعة ، وأمرهم بتعلم أصول الإسلام وشرائطه ، وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها وسائر أحكام الدين^(٣) .

(١) تحفة المستفيد ص ١٢٥

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ص ٨ .

(٣) تاريخ نجد للألوسي ص ١٢٠ .

ثم إن السيد الألوسي قد شرح كتاب « مسائل الجاهلية » الذي صنّفه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، وأتم كتاب « منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس » الذي صنّفه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ولم يكمله .

أما في مصر :

فيقول رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية الأستاذ محمد حامد الفقي في كتابه « أثر الدعوة الوهابية » :

الوهابية نسبة إلى الإمام المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر الهجري وهي نسبة على غير القياس العربي . والصحيح أن يقال : المحمدية إذ أن اسم صاحب هذه الدعوة والقائم بها محمد لا عبد الوهاب . .

وإنهم لحنابلة فهم لا يدعون لا بالقول ولا بالكتابة أن الشيخ ابن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان عمله وجهاده لإحياء العلم بالدين الصحيح وإجماع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الألوهية والعبادة لله وحده ذلاً وخضوعاً ودعاءً ونذراً وحلفاً وتوكلاً وطاعة لشرائعه ، وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والأئمة المهتدون من السلف والخلف رضوان الله عليهم^(١) . وسئل صاحب مجلة المنار السيد محمد رشيد رضا عن عقيدة الوهابيين وهل هي موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة أم لا ؟

فأجاب : عقيدة الوهابية هي عقيدة أهل السنة التي كان عليها سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وحفاظ السنة التي كان أكبر المدافعين عنها عند ظهور البدع وتأييد الدولة العباسية لها إمام أئمة السنة أحمد بن حنبل رحمه الله .

(١) أثر الدعوة الوهابية لمحمد حامد الفقي ص ٤ - ٥ .

ويضيف الأستاذ محمد رشيد رضا فيقول :

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - مجددا للإسلام في بلاد نجد بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية^(١).

ويقول الأستاذ محب الدين الخطيب - رحمه الله :

جاء محمد بن عبد الوهاب إلى نجد وهو موطن عزائمه كلها على مكافحة البدع والردائل وحمل الناس على الطريق الواضحة في الأخلاق والعبادات والعقائد وقد وجه دعوته إلى إخلاص التوحيد والعبادة لله وحده وجعل شعاره القيام بنصر لا إله إلا الله . وفي الحق أن هذه المهمة كانت من أصعب المهمات لأنه أراد أن يحمل الناس على أن يتركوا اللصوصية وقطع الطريق والغزو والغش^(٢).

أما في المغرب:

فقد ذكر الأستاذ سيدي محمد الحسن الحجوي الثعالبي في كتابه « الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي » ذكر حديثاً مطولاً عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، من ذلك قوله :

عقيدته السنة الخالصة على مذهب السلف المتمسكين بمحض القرآن والسنة لا يخوض بالتأويل ، والفلسفة ولا يدخلها في عقيدته . وفي الفروع مذهبه حنبلي غير جامد على تقليد الإمام أحمد ولا من دونه بل إذا وجد دليلاً أخذ به وترك أقوال المذهب فهو مستقل الفكر في العقيدة والفروع معاً . . .^(٣).

(١) الوهابيون والحجاز ص ٦ للسيد محمد رشيد رضا .
(٢) مجلة الزهراء المصرية ص ٤٢٢ لشهر رجب عام ١٣٤٥ هـ .
(٣) كتاب الفكر السامي ج ٣ ص ١٩٦ .

أما في الهند :

فيقول الشيخ مسعود عالم الندوي الهندي - رحمه الله - في كتابه «الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه» الذي صنفه باللغة الأردية وعربّه الشيخ عبد العليم عبد العظيم البستوي .

يقول الشيخ مسعود :

إن دعوة شيخ الإسلام التي تسمى «الوهابية» ليست شيئاً جديداً فإنه لا يقدم شيئاً غير التعليم الصحيح للكتاب والسنة ، وبعبارة موجزة نستطيع أن نقول إن شيخ الإسلام كان يحب أن يرى الدين في صورته الأصلية ، وكان مولعاً باتباع السلف الصالح في العقائد والأعمال ، وكان يتبع مذهب إمام السنة أحمد بن حنبل في الفروع الفقهية لكنه إذا وجد شيئاً يخالف مذهب الحنابلة فلا يمنعه مانع من العمل بذلك الحديث^(١) .

ويعلق الأستاذ الأديب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي مراجع ومقدم الكتاب المشار إليه فيقول مشيراً إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته :

لا يخفى أن الإمام الرباني الأواب محمد بن عبد الوهاب قام بدعوة حنيفية جددت عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وأسس دولة ذكّرت الناس بدولة الخلفاء الراشدين ، وقهرت الشياطين وأحيت ما اندثر من علوم كتاب الله وسنة النبي الكريم^(٢) .

ويقول نظماً في الثناء على الشيخ محمد ودعوته بقصيدة طويلة نذكر منها الأبيات التالية :

(١) كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه للشيخ مسعود عالم الندوي ص ١٧٩ ، ١٨٠
(٢) المرجع السابق ص ٥

وثانيهما الشيخ الإمام محمد
فجدد دين الله بعد دثوره
بدعوته عادت شريعة أحمد
وحطم أوثاناً وأوجد دولاً
فأكرم بها من دعوة أممية
بدا في ربي نجد ضياء لمستههد
فزال ظلام الشرك والفتنة المردى
إلى عهدا الماضي فياله من عهد
من العرب بعد الضيم والأسر والجهد
فضائلها جلت عن الحصر والعد^(١)

هذه آراء بعض علماء الشريعة في أقطار مختلفة وهي قليل من كثير لأن
الموافقين للشيخ محمد بن عبد الوهاب والمستحسنين لدعوته لا يحصون عدداً ولا
يحصرهم كثرة.

وعبارة لطيفة قالها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام كبير قضاة الحجاز في
كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» يقول وفقه الله .

والذي أعلنه للتأريخ والحق الخالد أن ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب
ودعا إليه هو العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص الذي يجب على كل مسلم يخاف
الوقوف بين يدي رب العالمين أن يتمسك بهذه العقيدة وأن الخاسر النادم هو من
رحل من هذه الدنيا وهو لا يدين الله بها^(٢) إنتهى .

وهذا قول حق لأن هذه الدعوة المباركة أعادت الحياة الدينية في الجزيرة العربية
وغيرها إلى منبعها الأصلي وهو كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه سلف هذه
الأمة .

ويقول الشيخ محمد بن أحمد الحفظي من أهل منطقة عسير في مدح الشيخ
محمد بن عبد الوهاب والثناء عليه .

(١) المرجع السابق ٥٩ .
(٢) علماء نجد خلال ستة قرون ج ١ ص ٢٠ .

الحمد حقاً أبداً	لله رب العالمين سرمداً
مصلياً على الرسول الشارع	وأهله وصحبه والتابع
لما دعا الداعي من المشارق	بأمر رب العالمين الخالق
وبعثه الله لنا مجدداً	من أرض نجد عالماً مجتهداً
شيخ الهدى محمد المحمدي	الحنبلي الأثري الأحمدي
فقام والشرك الصريح قد سرى	بين الورى وقد طغى واعتكر
لا يعرفون الدين والتهليلاً	وطرق الإسلام والسبيلاً
إلا أساميتها وبقا الرسم	والأرض لا تخلو من أهل العلم ^(١)

ويقول الشيخ أبو بكر حسين بن غنام العالم والمؤرخ المشهور عندما توفي الشيخ محمد عام (١٢٠٦ هـ) رثاه بقصيدة طويلة منها الأبيات التالية :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع	وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى	فسالت دماء في الخدود وأدمع
إمام أصيب الناس طراً بفقدده	وطاف بهم خطب من البين موجه
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها	وأمسى محياها يضىء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامساً	وقد كان مسلو كاً به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها	وحق لها بالألمعى ترفع
فأثاره فيها سوام سوافر	وأنوره فيها تضىء وتسطع ^(٢)

إلى آخر القصيدة .

(١) الهدية السنية والتحفة الوهاية . للشيخ سليمان بن سحمان ص ١٢٢ طبعة المنار .

(٢) عنوان المجد لابن بشر ص ١٢٢ طبعة وزارة المعارف .

وتاريخ ابن غنام مملوء بالثناء على الشيخ محمد ودعوته المباركة ، وابن غنام ممن عاصر الشيخ وعرف حاله .

كما أثنى على الشيخ محمد صاحب لنجة إحدى بلدان إيران الشيخ ملا بن عمران بن علي بن رضوان . في عدة قصائد ذكرنا واحدة منها في مبحث الردود على معارضي الشيخ التي منها هذا البيت :

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأنني وهابي^(١) .

ويقول في قصيدة أخرى منها هذه الأبيات :

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة	يدعون أصحاب القبور الهمد
فأتاهم الشيخ المشار إليه بالنصح	المبين وبالكلام الجيد
يدعوهم لله أن لا يعبدوا إلا	المهيمن ذا الجلال السرمد ^(٢)

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر آل بو طمي ص ٦٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٢ .

المبحث الثاني

رأي الكتاب والأدباء العرب

يكاد يجمع الكتّاب والأدباء العرب على أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كبار الشخصيات التي تزعمت الدعوات الصالحة الناجحة وأن دعوته كانت السبب في إيقاد شعلة الفكر الإسلامي الصحيح حتى أوجدت مجتمعاً إسلامياً أصيلاً تحكمه دولة إسلامية يسودها العدل والمساواة وتحكمها الشريعة الإسلامية.

يقول الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم في كتابه « الدولة السعودية الأولى :

والواقع أن المبادئ التي نادى بها محمد بن عبد الوهاب كانت كلها مبادئ قديمة جديدة في نفس الوقت ؛ قديمة لكونها لم تخرج عن تعاليم الإسلام ولم تأت فيه بجديد، وجديدة ؛ لأن الإسلام الصحيح أصبح غريباً عن النفوس في ذلك الوقت ولم تكن رغبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تستهدف كما ظن البعض تعديل العقائد التي جاء بها الإسلام أو إعطاء التعاليم الإسلامية تفسيراً جديداً وإنما هدف أولاً وقبل كل شيء إلى محاربة البدع والعودة بالإسلام إلى أصله الصادق . . . (١).

ويضيف في موضع آخر من الكتاب فيقول :

إنني رأيت في الدعوة السلفية التي نهض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي أصبح يطلق عليها اسم (الدعوة الوهابية) عاملاً من أبرز عوامل التجديد التي

(١) الدولة السعودية الأولى للأستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ص ٣٩ .

بدأت تميز المجتمع العربي منذ القرن الثامن عشر الميلادي . كما أنني رأيت فيها امتداداً لحركات الإصلاح الديني والاجتماعي التي استمرت متصلة على امتداد تاريخنا العربي منذ ابن تيمية كما أنها مهدت لحركات الإصلاح التي ظهرت بعدها في العالمين العربي والإسلامي .

أما الأستاذ أحمد أمين ، فقد صدر كتابه « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » بترجمة ضافية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته . وإن كانت بعض نقولاته تعتمد على ما كتبه المستشرقون عن الدعوة وصاحبها وكتاباتهم تحتوي على الغث والسمين والتفريق بينهما لا يدركه إلا من تعمق في دراسة هذه الدعوة ووقف على مراجعها الأصلية .

يقول الأستاذ أحمد أمين مشيراً إلى دعوة الشيخ محمد :

فكانت دعوة ابن عبد الوهاب حرباً على كل ما ابتدع بعد الإسلام الأول من عادات وتقاليد فلا اجتماع لقراءة مولد ولا اقتفاء بزيارة قبور ولا خروج للنساء وراء الجنازة ولا إقامة أذكار يغنى فيها ويرقص ولا محمل يتبرك به ويتمسح . كل هذا مخالف للإسلام الصحيح يجب أن يزول ويجب أن نعود إلى الإسلام في بساطته الأولى وطهارته ونقاته ووحدانيته واتصال العبد بربه من غير واسطة ولا شريك^(١) ، انتهى .

وهذا هو الصحيح فإن الإسلام لا يعرف هذه المبتدعات بل كانت دخيلة عليه فجاءت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتصحيح عقيدة التوحيد من هذه الشوائب والمبتدعات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

ويقول الأستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « قاموس الأعلام » :

(١) زعماء الإصلاح ص ١٤ طبعة مصر ١٩٦٥ م .

إن الشيخ انتقل إلى العيينة ناهجاً منهج السلف الصالح داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام ، وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها . . (١) .

ويقول الأستاذ أمين الريحاني : وهو رجل نصراني ومؤرخ مشهور زار نجداً في منتصف القرن الرابع عشر الهجري ورأى أحوال أهلها عن كثب ووقف بشخصه على حقيقة ما هم عليه دينياً وسياسياً واجتماعياً فألف كتابه «تاريخ نجد وملحقاتها» يقول متحدثاً عن الشيخ محمد ودعوته :

وفي وادي حنيفة بعد ألف ومائة سنة ظهر محمد بن عبد الوهاب الذي كافح البدع والخرافات فكان من الفائزين .

قبل ظهور هذه المصلح النجدي كان العرب في نجد بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف ومن الأهواز ، إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذي أنقذ المذهب الحنبلي مما كان يكتنفه في نجد من أسباب الفساد والاضمحلال وهو الذي كشف بذور الحياة فيه فأعاد زرعها وجدد موسمها فهل ندعوه مجدداً : إنه لكذلك وفوق ذلك هل ندعوه مصلحاً؟ نعم هو معلم كبير وقد تجاوز في رسالته التعليم فقد علّم أهل نجد دين التوحيد الذي كانوا قد نسوه ونفخ فيهم فوق ذلك روحاً قومية عظيمة . . لم يكن محمد بن عبد الوهاب خشن الطبع قاسى القلب عتياً بل كان في حياته الخاصة والعامة لطيفاً محسناً شقيقاً حليماً . . علم الناس معرفة الله ومعرفة النبي ومعرفة الدين بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية على طريقة الصحابة (٢) .

(١) قاموس الأعلام ج ٧ : ١٣٧ .

(٢) تاريخ نجد وملحقاتها ص ٣٥ . ٥٠ ، ٥٢ .

ويقول الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه « محمد بن عبد الوهاب » :

ليس للوهابيين مذهب خاص انفردوا به عن أهل السنة والجماعة . . . وكذلك لم يكن الشيخ محمد مبتكراً طقوساً دينية تخالف ما جاء به القرآن والحديث ولم ينفرد بأمر لا يتفق والإسلام .

فالوهابيون لم يبتدعوا سنة جديدة وإنما سلكوا مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في الفروع أي في قواعد الدين العملية والشخصية والتنفيذية التي يصح فيها اختلاف العلماء . . .

وأما الأصول أي العقائد وأسس الأحكام فهم فيها على ما جاء به الكتاب والسنة^(١).

ويقول الأستاذ محمد جميل : سقدار في تقريره على كتاب « محمد بن عبد الوهاب » الذي صنفه الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار :

وقد كانت نجداً بلداً أكثر فيه الشر والسوء والفساد حتى أصبح سكانه متأخرين في كل نواحي الحياة سيما الحياة الدينية تأخراً جداً كبيراً غير أن الله قيض لجزيرة العرب في القرن الثاني عشر الهجري مصلحاً دينياً نشأ في بيت علم وفقه وقضاء هو شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ولد هذا الإمام في ظروف سيئة وبيئة موبوءة ، وحياة كل ما فيها إثم ورذيلة ودناءة ويعصمه الله عنها ويقيه من شرورها ويرعاه بعينه فينشأ نشأة إسلامية عربية ممتازة^(٢) . انتهى .

هكذا كانت الحياة الدينية في نجد فكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - طبيب شخص الداء فوصف الدواء ولهذا يقول الدكتور محمد عبد الله ماضي في كتابه « حاضر العالم الإسلامي » :

(١) محمد بن عبد الوهاب . ص ١٢٧ .

(٢) محمد بن عبد الوهاب . ص ٢٢ - ٢٣ .

أخذ هذا المصطلح الديني والزعيم الإسلامي محمد بن عبد الوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري يدعو إلى تصحيح العقيدة والرجوع إلى مبادئ الإسلام الصحيحة واعتناقها من جديد بين النجديين .

يقول الكاتب المعروف الأستاذ أمين سعيد : في كتابه «سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب» :

أما بعد فسيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب التيممي من أحفل السير بالعطاءات واغناها بالفضائل وأحقها بالبحث والفحص والتفسير والتعليل فهي سيرة مصلح من كرام المصلحين ، ومجاهد من كبار المجاهدين ، وعالم من خيرة العلماء أنار الله بصيرته وهداه سبله وألهمه التقوى فدعا أمته للرجوع إلى الله والعمل بكتابه وسنة رسوله ونبذ الشرك وعبادة القبور فانقادت إليه واقتدت به واستجابت له فأخرجها الله به من الظلمات إلى النور فنجت وفازت وجنت أطيب الثمار وسمت إلى مرتبة الأخيار (١) .

ويقول الأستاذ عبد الرحمن بن سليمان الرويشد :

ليست الفكرة الوهابية السلفية ديانة جديدة أو مذهباً محدثاً كما أشاع ذلك خصومها وإنما هي ثمار جهود مخلصنة تنادي بالعودة الى نموذج بساطة الإسلام والاستمداد في التشريع من منبعه الصافي كما تدعو إلى حركة تطهير شاملة لكل ما أدخل على المعتقد الديني من شرك وبدع وزيف وضلال أدت كلها إلى تشويه حقائق الإيمان (٢) .

(١) سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٧ .

(٢) الوهابيون حركة الفكرة والدولة لعبد الرحمن بن سليمان الرويشد ص ١٠ ، ١١ .

وقد روى المؤرخ الشهير عبد الرحمن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»^(١) نقلاً عن بعض رجال جيش محمد علي الذي جاء لغزو الدرعية في أول القرن الثالث عشر الهجري .

قال الجبرتي :

ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير دين الله ومنهم من لا يتدين بدين . . .

إلى أن قال : والقوم - يعني الوهابيين - إذا دخل الوقت أذن المؤذن ويتنظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة الحرب وتتأخر الأخرى للصلاة وعساكرنا يتعجبون من ذلك ، لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته .

فهذا شاهد عيان منصف . يصور مدى تمسك أصحاب هذه الدعوة المباركة بتعاليم الدين وإقامة أركانه حتى في ساعة الخوف والكر والفر تأسيساً برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وامثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ ﴾^(٢) .

أما الأديب المصري الدكتور طه حسين : فيصف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب معظماً لشأنها مشيراً إلى آثارها في مجتمع الجزيرة فيقول :

إن الباحث عن الحياة العقلية في جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادي فلفتت إليها العالم الحديث في الشرق والغرب وأخطرته أن يهتم بأمرها وأحدثت فيها أثراً خطيرة هان شأنها بعض الشيء

(١) ج ٤ : ١٤٠ الطبعة الأميرية مصر .

(٢) سورة النساء : ١٠٢ .

ولكنه عاد فاشتد في هذه الأيام وأخذ يؤثر لا في الجزيرة وحدها بل في علاقاتها بالأمم الأوربية أيضاً . إن هذه الحركة هي حركة الوهابيين التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ نجد تثقف على أبيه ثم رحل إلى العراق فسمع من علماء البصرة وفقهائها وأظهر فيها آراءه الجديدة القديمة معاً . والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر لأنه ليس إلا بالدعوة القوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصاً لله وحده ملغياً لكل واسطة بين الله وبين الناس^(١) .

ويقول الأديب السوري الأمير شكيب أرسلان :

إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ يفكر في إعادة الإسلام لنقاوته الأولى . ولا أظنه أورد شيئاً غير ما أورده ابن تيمية .

ويقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدي صاحب كتاب «المجددون في الإسلام» بعد الحديث عن ولادة الشيخ ونشأته قال :

وأخذ يدعو إلى مثل ما دعا إليه ابن تيمية قبله من التوحيد بالعبادة لله وحده وإنكار التوجه إلى أصحاب القبور والقباب ، وإنكار التوسل بالأنبياء إلى الله في قضاء الحاجات .

ويقول حافظ وهبه في كتابه " جزيرة العرب " :

إن الشيخ محمداً مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ولا آراء خاصة ، وكل ما يطبق في نجد هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وأما العقائد فهم يتبعون السلف الصالح ويخالفون من عداهم .

(١) كتاب «ألوان» للدكتور طه حسين ص ٤٣ طبعة دار المعارف مصر .

ويقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه الدعوة الوهابية^(١):

قام محمد بن عبد الوهاب يدعو إلى الله لا يبغى بهذا جاهاً ولا يطلب سلطاناً؛ وإنما يضيئ للناس معالم الطريق، ويكشف لهم المعائر والمزالق التي أقامها الشيطان وأعوانه.

هذه آراء بعض العلماء، والكتّاب، والأدباء والمفكرين العرب في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية المباركة.

ولو أردنا تقصي ما كتب عنه، وعن دعوته لا حتجنا إلى وقت طويل تكون حصيلته مجلدات ضخمة ولعل الإشارة تغني عن العبارة وتفي بالغرض.

ثم بعد هذا الشناء الموجز العطر ممن ذكرنا هل يصدر مثل هذه الشناء على مبتدع ضال أو جاهل يقول برأية وهواه كما يدعيه خصوم الشيخ ومعارضيه. سبحانك هذا بهتان عظيم!

المبحث الثالث:

رأي بعض الغربيين من الرُّحالة والمستشرقين في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية.

إذا كنا فيما سبق قد ذكرنا آراء بعض العلماء والأدباء والُكُتَّاب في الشرق في الشيخ محمد ودعوته المباركة .

فلنذكر هنا شيئاً مما قاله بعض مفكري الغرب المعتدلين في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية ، وهم ليسوا من أهل هذه الدعوة .

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل فيما شهدت به الأعداء

يقول الكاتب الأمريكي « لو ثروب ستودارد » : في كتابه (حاضر العالم الإسلامي).

وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجته ومدلج في ظلمته إذا بصوت يدوي من قبل شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام يوقظ المؤمنين إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل ، والصراط المستقيم فكان الصارخ وهذا الصوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت ، واتقدت ، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي .

ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد .

فبدت تباشير صبح الإصلاح ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتة غرضها إصلاح الخرق ، وفسخ الشبهات وإبطال الأوهام ونقض التفاسير المختلفة والتعاليم المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام والأخذ به على أوله وأصله ولبابه وجوهره . . . (١) . انتهى .

هكذا يقول هذا الكاتب الغربي وهو قول حق مجرد عن الهوى والتعصب نظراً إلى واقع الدعوة وما تهدف إليه فبنى حكمه على ما تحقق لديه فقال ما قال . وليست الوهابية مذهباً خاصاً كما يطلقه هذا الكاتب وإنما هي مذهب أهل السنة والجماعة .

ويعلق على ذلك الأستاذ والكاتب المعروف الأمير شكيب أرسلان فيقول :

ولكن المقرر أنها حركة إنابة إلى العقيدة الحققة وهدى السلف الصالح واقتفاء أثر الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة ونبذ الخرافات والبدع وحظر الاستغاثة بغير الله ومنع التمسح بالقبور والتعبد عند مقامات الأولياء ولذلك يسمونها عقيدة السلف ويلقب الوهابيون أنفسهم سلفيين (٢) .

ويقول المؤرخ الفرنسي «مانجان» :

كانت تعاليم هذا المصلح مؤسسة على مبادئ أخلاقية سليمة تدعو مواطنيه إلى عبادة الله وحده والتوجه إليه وحده بالسؤال والدعاء ، وكان يأمر بإقامة الصلوات خمس مرات في الليل والنهار (٣) ، وصوم رمضان ، والحج إلى مكة والزكاة (٤) .

(١) حاضر العالم الإسلامي ، تعريب الأستاذ عجاج نويهض ج ١ : س ٢٦٠ طبعة دار الفكر .

(٢) حاضر العالم الإسلامي ج ١ : س ٢٦٤ طبعة دار الفكر .

(٣) أي القروض الخمسة في اليوم والليلة .

(٤) تاريخ البلاد العربية السعودية . للدكتور منير العجلاني ج ١ : ٢١١ .

وهذا قول صحيح فإن هذه الأمور التي ذكرها هذا المؤرخ . هي أركان الإسلام وهي لباب ما كان يدعو إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

ويقول المستشرق «بركارت» :

لم تكن المبادئ التي جاء بها ابن عبد الوهاب مبادئ دين جديد ، وإنما كانت جهوده منصرفة إلى إصلاح ما فسد من معتقدات المسلمين وإلى إشاعة الدين بين البدو الذين كانوا مسلمين بالاسم ولكنهم ما كانوا يعرفون الديانة ولا كانوا يعملون بأوامرها^(١) .

ويقول المستشرق الألماني الشهير «كارل بروكلمان» في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية» :

ولد في نجد المرتفعة في قلب الجزيرة العربية محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم ما بين أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر الميلادي فنشأ محباً للعلم واقفاً نفسه على دراسة الفقه والشريعة وقصد وفقاً للعادة القديمة عواصم الشرق طلباً للعلم في مدارسها وفي بغداد^(٢) . درس محمد فقه ابن حنبل مؤسس آخر المذاهب السنية الأربعة الذي دافع بشدة وثبات عن مبدأ الأخذ بالحديث والإعتماد عليه اعتماداً كلياً ضد نزعة الفقهاء السابقين إلى الأخذ بالرأي ثم إنه درس مؤلفات أحمد بن تيمية الذي كان قد أحياء في القرن الرابع عشر تعاليم ابن حنبل .

والواقع أن دراسته لآراء هذين الإمامين انتهت به إلى الإيقان من أن الإسلام في كله السائد في عصره وبخاصة بين الأتراك مشرب بالمساوي التي لا تمت إلى الدين الصحيح بنسب فلما آب إلى بلده الأول وسعى أول ما سعى إلى أن يعيد إلى العقيدة والحياة الإسلامية صفاءهما الأصلي^(٣) ، انتهى .

(٤) المرجع السابق

(٢) التحقيق أن الشيخ محمداً لم يصل إلى بغداد بل عاد من البصرة إلى نجد ماراً بالزبير .

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان . تعريب نبيه فارس ومنير البعلبكي ص ٥٤٩ ، ٥٥١ .

ويقول المستشرق الإنجليزي «سنت جون فلبى» متحدثاً عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

وقد جاء هذا المستشرق إلى نجد ، واتصل برجالها وألف فيها كتاباً سماه «تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» يقول فيه بعد كلام طويل عن الدعوة :
على هذه الصور كانت بداية انطلاق الحركة الإصلاحية التي وصلت موجاتها إلى أقصى البلاد العربية ثم تجاوزتها إلى ما وراءها^(١).

ويقول المستشرق (سيديو) في كتابه (تاريخ العرب العام) :

خلع الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دين محمد رونقاً جديداً ، وبدد الخرافات التي زالت مع الزمن القرآن^(٢) خالياً من جميع ما عزي إليه من الشوائب .

ويقول العالم الفرنسي «برناد لوسي» في كتابه (العرب في التاريخ) :

وباسم الإسلام الخالي من الشوائب الذي ساد في القرن الماضي نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات بإعتبارها بدع خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح .

ويقول كبير المستشرقين « جلد سيهر » في كتابه (العقيدة والشرعة) :

إن الوهابيين أنصار للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي محمد وأصحابه فغاية الوهابية هي إعادة الإسلام كما كان^(٣).

(١) تاريخ نجد . لسنت جون فلبى ص ٤٠ تعريب عمر الديراوي .

(٢) لعله يقصد التوحيد ، وإلا فالقرآن لم يجر عليه ، ولله الحمد - أي تغيير لحفظ الله له (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر : ٩ .

(٣) انظر كتاب (بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ج ١ : ٣٠٩ .

هذا طرف مما قاله بعض مفكري الغرب في الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية ؛ دققوا النظر في الوقائع والأحداث وتحروا الصدق فنطقوا بالحق . والحق ما شهدت به الأعداء .

وفي نهاية الحديث عن مقالات هؤلاء الغربيين يحسن أن نختمه بخلاصة بحث أعده الأستاذ أحمد سعيد البغدادي نشر في مجلة المتقطف المصرية^(١) . بشأن ما ينقل عن المستشرقين حول الدعوة السلفية وأصحابها .

فيقول أحمد سعيد :

أما حقيقة هذه الطائفة^(٢) . فإنها حنبلية المذهب وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف وفيه تناقض كلي لمن اطلع عليه بتأمل ؛ لأن غالب المؤرخين ينقلون عن الكتب الأفرنجية فإن كان المؤرخ المنقول عنه صاحب دراية وصادق الرواية نجد أن من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الأصل ، وإن كان المؤرخ غير صادق الرواية فمن باب أولى ، ومن أراد أن يعرف جليا اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فإنه مذهبهم . انتهى . .

وهذا في الواقع هو الصحيح فإن معظم الكتاب الذين تناولوا سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته أتوا بأمور نسبوها إلى الشيخ وهو منها براء وكان مستندهم ما قاله بعض المستشرقين أو المغرضين فنقل هؤلاء الكتاب عنهم عن حسن ظن بهم ، أو لخبث وسوء طوية فجاءت كتاباتهم تحكي غير الواقع وفق الله الجميع وهو حسبنا وناصرنا ونعم الوكيل .

(١) المجلد ٢٥ ص ١٢٠ .

(٢) يقصد أصحاب الدعوة السلفية .

الفصل الثاني

آثار الدعوة السلفية في أنحاء العالم الإسلامي

يحتوي هذا الفصل على الموضوعات التالية :

- ١- التمهيد .
- ٢- آثار الدعوة السلفية في الخليج العربي .
- ٣- آثارها في اليمن .
- ٤- آثارها في العراق .
- ٥- آثارها في الشام .
- ٦- آثارها في مصر .
- ٧- آثارها في السودان .
- ٨- آثارها في المغرب .
- ٩- آثارها في أفريقيا .
- ١٠- آثارها في الهند .
- ١١- آثارها في إندونيسيا .

١- تمهيد :

إن تولي دولة التوحيد الدولة السعودية الأولى على بلاد الحرمين الشريفين ودخول عدد كبير من دعاة الدعوة السلفية مكة والمدينة قد أوجد ميداناً واسعاً لنشر الدعوة في صفوف الحجاج الوافدين من جميع الأقطار الإسلامية حيث تفهموا حقيقة الدعوة ، وتيقنوا أنها دعوة حق وإصلاح تدعو في المقام الأول إلى أفراد الله بالعبادة ونبتذ الشرك في جميع صوره وأشكاله .

فاقتنع عدد كبير من الحجاج بمبادئ الدعوة السلفية ، وزال ما كانوا يسمعون به بسبب الدعاية السيئة التي كانت تروجها الدولة العثمانية وعملاؤها حينذاك ؛ من أن الوهابية عقيدة قوم ضالين مبتدعين في الدين يجب قتالهم والحذر منهم .

لكن الذي ظهر للحجاج عكس ذلك ؛ فقد تحقق لديهم أن ما يُسمى بالوهابية معتقد قوم صالحين مذهبهم مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتهم طريقة السلف الصالح .

يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب حين سأل أحد علماء مكة^(١) عن مذهبهم قال الشيخ عبدالله :

فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكم^(٢) .

(١) هو الشيخ حسين بن محمد بن الحسين الإبريقي الحضرمي ، وسؤاله للشيخ عبدالله كان في عام ١٢١٨ هـ حينما دخل جيش دولة التوحيد مكة بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز .
(٢) الهدية السنية للشيخ سليمان بن سمحان ص ٢٨ .

وقد أخذ كبار الحجاج يناقشون ، ويسألون حتي تبين لهم وجه الحق وزالت عن أعينهم الغشاوة فانضموا إلى صفوف أهل الدعوة وحملوا أفكارها إلى ديارهم فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلى خارج الجزيرة العربية إلى مصر والسودان والمغرب الأقصى وإلى العراق والشام والهند وإندونيسيا وغير ذلك .

عاد هؤلاء الحجاج إلى ديارهم منذرين يحاربون الفساد والشرك والبدع والخرافات المنافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة .

يقول الدكتور محمد عبدالله ماضي :

إننا نلاحظ أن هذه المبادئ الدينية الإسلامية التي عرفت بالمذهب الوهابي لا تحل بمكان وتنتشر فيه الا يكون من آثارها أن تقوم ثورة إصلاحية إذا واثت الظروف وساعدة الأحوال^(١) انتهى .

ففي هذه الأقطار وجدت الدعوة السلفية ميدانا واسعا وأرضا خصبة لغرس بذور الإصلاح الديني والاجتماعي .

ويقول الأستاذ خير الدين الزركلي : وهو يتحدث عن الإمام محمد بن عبد الوهاب يقول :

كانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة في العالم الإسلامي كله تأثر به رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها فظهر الألويسي الكبير في بغداد والأفغاني^(٢) بأفغانستان ومحمد عبده بمصر وجمال الدين القاسمي بالشام وخير الدين التونسي وصديق حسن خان في بهوبال وأمير علي في كلتكا^(٣) .

(١) النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، ص ٦٩ .

(٢) كلام الزركلي عن تأثر جمال الدين الأفغاني بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الدعوة السلفية) فيه نظر . فإن الظاهر من دعوة جمال الدين الأفغاني أنها حركة سياسية لم تقم باسم الدين بل قامت في ظل العصبية الوطنية وقفت في وجه الاستعمار الإنجليزي في مصر أما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهي دعوة دينية تهدف إلى إصلاح العقيدة الإسلامية مما شابها من البدع والخرافات وطرق الصوفية .

(٣) قاموس الأعلام ج ٧ : ١٣٧ .

ويقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه : " زعماء الإصلاح في العصر الحديث " :

فنرى في زنجبار طائفة كبيرة من المسلمين يعتنقون هذا المذهب ^(١) . ويدعون إلى ترك البدع وعدم التقرب بالأولياء . . ^(٢) .

كانت الدعوة السلفية واضحة الأهداف والمبادئ خالية من التعقيد والغموض شعارها: لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وهذا الشعار ليس غريباً على المسلمين بل هو الفصل بينهم وبين أصحاب الديانات الأخرى المحرفة أو الباطلة .

إن مبادئ الدعوة السلفية مبادئ الفطرة التي فطر الله الناس عليها بعيداً عن البدع والخرافات لهذا استجاب لها كثير من الناس في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي وانتقلت إليهم من عدة طرق أشهرها طريقا الحج أو التجارة .

ومن المعلوم بأن تجار نجد قد أكثروا من السفر إلى البلدان الأخرى خارج الجزيرة العربية ذهبوا إلى اليمن والخليج والشام ومصر وغيرها فنقلوا أفكار الدعوة السلفية ونشروها في تلك الديار .

كما أن مدينة الدرعية عاصمة نجد في ذلك الوقت أصبحت محط التجارة، وسوقاً تجارياً نشطاً .

يقول المؤرخ ابن بشر في وصف ازدهار هذه المدينة في ذلك الوقت ، وما يدخل سوقها من أحمال الأموال من مختلف الأجناس يقول :

وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق ^(٣) .

فعن طريق التجارة أيضاً انتشرت الدعوة السلفية في كثير من الأقطار .

(١) الوهابية ليست مذهباً يعتنق كما يذكر هذا الكاتب بل هي دعوة إلى الرجوع إلى مذهب السلف الصالح .

(٢) زعماء الإصلاح ، ص ٢٠ .

(٣) عنوان المجد لابن بشر ج ١ : ٢١٨ طبعة وزارة المعارف .

٢- آثار الدعوة في الخليج العربي:

بعد استقرار الدعوة السلفية في الأحساء وما حولها تطلعت أنظار دعائها إلى نقل الدعوة إلى البلاد الشرقية الواقعة على ساحل الخليج العربي .

فقد استطاع أحد قادة الدولة السعودية الأولى عام ١٢٠٧ هـ إبراهيم بن عفيصان الوصول إلى عدد من قرى قطر ونشر الدعوة السلفية فيها وواصل سيره إلى منطقة البريمي^(١) ، وأنشأ حصناً منيعاً في منتصف الطريق يسمى «قصر الصبارة» وحين رأى أهل البريمي ما عليه دعاة الدعوة من الصلاح والنقاء أرسلوا أناساً إلى الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في الدرعية ليعلنوا له الطاعة ، ويأخذوا منه البيعة فقبل الإمام عبد العزيز منهم ذلك ، وأرسل معهم من يعلم أهل تلك البلاد أمر دينهم وينشر الدعوة المباركة في ربوع ديارهم .

يروى صاحب كتاب (لمع الشهاب) ذلك فيقول :

و حين رأوا بنو ياس قوة آل سعود أرسلوا رسلاً إلى الدرعية ليعاهدوا عنهم على تبعية هذا الدين وأن يسوقوا الزكاة كل عام فعاهدوا وأرسل معهم عبد العزيز عالماً يعلمهم أمر دينهم فسمع نعيم أهل البريمي بذلك فبعثوا أناساً منهم إلى عبد العزيز يلتمسون البيعة والطاعة فقبل منهم وأرسل معهم من يعلمهم أمر الدين انتهى^(٢) .

أما القواسم أهل رأس الخيمة ورئيسهم الشيخ صقر بن راشد القاسمي ، فقد قاموا بدور مهم بعد تقبلهم لمبادئ الدعوة فقد عملوا على إسنادها ونشرها في جميع بلاد الخليج والسبب في ذلك أنهم قوم سنيون تتفق أفكارهم العقائدية مع أفكار أصحاب الدعوة السلفية فهم سنيون جميعاً .

(١) تقع البريمي في جنوب شرق الجزيرة العربية على الحدود الحالية بين دولة الإمارات وسلطنة عمان .
(٢) كتاب لمع الشهاب تحقيق مصطفى أبو حاكم ، ص ٧٩ .

ثم إن أنصار الدعوة ودعاتها في رأس الخيمة سعوا إلى إزالة جميع آثار الشرك في البلاد التي امتد نفوذهم إليها .

فهناك مقام معروف قرب رأس الخيمة يقصده الناس للتعظيم والتبرك والدعاء يسمى «مقام سيد حسن» فطلب القائد السعودي مطلق المطيري من القواسم هدم المقام المذكور وإزالة آثاره قطعاً لدابر الشرك والتعلق بالأوثان في تلك الديار فاستجابوا لذلك وهدموه حتى أزالوه بالكلية .

يقول صاحب كتاب (لمع الشهاب) :

فقام صقر بن راشد وبعض جماعته فأوماً كل واحد منهم إلى قلع حجر فأخذ الناس بالتفليس^(١)، وأصبح المقام مهدوماً من أصله^(٢) انتهى .

وقد ظل القواسم مخلصين للدعوة السلفية منضمين إلى صفوف رجالها مجاهدين في سبيل نشرها في جميع منطقة الخليج حتى امتد نفوذ دولة التوحيد (الدولة السعودية الأولى) إلى كل الساحل الشرقي من البصرة إلى دبي .

وبامتداد نفوذ هذه الدولة وبسط سيطرتها على تلك الديار تكون الدعوة السلفية المباركة التي نادى بها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - قد شملت تلك البلاد الشاسعة المترامية الأطراف .

ويوجد الآن في منطقة الخليج العربي في رأس الخيمة معهد إسلامي ضخم يُدرس فيه جميع العلوم الإسلامية في مختلف المراحل التعليمية ، ويضم عدداً كبيراً من الطلاب والطالبات ، ومناهجه الدراسية مماثلة لمناهج جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض ، وتشرف الجامعة عليه .

(١) التفليس في لهجة أهل الخليج المراد به نقض الأحجار وإزالتها عن أماكنها .

(٢) لمع الشهاب ، تحقيق مصطفى أبو حاكم ص ٨٠ .

كما يوجد في منطقة الخليج أيضاً عدد من مكاتب الدعوة الإسلامية فيها مجموعة من الدعاة المخلصين تشرف عليهم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية . هذا بالإضافة إلى دعم محاكم المنطقة بعدد من القضاة الشرعيين والمدرسين .

وآثار الدعوة السلفية في هذه المنطقة قديماً وحديثاً واضحة وملموسة انتفع بها الجميع .

٣- آثار الدعوة في اليمن:

يمكن القول بأن العامل الأول في نشر الدعوة السلفية هو موسم الحج حيث يلتقي الحجاج بعضهم ببعض ومن أبرز أحداث ذلك الزمان . الدعوة السلفية المنطلقة من ربي نجد فمن المعلوم بالضرورة أن يتحدث الناس عنها ، ومنهم حجاج اليمن لهذا نجد علامة اليمن . الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني يقول في قصيدة له يمدح فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته :

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
لقد سرنى ما جاءني من طريقة وكنت أرى هذى الطريقة لي وحدي

فأخبار الدعوة قد تواترت في بلاد اليمن وعرف الخاصة من الناس صدق الدعوة فقول الإمام الصنعاني .

لقد سرنى ما جاءني من طريقه وكنت أرى هذى الطريقة لي وحدي

دليل علي قناعة الصنعاني بصدق ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وبتتبع آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومراسلاته نجد أن هناك مكاتبة قد جرت بينه وبين إسماعيل الجراعي صاحب اليمن حيث طلب منه إيضاح ما هو عليه وما يدعو الناس إليه يقول الجراعي :

بسم الله الرحمن الرحيم - من إسماعيل الجراعي إلى من وفقه الله محمد بن عبد الوهاب .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فبلغني على ألسن الناس عنك ممن أصدق علمه ومالا أصدق والناس انقسموا فيكم بين قادح ومادح فالذي سرنى عنك الإقامة على الشريعة في آخر هذا الزمان وفي غربة الإسلام أنك تدعوه وتقوم أركانه فوالله الذي لا إله غيره مع ما نحن فيه عند قومنا ما نقدر على ما تقدر عليه من بيان الحق والإعلان بالدعوة .

وأما قول من لا أصدق أنك تكفر بالعموم ولا تبغي الصالحين ولا تعمل بكتب المتأخرين فأنت أخبرني وأصدقني بما أنت عليه وما تدعو الناس إليه ليستقر عندنا خبرك ومحبتك^(١) . انتهى .

فأجابه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالرسالة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد بن عبد الوهاب إلى إسماعيل الجراعي .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فما تسأل عنه فنحن والله الذي لا إله غيره ولا رب لنا سواه فلنا أسوة وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين . وأما ما جرى لهم مع قومهم وما جرى لقومهم معهم فهم قدوة وأسوة لمن اتبعهم .

فما تسأل عنه من الاستقامة على الإسلام فالفضل لله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)^(٢) .

(١) الدرر السنية جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ج ١ : ٦٤ .
(٢) رواه مسلم وأصحاب السنن بسند صحيح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) .

وأما القول إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين ونقول : سبحانك هذا بهتان عظيم ، وأما الصالحون فهم على صلاحهم رضي الله عنهم ؛ ولكن نقول ليس لهم شيء من الدعوة . قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ^(١) وأما المتأخرون - رحمهم الله - فكتبهم عندنا فنعمل بما وافق النص منها وما لا يوافق النص لا نعمل به فأعلم رحمك الله أن الذي ندين به ، وندعوا الناس إليه أفراد الله بالعبادة وهي دين الرسل قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ^(٢) .

فانظر رحمك الله ما أحدث الناس من عبادة غير الله فتجده في الكتب جعلني الله وإياك ممن يدعو إلى الله على بصيرة كما قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٣) وصلى الله على محمد ^(٤) .

كما أن هناك مراسلة أيضاً بين الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين صاحب اليمن أحمد بن محمد العديلي وهي عبارة عن إيضاح لحقيقة الدعوة وهذا نص رسالة الإمامين .

من عبد العزيز بن محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب إلى الأخ في الله أحمد بن محمد العديلي . . . سلمه الله من جميع الآفات واستعمله بالباقيات الصالحات وحفظه من جميع البليات وضاعف له الحسنات ومحا عنه السيئات .

(١) الآية ١٨ من سورة الجن .

(٢) الآية ٨٣ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٠٨ من سورة يوسف .

(٤) الدرر السنية ج ١ : ٥٦ طبعة دار الإفتاء .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد .

لفانا ^(١) كتابكم وسر الخاطر بما ذكرتم فيه من سؤالكم ، وما بلغناه على البعد من أخباركم وسؤالكم عما نحن عليه وما دعونا الناس إليه فأردنا أن نكشف عنكم الشبهة بالتفصيل ، ونوضح لكم القول الراجح بالدليل ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يسلك بنا وبكم أحسن منهج وسيل .

أما ما نحن عليه من الدين فعلى دين الإسلام الذي قال الله فيه : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ^(٢) .

وأما ما دعونا الناس إليه فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ^(٤) .

وأما ما نهينا الناس عنه فنهيناهم عن الشرك الذي قال فيه : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ ^(٥) وقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم على سبيل التخليط وإلا فهو منزّه هو وإخوانه الأنبياء عن الشرك ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٦) بل ﴿ اللَّهُ فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٦) إلى آخر الرسالة ^(٧) .

(١) أي جاءنا أو وصلنا .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(٣) سورة يوسف : ١٠٨ .

(٤) سورة الجن : ١٨ .

(٥) سورة المائدة : ٧٢ .

(٦) سورة الزمر : ٦٥ ، ٦٦ .

(٧) الدرر السنية ج ١ : ٦٢ طبعة دار الإفتاء .

وقد انتقل أسلوب نشر الدعوة في اليمن من المكاتب إلى الأسلوب العملي فكان لذلك أثره الكبير في تمكين الدعوة من الانتشار في بلاد اليمن وتأثر أهلها بمبادئ هذه الدعوة السلفية .

ولهذا برز من أهل اليمن من حمل لواء الدعوة كالأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني وقد قدمنا من كلامه ما يدل على ذلك .

وكذلك برز الإمام محمد بن علي الشوكاني^(١)، علامة اليمن صاحب كتاب «نيل الأوطار» في الحديث وكتاب فتح التقدير في التفسير فقد دعا هذا الإمام إلى ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو توحيد الله وإخلاص العبادة له .

يقول في كتابه « نيل الأوطار »^(٢) :

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبكى لها الإسلام منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر فجعلوها قصداً لطالب قضاء الحوائج وملجأ لنجح المطالب وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال وتمسحوا بها واستغاثوا ، وبالجملة فإنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه فإنا لله وإنا إليه راجعون . . انتهى .

وبعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله رثاه الإمام الشوكاني بقصيدة طويلة ذكرنا طرفاً منها في فصل نهاية حياة الشيخ محمد ووفاته .

(٧) هو الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ولد في شوكان من أعمال اليمن سنة ١١٧٣ هـ من كبار علماء اليمن في الحديث والتفسير توفي في صنعاء سنة ١٢٥٠ هـ .
(١) ج ٤ : ٩٥ .

٤- آثار الدعوة في العراق

إذا رجعنا إلى آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجدنا الشيخ قد خصَّ أحد علماء العراق الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله السويدي^(١) . برسالة جاء فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الوهاب الى عبد الرحمن بن عبد الله .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أما بعد .

فقد وصل كتابك وسر الخاطر جعللك الله من الأئمة المتقين ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين . وأخبرك أنني - ولله الحمد - متبع ولست بمبتدع عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين - إلي أن قال :

والحاصل أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان وهذا لو خفي على غيركم فلا يخفى على حضرتكم - وقال في آخرها :

وأنا أرجو أن الله يكرمك بنصر دينه ونبيه وذلك بمقتضى الاستطاعة ولو بالقلب ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)^(٢) فإن رأيت عرض كلامي على من ظننت أنه يقبله من إخواننا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً^(٣) .

(١) مؤرخ عراقي توفي في بغداد سنة ١٢٠٠ هـ .

(٢) متفق عليه .

(٣) تاريخ نجد لابن غنام ج ١ : ٣٥٩ - ٣٦١ تحقيق ناصر الدين الأسد .

كما أن هناك مراسلة جرت بين الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وبين والي بغداد. فقد أرسل الإمام عبدالعزيز رسالة إلى سليمان باشا والي بغداد^(١) مصحوبة بنسخة من كتاب «التوحيد» تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب. طلب منه أن يجمع علماء بغداد للنظر في كتاب الشيخ والإيمان بما جاء فيه، وقام سليمان باشا بإسناد دراسة الكتاب المشار إليه إلى أحد علماء بغداد وهو الشيخ عبدالله أفندي الراوي، لكن للدور الذي لعبته الدعاية التركية في ذلك الوقت ضد الدعوة السلفية في نجد تحدد موقف أهل العراق منها بالموقف المعادي، وقد وقع بين العراق ودولة التوحيد عدة جولات حربية انتهت بالصلح^(٢).

لكن قبيلة الخزعل الشيعية العراقية تعرضت لقوات سعودية قرب مدينة النجف^(٣). وقتلت منهم حوالي ثلاثمائة رجل فطالب الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بدية المقتولين من والي بغداد فكلف والي بغداد أحد رجاله وهو عبد العزيز بن عبدالله الشادي بالشخص إلى نجد للمفاهمة مع الإمام عبدالعزيز حول هذا المطلب.

يقول الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم: إن عبد العزيز الشادي عاد إلى العراق وقد اقتنع بمبادئ الدعوة السلفية وصار داعية لها^(٤).

لكن الدعوة لم تلق تقبلاً ملحوظاً في العراق لكون معظم سكانها من غلاة الشيعة المتعصبين فكان لوصول القوات السعودية إلى مدينة «كربلاء»^(٥)، وإزالة الأبنية والقباب المقامة على الأضرحة هناك أثره البالغ في نفوس هذه الطوائف

(١) توفي سنة ١٢١٧ هـ.

(٢) تاريخ نجد لابن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ص ٩٢.

(٣) مدينة عراقية.

(٤) الدولة السعودية الأولى ص ١٩٤. طبعة معهد البحوث والدراسات العربية بمصر.

(٥) مدينة عراقية مشهورة قرب الكوفة قتل فيها الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما.

الرافضة فحملهم هذا التعصب على الوقوف في وجه الدعوة السلفية وعدم تمكينها من الانتشار في نواحي العراق .

ورغم هذا الموقف المتشدد فقد ظهر فيما بعد من علماء العراق من يناصر الدعوة وينشرها ويذب عنها بقلمه ولسانه ومن أبرز هذه الشخصيات الشيخ محمود شكري الألوسي العراقي^(١) فقد درس الدعوة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسبرها حتى ظهر له صحة ما تدعو إليه وصدق صاحبها وسلامة مذهبه من الشوائب الشركية وأنها الحق الذي لا إشكال فيه فتناول هذه الدعوة وأهلها بالتأليف والتمحيص لإبرازها في ثوبها الصحيح أمام الرأي العام الإسلامي .

فقد قام بشرح كتاب « مسائل الجاهلية » تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد سمى الألوسي شرحه « فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية » .

كما دفعه حماسه للدعوة إلى أن يقف في صف المدافعين عنها ، فقد أكمل رد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن على كتاب « صلح الإخوان » الذي ألفه داود بن جرجيس العراقي في معارضة الدعوة السلفية ، وسمى الألوسي تنمة رده « فتح المنان تنمة منهاج التأسيس برد صلح الإخوان » فمن هذا الرد يظهر للقارئ شدة تحمس الألوسي - رحمه الله - لهذه الدعوة والدفاع عنها في حرارة وقوة لأنها حركة سنية سلفية بحتة .

كما ألف الألوسي أيضاً تاريخاً لهذه الدعوة سماه « تاريخ نجد » ضمنه تاريخاً للدعوة وتراجماً لأمراء الدولة السعودية وذكر نموذجاً من رسائلهم كما أن هذا التاريخ يتضمن ترجمة ضافية لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وجانب آخر من المجهود الفكري للألوسي وقوفه في صف رجال الدعوة والإصلاح على مستوى العالم الإسلامي وذببه عنهم .

(١) ولد في الرصافة سنة ١٢٧٣ هـ وتوفي في بغداد سنة ١٣٤٢ هـ .

لهذا نجده تصدى في كتابه « غاية الأمان في الرد على النبهاني » ، لأن النبهاني قد شن حملته على أئمة أهل السنة أمثال الإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما . فناضل الألويسي عنهم نضالاً يشكر عليه ورد الشبه التي تعلق بها النبهاني وبين الموقف الصحيح لدى أهل السنة .

هذه لمحة سريعة عن آثار الدعوة السلفية في العراق .

٥- آثار الدعوة في الشام:

إن الشام محط تفكير إمام الدعوة منذ صباه فقد هم في زيارتها أثناء رحلاته في طلب العلم لكن إمكاناته المادية حالت دون تحقيق هذه الرغبة .

لا سيما وبلاد الشام موطن عالين جليلين من أكابر أئمة الحنابلة الذين تأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمصنفاتهما وسلك نفس الطريق الذي سلكاه في سبيل نشر الدعوة إلى الله حتى قيل إن دعوته امتداد لدعوتهما ؛ وهما شيخ الإسلام ابن تيمية ، وشمس الدين ابن القيم .

ومن بين آثار دعوة الشيخ محمد رسالة بعثها إلى رئيس بادية الشام الشيخ فاضل آل مزيد يقول فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد زاده الله من الإيمان وأعاده من نزغات الشيطان أما بعد :

فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عريان ذكر لنا عنك كلاماً حسناً سر الخاطر وذكر عنك أنك طالب مني المكاتبة بسبب ما يجيئك من كلام العدوان من الكذب

والبهتان ، وهذا هو الواجب من مثلك أنه لا يقبل كلاماً إلا إذا تحققه وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر صفة الدين .

الأمر الأول : أنني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي - صلى الله عليه وسلم - أمتي وأقول لهم الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً لكن إذا عرفتم كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس .

والأمر الثاني : أن هذا الذي أنكروا علىّ وأبغضوني وعادوني من أجله إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم يقول : هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني لأجل أن الدولة^(١) ما يرضون وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره بل لما عرف الحق اتبعه هذا كلام العلماء .

وأظن أنه وصلك كلامهم فأنت تفكر في الأمر الأول وهو قولي : لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي في كتبكم وتفكر في الأمر الثاني أن كل عاقل مقربه لكن ما يقدر أن يظهره فقدم لنفسك ما ينجيك عند الله وأعلم أنه لا ينجيك عند الله إلا اتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والدنيا زائلة والجنة والنار ما ينبغي للعاقل أن ينساهما .

وصورة الأمر الصحيح أنني أقول ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له فلما ذكرت لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهم أنها على خلاف أمر الله ورسوله وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذي قال الله فيه :

(١) يقصد الدولة العثمانية التي كانت تحكم البلاد الإسلامية في ذلك الوقت .

﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ ﴾ الآية (١). فلما أظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم . . . إلخ الرسالة (٢).

وتذكر بعض الروايات أن بوادي الشام قد دانت بالولاء للدولة السعودية الأولى لدرجة أن زكاة أموال ومواشي هذه القبائل كانت تدفع لولي الأمر في الدرعية فلولا إقرارها بالتبعية لدولة التوحيد لما دفعت ذلك إليها .

يقول المؤرخ ابن بشر رواية عن شيخه عثمان بن منصور : إنه ظهر مع عمال من حلب الشام قاصدين الدرعية وهم أهل ست نجائب محملات ريالات زكوات بوادي الشام . . (٣).

فإذا كانت زكاة أموال هؤلاء تجبى من قبل حاكم الدرعية فلا بد أن الدولة السعودية الأولى قد بسطت نفوذها على هذه القبائل ، وهذا يعنى نشر الدعوة بين صفوف هذه القبائل .

وإنتشار الدعوة في منطقة الخليج العربي والعراق والشام وغيرها أمر لا يتوقف على دخول جيوش دولة التوحيد تلك الأقطار بل من المؤكد ، والمعلوم أن تجار نجد قد أكثروا من السفر إلى تلك الديار فنقلوا مبادئ الدعوة إلى أهلها .

ولعل الشام أخصب مكان للدعوة حيث إن المذهب الحنبلي هو السائد لدى أهلها وأهل نجد سنية حنابلة كلهم . وقد صارت الدرعية عاصمة نجد في ذلك الزمان وهذا يستلزم جعلها منطقة تجارية تجلب إليها الأموال والسلع ومحط حملات التجار من جميع الأقطار ومن ذلك بلاد الشام .

(١) سورة المائدة : ٧٢ .

(٢) تاريخ نجد لابن غنام تحقيق ناصر الدين الأسد ج ١ : ٣٥٥ .

(٣) عنوان المجد لابن بشر ج ١ : ١٧٠ طبعة وزارة المعارف .

ويصف المؤرخ ابن بشر ازدهار الحركة التجارية في الدرعية فيقول :
وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن وتهامة
والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم إلى غير
ذلك^(١).

فعن طريق التجارة وغيرها انتقلت الدعوة السلفية إلى بلاد الشام .

أما أثر الدعوة في بلاد الشام في القرن الماضي .

فيذكر الأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد^(٢) :

أن المشيخة العليا في بلاد الشام قد انتهت إلى الشيوخ الأجلاء كالشيخ جمال
الدين القاسمي^(٣)، والشيخ عبدالرازق البيطار^(٤)، والشيخ طاهر الجزائري^(٥)،
والشيخ محمد كامل القصار^(٦)، فدرسوا الحركة الوهابية فأعجبوا بها وقدروها
قدرها ، ورأوا أنها على حق وصواب فنشروها في المجتمع الشامي .

إلى أن قال : والمتفق عليه بين الباحثين في تاريخ الحركة القومية الجديدة التي
سبقت بها سوريا الأقطار العربية أنها نفحة من نفحات الدعوة الوهابية وثمره من
ثمارها عنها انبثقت ومن رياضها نفذت .

ولعل مراد الأستاذ الرويشد بقوله : في تاريخ الحركة القومية الجديدة . لعله
يقصد الحركة السلفية في الشام .

(١) عنوان المجلد لابن بشر ج ١ : ٢١٨ طبعة وزارة المعارف .

(٢) في كتابه «الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ» ٢ : ٣٢٧ .

(٣) هو جمال الدين بن محمد بن سعيد القاسمي من كبار علماء الشام له عدد من المصنفات ولد سنة ١٢٨٣ هـ
وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ .

(٤) هو عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار من علماء الدين والأدب والتاريخ ومن الدعاة إلى الإصلاح ولد
سنة ١٢٥٣ هـ وتوفي سنة ١٣٣٥ هـ .

(٥) هو الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري أصله من الجزائر ومن مواليد دمشق سنة ١٢٦٨ هـ من كبار
الباحثين توفي سنة ١٣٣٨ هـ .

(٦) هو الشيخ محمد كامل بن أحمد عبد القادر القصار ، ولد في دمشق سنة ١٢٩٠ هـ ، من أكبر زعماء الحركة
الاستقلالية في سوريا توفي في دمشق سنة ١٣٧٣ هـ .

١- آثار الدعوة في مصر :

إن الحركة الإصلاحية التي دعا إليها الإمام محمد بن عبد الوهاب في نجد وقامت على أثرها دولة إسلامية في الجزيرة العربية تحكم الإسلام في دقائق الأمور وجليلها وتقيم شعائر الدين وتحافظ على الحرمين الشريفين ذاع صيتها وطار خبرها إلى الأقطار الإسلامية بما في ذلك مصر .

ولكن مصر في ذلك الوقت كانت ولاية عثمانية تحكم بتوجيهات من الدولة العثمانية في الأناضول التي كان لها السيادة على بلاد العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، وظهور الدعوة السلفية في نجد وقيام دولة التوحيد وبسط نفوذها على بلاد الحرمين الشريفين أمر ترفضه الدولة العثمانية حتى ولو كان هو الحق لهذا جندت نفسها بكل ما أوتيت من قوة للقضاء على هذه الحركة الإصلاحية وحربها في عقر دارها واستعادت الحرمين من نفوذها فشرعت أولاً ببث الدعاية السيئة ضد الدعوة وتشويهها ووصف أصحابها بأنهم فرقة ضالة مارقة من الدين ، وروج هذه الأفكار الباطلة الكاذبة زمرة من المغرضين الحاقدين الذين هددت مصالحهم الشخصية بظهور هذه الدعوة .

فمن هذه الدعاوى الباطلة أقامت الدولة العثمانية صرحاً للصدام المسلح مع الدولة السعودية الأولى فكان ذلك أقسى ضربة وجهت إلى الدعوة السلفية وأصحابها . فقد أعد جيش عظيم بقيادة والي مصر في ذلك الوقت محمد علي وإبنه طوسون وإبراهيم وزحف هذا الجيش إلى نجد ف وقعت معارك عظيمة بين هذا الجيش الباغي المعتدي وبين جيش دولة التوحيد في نجد وقد دامت الحرب أكثر من سبع سنوات انتهت بتدمير الدرعية عاصمة نجد في ذلك الوقت سنة ١٢٣٣ هـ .

ولقد قال أحد الكتاب العرب المشهورين^(١) :

إن الدعوة السلفية في نجد لو لم تحارب بالأسلحة التي لا عهد لأهل نجد بها من قبل دولتين كبيرتين لاستطاعت هذه الدعوة أن توحد العرب في دولة تعيد مجد الإسلام إلى عهده الأول .

إن الحروب التي شنتها الدولة العثمانية على أهل هذه الدعوة كانت لغرض سياسي بحث لا صلة له بالعقيدة ، وقد ذكرنا سابقاً طرفاً من رواية المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي نقلاً عن أكابر رجال جيش محمد علي الذين اشتركوا في الحروب المذكورة ونذكر هنا الرواية كاملة .

يقول الجبرتي : ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الإصلاح والتورع أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهباً وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في أراضينا أذان ولا تقام فيه فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين ، والقوم (يريد الوهابية) إذا دخل الوقت أذن المؤذن وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع ، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك ، لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته وينادون - يقصد جنود دولة التوحيد - في معسكرهم : هلموا إلى حرب المشركين المحلقين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الشاربين الخمر التاركين الصلاة الآكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين المحرمات ، وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدهم غير مختنين^(٢) . انتهى .

والمقصود بهذه الأوصاف الرذيلة عسكر جيش محمد علي .

(١) الدكتور طه حسين في كتابه (الوان) ص ٤٥ الطبعة الرابعة
(٢) كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج ٤ : ١٤٠ الطبعة الأميرية .

وإذا كانت المعاول الهدامة قد أزالَت آثار الديار فإنها لا تستطيع أن تزيل العقائد من القلوب، وقد دمرت الأوطان وأحرقت الكتب، وتفرق طلاب العلم، وفر الناس من أوطانهم ونأت بهم الديار.

فأهل الحل والعقد من آل سعود وآل الشيخ رحلوا قسراً إلى مصر، وتفرق الباقون في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية.

وكان من أبرز طلاب العلم في الدرعية في ذلك الوقت الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر^(١). وقد انتقل إلى البحرين، واتخذها مسكناً له حتي توفي - رحمه الله -.

ورغم كونه بعيداً عن موطنه ومرتع صباه لم ينسه ذلك مآثر بلاده نجداً وحنينه إلى ماضيها التليد فقد نظم قصيدة طويلة تحتوي على أربعين بيتاً يرثي بها ما حل بنجد وأهلها ويتوجع مما حصل بها، وقد أرسلها إلى زميله وصديقه الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وهو في منفاه بمصر، ومراعاة للاختصار نذكر منها الآيات التالية :

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| ١- إليك إله العرش أشكو تضرعاً | وأدعوك في الضراء ربي لتسمعا |
| ٢- فأنت ترى ما قد جرى فانتصر لنا | من الفئة البعدى عن الحق مشرعا |
| ٣- فقد ظلمونا باعتداء وجردوا | سيوف ضلال لا اهتداء لمن سعا |
| ٤- وكم قتلوا من عصبه الحق فتية | هداه أوضاء ساجدين وركعا |
| ٥- وكم دمروا من مربع كان أهلاً | فقد أودعوا الدار الأنيسة بلقعا |

(١) ولد في الدرعية سنة ١٢٠٣ هـ وتعلم على يد علمائها أيام ازدهارها فأدرك علماً غزيراً وبعد خراب الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ انتقل إلى البحرين وفيها ألف كتابه المشهور «منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب» يرد به على كتابه أحد قساوسة النصارى فيما كتبه بعنوان «مفتاح الخزان ومصباح الدفائن» وكتاب ابن معمر مطبوع وقد حققه كاتب هذه الأسطر مع وضع دراسة عنه وعن حياة مؤلفه - أثاب الله الجميع - وقد توفي الشيخ عبدالعزيز بن معمر في البحرين سنة ١٢٤٤ هـ رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

- ٦- وكم قد أحلوا من حرام ببغيهم
- ٧- فأصبحت الأموال فيهم نهائياً
- ٨- وفرّ من الأوطان من كان قاطناً
- ٩- وشتت شمل الدين وانبث حبله
- ١٠- مضوا وانقضت أيامهم حيث أورثوا
- ١١- فواحزننا من بعدهم غير أنني
- ١٢- فقد سامنا الأعداء سوم مذلة
- ١٣- على غير ذنب غير توحيد ربنا
- ١٤- وهذا اعتقاد للأئمة قبلنا
- ١٥- ألا أيها الإخوان صبراً فإنني
- وكم هتكوا ستراً حياً ممنعا
- وأصبحت الأيتام غرثى وجوعا
- وفُرق ألف كان مجتمعاً معاً
- لديهم فأضحى مستضاماً مضيعاً
- ثناءً وذكراً طيبة قد تضوعا
- رجوت إلهي أن يمد فيجمعنا
- وخسفا فظيعا قد أضر وأوجعا
- وإذا قد هدمنا للضلالة أربعا
- من السلف الهادين من كل أروعا
- أرى الصبر للمقدور خيراً وأنفعاً

والقصيدة بأكملها في كتاب (عنوان المجد لابن بشر) (١).

فعلى أثر هذه الحروف المروعة والمريرة نفي عدد من علماء نجد إلى مصر وهناك درس عدد منهم الفقه الحنبلي ودرسوه لغيرهم ومن أبرزه هؤلاء الشيوخ الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، وابنه الشيخ عبد اللطيف .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مانع :

«أخبرني شيخنا عبد الرحمن بن حسن أنه كان في مصر رجل يفتي الناس أن الطلاق الثلاث واحدة ويزعم أنه مذهب الحنابلة فكان من طلق امرأته ثلاثاً ذهب إليه ليبيحها له فنهته عن ذلك وبينت له أقوال الإمام أحمد في ذلك (٢) .

(١) ج ٢ : ٤١ ، ٤٢ الطبعة الثانية .

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ج ١ ص ٥٨ .

فهذا يدل على أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن كان له في مصر نشاط في البحث والمناقشة والجهل برأيه فلا بد أنه عَرَفَ تلاميذه بحقيقة الدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فاقتنعوا بمبادئها.

وكذلك ابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن فقد طالت مدة إقامته في مصر وتزود خلالها من العلم والبحث والمناقشة حتى بلغ درجة العلماء الكبار وحاز على إجازات علمية متعددة في علوم مختلفة.

فلتأثير هذين العالمين وغيرهما تفهم عدد كبير من أهل مصر حقيقة الدعوة السلفية واستقرت في نفوسهم ؛ لكن لعل الأحوال لم تمكنهم من الجهر بذلك.

وتذكر بعض الروايات التاريخية أنه وفد إلى مصر سنة ١٢٣٠هـ / ١٧١٥م مندوبان عن الدعوة السلفية في نجد وقابلا والي مصر آنذاك محمد علي باشا فأمر عدداً من العلماء بعضهم من علماء الأزهر بمناظرة الوهابيين.

وأنه عقد لذلك عدة اجتماعات وضح فيها مندوبا الدعوة تفاصيل الدعوة السلفية فاقتنع علماء مصر بمبادئ الدعوة وقالوا : إنها تنطبق بمجموعها على منطوق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وعلى أثر هذه المناظرة نشر علماء الأزهر بياناً أعلنوا فيه ، أنهم لم يروا شذوذاً دينياً في مبادئ الدعوة .

وأن من جملة ما جاء به المندوبان إلى مصر نسخة مخطوطة من كتاب «التوحيد» الذي ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولما اطلع عليه علماء الأزهر قالوا بلسان واحد : إذا كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا فنحن وهابيون .

ذكر هذه القصة الأستاذ عبد الكريم الخطيب في بحثه الذي قدمه لأعمال مؤتمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٠ هـ^(١).

وقد نسب هذه الرواية إلى الدكتور طه المدور نقلاً عن كتابه (الديانات والحضارات).

فإن صحت هذه الرواية فلعل الذي قام بتمثيل الدعوة السلفية في هذه المناظرة هما الشيخان عبدالله بن محمد بن بنیان والقاضي عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم آل عبد الوهاب اللذان حملا كتاب الصلح بين الإمام عبدالله بن سعود وبين طوسون بن محمد علي وذهبا به إلى محمد علي في مصر.

ويروى المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي ، أنهما وصلا إلى القاهرة في شهر شوال سنة ١٢٣٠ هـ / ١٧١٥ م ، وأنهما اجتمعا بالباشا محمد علي وتحادثا معه في بعض الأمور.

ويقول الجبرتي : اجتمعت بهما مرتين فوجدت منها انساً وطلاقة لسان وسعة في الاطلاع في مختلف العلوم والمعرفة^(٢).

كما أكد هذه الرواية مؤرخ نجد ابن بشر ، وذكر انهما رجعا من مصر وانتظم الصلح^(٣).

لكن هذا الصلح لم يدم طويلاً . فقد عادت الحرب بين الطرفين حتى سقطت الدرعية عام ١٢٣٣ هـ.

(١) كتاب بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ : ٢٤٢ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

(٢) عجائب الآثار للجبرتي ج ٤ : ٢٤٤ الطبعة الأميرية .

(٣) عنوان المجد لابن بشر ج ١ : ٢٥٠ طبعة وزارة المعارف .

ومن أنصار الدعوة السلفية في مصر الأستاذ محمد رشيد رضا^(١). صاحب مجلة المنار^(٢). فقد عمل على نشر الدعوة وألف عددا من الكتب التي ضمنها شرح مبادئ الدعوة منها كتابه «الوهابيون والحجاز» وهو عبارة عن مجموعة مقالات له عن الدعوة الوهابية نشرها في مجلتي «المنار» و «الأهرام».

يقول في أحد مقالاته :

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجددا للإسلام في بلاد نجد بارجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية . . .^(٣).

ومن مصنفات الأستاذ محمد رشيد رضا في الدفاع عن الدعوة السلفية كتابه «السنة والشيعة» أو « الوهابية والرافضة » أبطل فيه التهم التي زورها محسن بن أمين العاملي الرافضي على أهل السنة فكشف محمد رشيد رضا سوء نوايا هذا الشيعي المفتون بتحريف الأدلة من الكتاب والسنة فكان جواب صاحب «المنار» دامغاً له ولأمثاله وموضحاً سلامة مذهب أهل السنة وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبد الوهاب .

كما ساهم محمد رشيد رضا في طباعة الكثير من مصنفات علماء الدعوة والتعليق عليها فكان رحمه الله من أبرز الداعين لها في مصر وغيرها فقد ألف في ذلك جمعية سماها «دار الدعوة والإرشاد».

ومن أنصار الدعوة في مصر والداعين إليها أيضاً . الأستاذ محمد حامد الفقي ، رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية وصاحب مجلة «التوحيد» فقد أعجب

(١) ولد السيد محمد رشيد رضا في طرابلس الشام عام ١٢٨٢ هـ ثم سافر إلى مصر فأنشأ بها مجلة المنار سنة ١٣٥١ هـ وتوفي في مصر سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م.

(٢) توقفت عن الصدور في عام ١٣٥٤ هـ لوفاة صاحبها .

(٣) الوهابيون والحجاز للسيد محمد رشيد رضا ص ٦ طبعة المنار.

الفقي بالدعوة وقتنع بمبادئها وصنف فيها كتابه المشهور الذي أطلق عليه اسم «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب» .

يقول فيه : أما بعد فهذه نبذة لطيفة في بيان حقيقة الدعوة الوهابية وإمامها وشيعتها وأنصارها أقدمها في هذه الورقات راجيا أن أكون قد وفقت لإزاحة حجب الأوهام والأباطيل والأخطاء والأكاذيب عن هذه الدعوة وعن إمامها وشيعتها وأنصارها حتى يعرفها العالم الإسلامي على حقيقتها ويروها في لونها الحقيقي مجردة من الزغل والغش والخداع^(١) .

هكذا كان أثر الدعوة السلفية في مصر .

٧- آثار الدعوة السلفية في السودان:

أكثر من كتب عن الحركات الإصلاحية أو الاستقلالية في السودان التي قامت منذ أول القرن التاسع عشر الميلادي يربط هذه الحركات بتأثر أصحابها بالدعوة السلفية التي نادى بها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .

ومن أبرز النشاط في هذه الحركات التي قامت في السودان الحاج عثمان دان فوديو أحد أبناء قبيلة الفولاني السودانية .

يقول الكاتب الأمريكي «لوثر وب ستودارد» في كتابه «حاضر العالم الإسلامي»^(٢) .

أما في السودان فقد كان الداعية الوهابي الشيخ عثمان دان فوديو . . . فإنه بعد التقائه بالوهابيين في موسم الحج وبعد اعتناقه للمبادئ الوهابية عاد إلى بلاده وأخذ

(١) الدعوة الوهابية للسيد محمد حامد الفقي ص ١ ، ٢ .

(٢) ج ٣ : ٣٣ ترجمة نويهض .

يحارب البدع الشائعة بين عشيرته وقومه ويعمل للقضاء على بقايا الوثنية وعبادة
الأموات . . .

وبعد عودة الحاج عثمان إلى بلاده وتأثره بما أطلع عليه من مبادئ الدعوة
السلفية بدأ يحارب البدع والخرافات وآثار الوثنية في السودان ، وينهى عن دعاء
أصحاب القبور ويرشد الناس إلى تعاليم الإسلام والعقيدة الصحيحة ، وبعد تأليف
الأنصار والأتباع استطاع أن يقيم سلطنة (سوكوتو) التي حكمت في السوادن نحو
قرن من الزمان حتى أسقطها الإستعمار الأوربي^(١).

وقد ظل أكثر السودانيين محافظاً على صحة العقيدة عقيدة السلف الصالح من
هذه الأمة إلى اليوم .

أما الدعوات الأخرى التي قامت في السودان فإن الغالب منها عليها مسحة
صوفية تخالف ما دعا إليه الإمام محمد بن عبد الوهاب .

٨- آثار الدعوة السلفية في الغرب العربي:

تشير أكثر المصادر التاريخية إلى أن أول من نقل مبادئ الدعوة السلفية إلى بلاد
المغرب هو محمد بن علي السنوسي الخطابي المولود في بلدة (ستغانم) بالجزائر سنة
١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م .

وفي أحد مواسم الحج حضر هذا الرجل إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وطلب
العلم على يد علمائها . وقد وافق هذا الموسم وقت استيلاء دولة التوحيد (الدولة
السعودية الأولى) على بلاد الحرمين فشارك عدد من علماء الدعوة الحجاج في أداء
مناسك الحج واختلطوا بهم وأطلعوهم على حقيقة الدعوة السلفية وشاهد الحجاج
ما عليه حال أئمتها واقتنعوا بما يدعون الناس إليه .

(١) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ : ٣٢٩ .

محمد بن علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية في المغرب واحد من أولئك الحجاج الذين تأثروا بمبادئ الدعوة ونقلوها إلى بلادهم ؛ رغم ما يحاك حول الدعوة من دعاية سيئة من قبل الدولة العثمانية وأعوانها الذين سخرتهم الدولة لهذا الغرض واشترتهم بالمال .

ومحمد السنوسي - رحمه الله - طائر التقط الحبة وأفلت من شبكة الصياد . فقد عاد إلى بلاده الأولى الجزائر ، وبدأ بحركته المعروفة بالسنوسية وقد أخذت هذه الحركة بالانتشار حتى عمّت جميع أقطار المغرب العربي من الجزائر حتى بلاد السودان .

يقول الدكتور محمد عبدالله ماضي في كتابه « النهضة الحديثة في جزيرة العرب »^(١) :

فالسيد محمد بن علي السنوسي مؤسس الحركة السنوسية كان في مكة يطلب العلم وقت استيلاء الوهابيين عليها فعاشرهم ، وتعلم على علمائهم ، وتأثر بمذهبهم ثم عاد إلى الجزائر وابتدأ حركته الإصلاحية .

وقد انتشرت هذه الدعوة انتشاراً واسعاً وساهمت في نشر مبادئ الإسلام ومقاومة التنصير المسيحي في كثير من البلدان وتخرج منها علماء ودعاة وأدباء كان لهم نشاط ملحوظ في بلاد المغرب كلها أمثال عبد الحميد بن باديس ، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وخير الدين ثابت التونسي ، وعمر المختار وغيرهم من دعاة الإصلاح ومحاربة الفساد .

والحركة السنوسية تشبه الدعوة السلفية من حيث دعوة الناس إلى نبذ البدع والخرافات والرجوع بالإسلام إلى مصدره الحقيقي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . لكنها تختلف عنها في كثير من الأمور .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد - رحمه الله - :

تشابه الدعوة الوهابية والدعوة السنوسية في حماس الدعوات البادية وفي نبذ البدع والخرافات والرجوع بالإسلام إلى الكتاب والسنة ولكنهما تختلفان بعد ذلك في أمور كثيرة (١).

وتذكر بعض الروايات : أن أول من حمل لواء الدعوة السلفية إلى الجزائر هو المؤرخ الجزائري أبو رأس الناصري الذي جاء إلى مكة للحج ضمن الحجاج المغاربة واجتمع بأحد علماء الدعوة السلفية وتباحثا في أمور كثيرة انتهى بعدها أبو رأس إلى الاقتناع بمبادئ الدعوة السلفية وصحة توجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته (٢).

وقد أثنى هذا المؤرخ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب عندما دون تفاصيل رحلته للحج بعد عوته إلى الجزائر وأخذ ينشر مبادئ الدعوة السلفية هناك . وقد انتفع الناس بهذه الدعوة في سائر بلاد المغرب وآثارها واضحة لدى أهل المغرب .

٩- آثار الدعوة السلفية في إفريقيا :

القارة الإفريقية من أكبر القارات الأرضية ، وسكانها أجناس مختلفة ونسبة المسلمين من سكانها قليلة وتمسك بعضهم بالإسلام والالتزام بشعائره ضعيف فقد اكتفى بعضهم بالإسم فقط ، حيث سادت بينهم عادات سيئة وتفشت فيهم الإباحية البشعة وفي العقائد عبدوا الأوثان وقدسوا أصحاب القبور وانتشرت بينهم البدع والخرافات التي أبعدتهم عن أصول الإسلام وعقيدة التوحيد .

(١) الإسلام في القرن العشرين ص ٨١ . لعباس محمود العقاد

(٢) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ : ٤٩٧ - ٤٨٠ .

وبينما هم كذلك في غفلة وضياح وضلال هبت رياح الفطرة الصحيحة في نفس واحد منهم وهو عثمان بن فودي . أحد أبناء قبيلة «الفولاني» المعروفة في غرب أفريقيا .

ولد الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان فودي سنة ١١٨٦هـ / ١٧٥٤م ونشأ في أسرة طيبة محافظة على شعائر الدين الإسلامي وتعلم على يد والده وعلى الشيخ جبريل بن عمر الذي أدى فريضة الحج سنة ١٢١٠هـ واجتمع ببعض دعاة الدعوة السلفية ودرس بعض مؤلفات مؤسس الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتأثر بها وجعل يدرسها للناس في بلاده ^(١) .

وعثمان بن فودي واحد من أولئك النفر الذين درسوا مبادئ هذه الدعوة على يد الحاج جبريل . تتلمذ عثمان فودي على يد هذا العالم ، ونقل عنه أفكار الدعوة السلفية وما تدعو الناس إليه وهو إصلاح عقيدة التوحيد والعودة بالمسلمين إلى عقيدة الإسلام الصحيحة المأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه سلف هذه الأمة . فآثر ذلك في نفس عثمان وأسرع بالذهاب إلى مكة عام ١٢٢٠هـ وبعد تأديته لمناسك الحج اجتمع بعدد من علماء الدعوة السلفية وتعلمذ عليهم وأكثر من مطالعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونسخ عدداً منها ، وقد بقي على هذه الحال سنة أمضاها ما بين مكة والمدينة حصل خلالها على قدر كبير من العلم والمعرفة .

بعد ذلك عاد الشيخ عثمان بن فودي إلى بلاده غرب أفريقيا وجند نفسه للدعوة إلى توحيد الله وإفراده في العبادة .

وقد نهج عثمان في دعوته منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب فبدأ أولاً بالقاء المواعظ والإرشاد ثم الجلوس للتدريس وتدريب الدعاة ، ثم التأليف والكتابة وبعث

(١) أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ : ٣٥٠ - ٣٥٣ .

الرسائل وهكذا حتى اشتهر أمره وكثر أتباعه واتسع نطاق دعوته فتركت هذه الدعوة أثراً عظيماً وطيباً في جميع أحوال المسلمين في نيجيريا وغرب إفريقيا كلها فقد أعادت أكثر سكان هذه المناطق إلى طريق الإسلام الصحيح، وقضت على مظاهر الشرك والوثنية والبدع والخرافات التي كانت سائدة في تلك البلاد.

كما ساهمت بشكل واضح في المد الإسلامي في القارة الإفريقية، ورفض دعاوى التنصير المسيحي، الذي تقوم به بعض الحملات الصليبية في هذه القارة.

فدعوة الشيخ عثمان فودي في هذه القارة ثمرة من ثمرات الدعوة السلفية التي أسسها الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأثر من آثارها الحميدة.

١٠- آثار الدعوة السلفية في الهند :

قلنا فيما سبق إن أنسب مكان وزمان لنشر الدعوة السلفية هو موسم الحج حيث يلتقي دعاة الدعوة بكبار الحجاج من مختلف الأقطار الإسلامية يشرحون لهم مبادئ الدعوة السلفية التي هي مبادئ الإسلام الصحيحة.

ومن بين هؤلاء الحجاج الذين تأثروا بها بعض حجاج مسلمي الهند فقد اقتنعوا بالدعوة وحملوا أفكارها إلى ديارهم مندرين.

ففي عام ١٢٣٦ هـ جاء إلى مكة عالم هندي يدعى (السيد أحمد خان) لأداء فريضة الحج فالتقى ببعض أنصار الدعوة وأطلعوه علي حقيقة ما يدعون الناس إليه فاستحسن ذلك واقتنع به، وعقد العزم على نشرها في بلاد الهند ودعوة الناس إلى التوحيد الذي هدمته معاول الشرك والوثنية.

فقام السيد أحمد خان بدعوته الإصلاحية التي طرقت معظم المناطق الهندية يدعو الناس إلى ضرورة التمسك بالإسلام وتنقيته من البدع والخرافات فوجدت

هذه الدعوة أنصاراً وجماعات في الهند جندوا أنفسهم لحمايتها ونشرها في بلادهم .

وقد استطاع هذا الداعية ، وأتباعه أن يؤسسوا دولة إسلامية في ولاية البنجاب الهندية قضت على معالم الشرك والوثنية هناك ، وعاشت هذه الدولة حتى تحامل عليها الإستعمار الإنجليزي فأسقطها خوفاً من امتداد نفوذها إلى سائر بلاد الهند^(١) .

وبعد ذلك قام داعية آخر هو (صديق حسن خان)^(٢) ، ملك «بهوبال» الهندية ومؤسس حركة أهل الحديث في الهند . فقد جاء هذا الرجل إلى بلاد الحجاز واليمن وأمضى فترة من الزمن يطلب العلم على يد علمائها .

ففي مكة التقى بعدد من علماء الدعوة السلفية ، وتلمذ عليهم ، واقتنع بصحة ما يدعون الناس إليه .

وفي اليمن التقى بالمحدث والمفسر اليمني الإمام محمد بن إسماعيل الشوكاني ، وتلمذ عليه ومن خلال هذه الدراسة ، وبما اطلع عليه من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأثر صديق حسن بهذين العالمين ، وبالدور الذي قاما به في سبيل الدعوة إلى الله .

وعندما عاد إلى بلاد سنة ١٢٧٨ هـ عقد العزم على نشر الدعوة السلفية في بلاد الهند على طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبذل في سبيل ذلك جهداً كبيراً في الدعوة إلى الله وتأليف الكتب وطباعتها وبذلها للناس فأثر ذلك كله في

(١) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ج ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ الرياض .

(٢) ولد هذا الداعية سنة ١٢٤٨ هـ وتعلم على يد علماء الهند والحجاز واليمن وألف عدداً من الكتب وساهم في طباعة مجموعة من الكتب في العلوم الشرعية ووزعها في بلاد العالم الإسلامي وتولى رئاسة حكومة (بهوبال) في الهند أربع عشرة سنة . وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ .

تصحيح العقيدة ونبد البدع والخرافات في مواقع مختلفة من بلاد الهند ، وقد بقى السيد صديق حسن خان على هذه الحال حتى توفي سنة ١٣٠٧ هـ - رحمه الله - .

كما قام يحمل لواء الدعوة السلفية في الهند داعية آخر وهو الشيخ نذير بن حسين الدهلوي مجدد السنة النبوية في القارة الهندية ، وشيخ علماء الهند فقد التف حوله كوكبة من التلاميذ الذين ساهموا في نشر الدعوة وفتحوا مئات المدارس الدينية التي غرست العقيدة الإسلامية الصحيحة في قلوب الشباب عدة المستقبل ، وقد عذب الشيخ نذير وأتباعه وسجن في روالبندي سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ م وتوفي سنة ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م .

يقول الشيخ عبد العليم عبد العظيم البستوي في تعليقه على كتاب «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» يقول :

لقد قام الشيخ نذير بن حسين الدهلوي هو وتلاميذه بحركة إسلامية صحيحة لا يوجد لها نظير إلا نادراً وقد عذب كثيراً في سبيل نشر التوحيد والدعوة وسجن بتهمة الوهابية^(١) انتهى .

وكلما حاول المستعمر الصليبي ودعاة السوء القضاء على هذه الحركات الإصلاحية قبض الله لها من دعاة الحق من يعيد نشاطها ويرفع رايتها من جديد .

فعلى يد أحد تلاميذ الشيخ نذير الدهلوي برز عالم هندي اسمه الشيخ محمد بشير السهسواني يحمل فكر شيخه نذير الدهلوي ويسير في طريق دعوته .

جاء الشيخ محمد السهسواني إلى مكة حاجاً والتقى بأحد معارضي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو أحمد بن زيني دحلان ، وناقشه في أكاذيبه

(١) محمد بن عبد الوهاب للشيخ مسعود الندوي ، ص ٨٢ .

وافترأته على الشيخ محمد ، فوجدها مجرد تخيلات وأوهام أملاها على أحمد الحسد والهوى ، وتحقيق رغبة بعض ولاية السوء . ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) .

ولما عاد الشيخ محمد السهسواني إلى الهند ، ورأى تمسك بعض الجهال ودعاة الضلال بما لفته أحمد زيني دحلان من الكذب والبهتان على شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب في رسالته « الدرر السنية في الرد على الوهابية » رأى الشيخ محمد بشير السهسواني أن الحاجة ملحة إلى كشف أباطيل دحلان فرد عليه بكتاب سماه . « صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان » (٢) فكان رده - رحمه الله - كافياً شافياً نقض فيه كل ما نسجه دحلان من الكذب والبهتان .

وقد بقي الشيخ محمد بشير السهسواني داعية نشط في ديار الهند ينشر العقيدة الصحيحة ، ويدافع عن دعاة الإصلاح ، ويحارب البدع والشرك حتى توفي في دهلي بالهند سنة ١٣٢٦ هـ (رحمه الله) .

كما برز داعية آخر من أهل الهند تحمل هموم الدعوة الإصلاحية ، ودافع عنها نصراً للحق وأداءً للواجب .

وهو الشيخ مسعود بن عالم الندوي فنظر فيما يقول الناس حول الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ودعوته ، وهم ما بين قاذح ومادح ، وبذل جهداً كبيراً في تحقيق ما عورض به الشيخ محمد فلما تبين له وجه الحق فيها ، وصواب ما دعا الناس إليه ، واكتشف كذب ما افتراه عليه خصومه من دعاة السوء . ألف الشيخ مسعود كتاباً عن حياة الإمام محمد بن الوهاب ، وأطلق عليه اسم : « محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه » كتبه باللغة الأردية .

(١) سورة الصف : ٨

(٢) طبع هذا الكتاب في مصر .

وقد وفق الشيخ مسعود في مناقشة المسائل التي عورض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب من قبل مخالفيه ، وأثبت أن الصواب فيما ذكره الشيخ محمد . ، ونفى الشيخ مسعود بوضوح تام ما افتراه دعاة السوء ببراهين قاطعة شهد بها أعيان المسلمين وغيرهم .

كما ساهم في تعريب هذا الكتاب والتعليق عليه عالم هندي اسمه عبد العليم عبد العظيم البستوي - جزى الله الجميع خير الجزاء^(١) .

وهكذا انشرت الدعوة السلفية في القارة الهندية على أيدي هؤلاء الأعلام ، تأثروا بها فاتخذوا منها سبيلاً إلى حركاتهم الإصلاحية ضد الفساد والبدع والخرافات .

يقول الدكتور إبراهيم الشريقي : إن دعوة الشيخ المصلح الكبير محمد بن عبد الوهاب قد أيقظت الشرق العربي والإسلامي وظلت مصدراً لجميع الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي ، خلال القرون الأخيرة^(٢) .

ويقول الدكتور محمد عبدالله ماضي : غزت الدعوة الوهابية بعض المقاطعات الهندية بواسطة أحد الحجاج الهنود فلما التقى بالوهابيين في مكة اقتنع بصحة ما يدعون إليه وأصبح من دعاة المذهب^(٣) .

١١ - آثار الدعوة السلفية في إندونيسيا :

قدمنا في أكثر من موضع من هذا الكتاب أن من الأسباب الرئيسية في انتشار الدعوة السلفية ، ونقل أفكارها من قطر إلى آخر هي مواسم الحج .

(١) طبع هذا الكتاب باللغة العربية في مكة سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

(٢) أضواء على الخليج العربي ص ٣٠ .

(٣) النهضة الحديثة في جزيرة العرب ص ٦٧ .

حيث يلتقي عدد كبير من الحجاج بعلماء الدعوة ورجالها فيطلعوا على ما هم عليه من الفضل والعلم وصفاء العقيدة ، وما تهدف إليه دعوتهم السلفية إذ ليس من رأى كمن سمع . وعندما يعود هؤلاء الحجاج إلى ديارهم وقد تأثروا بمبادئ الدعوة يحاولون تصحيح ما غلط فيه قومهم في أمور العقيدة ، ويدعونهم إلى أخذ شعائر الإسلام وعقائده من مصادرها الأصلية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما فعل السلف الصالح من هذه الأمة .

فبعد انقضاء موسم حج عام ١٢١٨ هـ ١٨٠٣ م عاد أحد حجاج مسلمي إندونيسيا إلى بلاده « جزيرة سومطرة » متأثراً بمبادئ الدعوة السلفية ، وأخذ على عاتقه مهمة نشرها بين الإندونيسيين .

كما نقل مبادئ الدعوة أيضاً تجار حجازيون سافروا إلى هذه الجزيرة من أجل التجارة وقضوا بذلك وقتاً طويلاً خالطوا فيه أهل هذه الجزيرة فأثروا فيهم وغيروا بعض المفاهيم العقائدية الخاطئة .

فبهذا السبب وذلك انتقلت الدعوة إلى إندونيسيا وانتشرت على أيدي دعاة حرصوا على تصحيح عقيدة التوحيد ومحاربة البدع والخرافات الوثنية ودعاوى الصوفية الباطلة التي تسحر قلوب عشاقها من فنون الخيال والشاعرية الحاملة .

وعندما رأى أعداء الإسلام سرعة انتشار الدعوة في اندونيسيا وكثرة أتباعها وقفوا في وجهها شأن كل حركة إصلاحية .

ورغم قوة المعارضين الذين تدعمهم القوى الإستعمارية الهولندية النصرانية بقي معظم سكان هذه الجزيرة متمسكون بإسلامهم وبعقيدتهم الإسلامية الصحيحة .

كما ظلوا على اتصال مستمر مع رجال العلم والفكر في الجزيرة العربية ، وبخاصة بلاد الحرمين مركز الإسلام ومنبع رسالته .

ومن أبرز أوجه التعاون والدعم ما قامت به حكومة المملكة العربية السعودية من افتتاح معهد إسلامي في « جاكرتا » عاصمة إندونيسيا يشتمل على جميع مراحل التعليم من المرحلة الابتدائية حتى الجامعية يدرس فيه عدد كبير من أبناء المسلمين في إندونيسيا من الجنسين في مختلف التخصصات الشرعية والعربية والاجتماعية، وتشرف عليه فنيا ومالياً جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

هذه لمحة سريعة عن انتشار الدعوة السلفية ، وتأثيرها في أقطار العالم الإسلامي ولا يعني هذا اقتصار تأثير الدعوة على الأقطار التي أشرنا إليها ؛ بل إن تأثيرها قد شمل معظم أنحاء العالم ؛ في إفريقيا ، وأوروبا ، وأمريكا ، ودول شرق آسيا ؛ في تايلاند والفلبين واليابان والصين ، وغيرها ، وأصبح لها دعاة في هذه الأقطار ينشرون الوعي الإسلامي بين المسلمين ؛ يشبتونهم على التمسك بعقيدتهم الإسلامية الصحيحة وتنشئة أبناء المسلمين عليها .

أجزل الله الأجر والثواب لإمام هذه الدعوة المباركة ، وجعل التسديد ، والتوفيق والنجاح حليف دعائها والقائمين عليها .

وفي الحديث النبوي الشريف (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) رواه البخاري ومسلم .

الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة التي تناولنا فيها سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ودعوته السلفية المباركة التي ظهرت في نجد في منتصف القرن الثاني عشر الهجري الموافق لمنتصف القرن الثامن عشر الميلادي ، وآزره على نشرها والدفاع عنها الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن المتوفى في الدرعية عام ١١٧٩ هـ ، في وقت اشتدت الحاجة فيه إلى مثل هذه الدعوة الإصلاحية حيث انتشر الجهل والشرك ، وتعلق الدهماء من الناس بالبدع والخرافات وتخيلات الصوفية ، وقل التمسك بأصول الدين ، وشعائر الإسلام . وقد ذكرنا تفاصيل ذلك في أول هذا الكتاب في مبحث التمهيد .

وفي الكلام عن حياة الشيخ محمد - رحمه الله - تحرينا الصواب في ذكر نسبه ومولده ونشأته ، وأثبتنا في فصل رحلات الشيخ محمد وشيوخه وعلمه ما صح من ذلك برواية الثقات من المؤرخين والعلماء وأبناء وأحفاد الشيخ ، وعارفه ، ووثقنا ذلك كله بالأدلة ، والأقوال وأحلنا القارئ إلى مواضعها للتوثيق ، ولمن يريد المزيد .

كما نفينا بشدة ما لفته بعض الكتاب والمستشرقين من أن الشيخ محمداً قد رحل إلى أقطار عديدة في بلاد فارس والترك ، والشام ، ومصر ، ودرس خلالها علوماً مختلفة في الكلام والمنطق والفلسفة والتصوف والفلك على أيدي أهل المعرفة بهذه العلوم .

وقد ناقشنا هذه الدعوى الكاذبة ، ونفيناها بالحجة والبرهان ، وكلام صاحب الشأن . فقد نفى الشيخ محمد نفسه أن يكون له معرفة في هذه العلوم فضلاً عن الدعوة إلى معرفتها يقول - رحمه الله - في رسالة بعثها إلى أحد مشايخه في الأحساء ؛ الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي المتوفى سنة ١١٨١ هـ .

يقول الشيخ : ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو متكلم . . . ثم ذكر قول ابن عبد البر - رحمه الله - في ذلك فقال : أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأعصار أن أهل الكلام أهل بدع ، وضلالات لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء . . . إلى آخر الرسالة ^(١) .

كما انتقد الشيخ محمد فعل جماعة اجتمعوا في «معكال» ^(٢) يقرأون كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي ومعلوم للجميع أن ابن عربي من أئمة القائلين بوحدة الوجود ، وفكره ومذهبه مرفوضان بالإجماع من قبل علماء المسلمين .

فمن هنا علم بطلان دعوى سفر الشيخ إلى الأقطار التي أشرنا إليها وتلقيه هذه العلوم المذمومة .

كما بينا في هذه الدراسة عقيدة الشيخ محمد في أصول الدين وفروعه ، وأنها عقيدة أهل السنة والجماعة ، على ما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة ؛ وهو اعتقاد وحدانية الله عز وجل وإلهيته ، وانفراده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ، والإخلاص له في العبادة فلا يُدعى إلا الله ولا يستغاث إلا به ولا يذبح إلا له ، ووصفه بصفات الجلال والكمال على ما يليق به سبحانه .

ويعتقد أن القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ويؤمن بعذاب القبر ونعيمه والبعث والحساب والجزاء وأن المصير إما إلى جنة أو نار وأنهما مخلوقتان موجودتان ، وقد نوه عن ذلك بوضوح في رسالة بعثها إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته فأجابهم بقوله :

(١) الدرر السنية ج ١ : ٣١ طبعة دار الإفتاء .

(٢) معكال : حي من أحياء مدينة الرياض

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره . . إلخ (١) .

كما أكد هذا الاعتقاد ابنه عبدالله حينما دخل مكة سنة ١٢١٨ هـ صحبة الإمام سعود بن عبد العزيز واجتمع بعلماء مكة وذوي الشأن من أهل الحرم ، وقد سئل عن أمور تتعلق بالعقيدة فأجاب بقوله : فأخبرناهم بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكام . . . إلخ (٢) .

هذا معتقد الشيخ محمد في أصول الدين .

فماذا يحتج من يفترى على أصحاب هذه الدعوة بأنهم خوارج أو بأن مذهبهم لا أصل له في الدين الإسلامي : سبحانه هذا بهتان عظيم .

وقد بسطت الكلام عن هاتين المسألتين وأشباههما في موضعه من هذا الكتاب .

أما مذهب في الفروع ؛ وهو التطبيق العملي في العبادات والمعاملات فهو على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني عدا ما ثبت فيه دليل من كتاب الله وسنة رسوله ويؤيد برأي صحيح من أحد أئمة الإسلام الموثوقين فإن الشيخ ، وأتباعه يخالفون المذهب ويعملون بمقتضى الدليل الصحيح .

وقد نوه عن ذلك ابنه الشيخ عبدالله بقوله : ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة . . . إلى أن قال :

(١) الدرر السنية ج ١ : ٢٨ طبعة دار الإفتاء .

(٢) الدرر السنية ، ج ١ : ١٢٦ .

ونستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتمدة . . . وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين . . إلى آخر ما جاء في رسالته^(١) .

كما عرّفنا في هذه الدراسة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الدعوة السلفية المباركة - وكيف بدأت والأساليب التي استخدمها الشيخ - رحمه الله - في تبليغها للناس ، وجلب قلوبهم لتقبلها والدعوة إليها ، وما لقيه في سبيل ذلك من التكذيب والتجهيل فصبر واحتسب متأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم في أول البعثة النبوية ، وما لقيه من الأذى من كفار قريش .

فذكرنا أن البداية الفعلية للدعوة كانت في حريملاء بعد وفاة والده الشيخ عبد الوهاب سنة ١١٥٣ هـ حيث بدأ بتأليف الكتب وبعث الرسائل الشخصية ومن أشهر ما كتبه في تلك الفترة «كتاب التوحيد» ، و«كشف الشبهات» وجعل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ولما اشتد عليه الأذى وتعرضت حياته للخطر انتقل إلى بلدة العيينة ، واتفق مع أميرها عثمان بن حمد بن معمر على نشر الدعوة إلى الله وإخلاص العبادة له ، والتعاون على إزالة آثار الشرك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لكن الأمير عثمان بن معمر تعرض لضغوط سياسية ومالية من قبل حاكم الأحساء آنذاك سليمان بن محمد بن غرير الخالدي فأخرج عثمان ، واضطر الشيخ محمد إلى ترك العيينة والتوجه إلى بلد ليس لابن غرير عليها يد (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)^(٢) اتجه إلى بلده الدرعية .

(١) الدرر السنية ج ١ : ١٢٦ .

(٢) الآية ١٧ الأنفال .

وقد نفينا بشدة ما قيل : إن عثمان بن معمر ألزم الشيخ بالرحيل عن العيينة وأنه أمر فرسانه بقتل الشيخ في ثنايا الطريق فهذه الدعوى لم تثبت وقد نفاها المؤرخ عثمان بن بشر نفسه ^(١).

وعندما وصل الشيخ الدرعية اتصل بالإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن أمير الدرعية فرحب به أشد ترحيب وقال له : أبشر بالعز والمنعة.

وقد قيض الله لهذه الدعوة من يحميها وينشرها كما قيض لرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، على يد الأنصار رضوان الله عليهم . (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) ومن العبادات الخالدة التي تبودلت بين الإمام محمد بن سعود ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في هذا اللقاء التاريخي المبارك : ما قاله الإمام محمد بن سعود :

يا شيخ نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترتحل عنا ، وتستبدل بنا غيرنا ^(٢).

فأجابه الشيخ بقوله : أبسط يدك بالدم والهدم بالهدم ، وأنا أبشرك بالعز والتمكين ، والنصر المبين ، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد ، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك ، والجهل ، والفرقة ، والإختلاف ، وقتال بعضهم بعضاً . فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك . . إلخ ^(٣).

وقد حقق الله هذا الرجاء فلم ينته القرن الثاني عشر الهجري إلا وقد بسطت الدولة السعودية الأولى ولايتها وسلطانها على جميع بلدان نجد والأحساء وتهامة

(١) عنوان المجلد لابن بشر ج ١ : ٢٣ طبعة وزارة المعارف السعودية .

(٢) تاريخ نجد لابن غنام ص ٨١ تحقيق ناصر الدين الأسد .

(٣) عنوان المجلد لابن بشر ج ١ : ٢٤ طبعة وزارة المعارف .

عسير ، وتوسعت فيما بعد حتى بلغت أنحاء الجزيرة العربية بما في ذلك بلاد الحرمين الشريفين .

وقد سبق أن ذكرنا قول أحد المفكرين العرب ^(١) :

إن الدعوة الوهابية في نجد لو لم تحارب بأسلحة لا عهد لأهل نجد بها من قبل دولتين كبيرتين لاستطاعت هذه الدعوة أن توحد العرب في دولة تعيد مجد الإسلام إلى عهده الأول .

وقد بقي ملوك هذه الدولة المباركة من ذرية الإمام محمد بن سعود منذ مائتين وستين سنة حتى الآن كلما ذهب سيد قام سيد آخر ، غفر الله لسلفهم ، وجعل الخير والبركة والتوفيق في خلفهم .

ومن هذا التناصر والتعاون بين الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبد الوهاب بدأ تاريخ الدعوة السلفية .

ومن مدينة الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى بدأ التطبيق العملي لنشر الدعوة وإزالة مظاهر الشرك والبدع والخرافات .

وقد قدّمنا في هذه الدراسة أن الدعوة أخذت في الانتشار من عدة مسارات فانطلقت الرسائل والوفود نحو الشرق حتى بلغت رأس الخيمة على الخليج العربي ونحو الغرب حتى شملت بلاد الحرمين بخاصة والحجاز بعامة ، ونحو الشمال حتى بلغت بوادي الشام والعراق ونحو الجنوب حتى أبواب صنعاء .

ورغم انتشار الدعوة في جميع هذه الديار والأقطار وتفهم الناس لمبادئها وأهدافها إلا أنه قد وقف في وجهها معارضون ومخالفون وألفوا في ذلك رسائل

(١) الدكتور طه حسين في كتابه «ألوان» ص ٤٥ .

وكتب حشرها بالكذب والإفتراء وكان سببها الدعاية السيئة من بعض المغرضين ممن ينتسب إلى العلم والدين أو من ذوي النفوذ والسلطان خوفاً على مراكزهم الاجتماعية أو حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم أنه الحق .

وفي هذه الدراسة تناولنا أهم الشبه التي أثرت حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية المباركة ، وبعد التدقيق في مصادر هذه الشبه ومناقشتها لم يثبت منها شيء ؛ لأنها مجرد دعاوى وإفتراءات لفقها أناس لم يقصدوا بها وجه الله ، وقد ردينا على ذلك بالحجج والبراهين لئلا يغتر بها أحد من المسلمين .

وأكثر هذه الشبه والمفتريات عندما سئل عنها الشيخ محمد نفسه أجاب عنها بقوله : (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ) .

كما سئل عنها ابنه الشيخ عبد الله عندما دخل مكة صحبة الأمير سعود بن عبد العزيز سنة ١٢١٨ هـ واجتمع بعلماء مكة وكبار الحجاج وذوي الشأن من أهل الحرم فعدد الشيخ عبد الله هذه الشبه والمفتريات واشباهها وقال : لما استفهمنا من ذكر كان جوابنا في كل مسألة من ذلك : سبحانك هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسب به إلينا فقد كذب علينا وافترى^(١) ، انتهى .

وقد كانت العاقبة الحميدة - ولله الحمد - لأهل الدعوة ومناصريها ، وعم نفعها وعز شأنها وهي باقية - إن شاء الله - إلى قيام الساعة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

أما المعارضون لها والكاذبون على أهلها فقد اضمحل أمرهم ونسي أثرهم ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(٢) .

(١) الدرر السنية ج ١ : ١٢٨ طبعة دار الإفتاء .

(٢) الإسراء : ٨١

ولولا أننا نسمع بين حين وآخر من يجتر بعض عباراتهم وآفاظهم لما أثرنا هذه الأكاذيب والمفتريات ولكن ذكرناها مع الرد عليها خشية أن ينخدع بها من لا يعرف حقيقتها .

كما تناولنا في هذه الدراسة جانباً آخر مما كتب عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته فذكرنا طرفاً من ثناء العلماء والأدباء والكتاب من العرب وغيرهم ليعرف القارئ قيمة هذه الدعوة في نظر خاصة القوم وعامتهم ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليعرف سفاهة وجهل من عارضها ورفضها فبضدها تتميز الأشياء .

لا سيما وقد صدر هذا المدح والثناء من عالية القوم؛ من علماء أجلاء ثبتت علميتهم وثقتهم أمثال الصنعاني ، والشوكاني ، وابن غنام ، وابن بشر ، والألوسي وغيرهم أو أدباء ومفكرين ومؤرخين ثقات أمثال الجبرتي ، وأبوراس الناصري والزركلي ومحمد حامد الفقي ومحمد رشيد رضا وغيرهم .

منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته السلفية:

كما تناولنا في هذه الدراسة أهم جوانب هذه الدعوة وهو المنهج الذي سار عليه الشيخ محمد - رحمه الله - فقد كان تحقيق التوحيد القضية الكبرى التي كانت تشغل باله ومن أجلها قام بدعوته المباركة لمحاربة الشرك والقضاء على آثاره بجميع صورته وأشكاله .

ومن خلال هذه الدراسة وقفنا طويلاً عند رسائله ومؤلفاته ومنها استخلصنا حرصه الشديد على هداية الناس وإرشادهم وتعليمهم وذودهم عن مراتع الهلكة .

فبدأ أولاً في مخاطبة العلماء والمنتسبين إلى العلم والسلطان وذوي الشأن يذكرهم ويطلب منهم الوقوف في جانبه ، وخصَّ وعمَّ وبعث الرسائل وألف الكتب .

وكان - رحمه الله - يستعين في إقناع الناس وصحة ما يدعوا إليه بإيراد النصوص الصريحة من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويبين مفهوم السلف الصالح لدلولها وكلام علماء الإسلام عليها حتى لا يبقى لأحد حجة .

وكان - رحمه الله - يقيم الحجة على مَنْ خالفه بذكر أقوال أصحاب مذهبه وما ذكره في كتبهم . يقول في إحدى رسائله :

إني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصَّى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وأقول لهم الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئاً لكن إذا عرفتم كلام رسول الله الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالف أكثر الناس . . . إلخ^(١) .

ومن خلال مجموع رسائله الشخصية وآثاره العلمية نستخلص أهم جوانب منهجه في دعوته للناس وهي كما يلي :

- ١- اعتماده كلياً على ما ورد في كتاب الله عز وجل .
- ٢- الإعتماد على ما صحَّح من السنة النبوية والآثار الواردة فلم يطعن - ولله الحمد - في أي دليل احتج به رغم كثرة استدلاله ، وتعدد موضوعات مؤلفاته .
- ٣- معرفته لمعنى الدليل حسب مفهوم السلف الصالح له .
- ٤- احترام آراء علماء الإسلام الموثوقين مثل الأئمة الأربعة وشيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم وأئمة الحديث والتفسير والفقه المعبرين .
- ٥- عدم إثارة أي قضية أو مسألة إلا بعد معرفتها بعمق وتصوير تام .
- ٦- التحدث في الأمور الواقعة دون الخيال .
- ٧- مناقشة المسائل بموضوعية وتؤدة مع تحديد موضع الخلاف ، والهدف .
- ٨- الدخول في الموضوع مباشرة ، مع مراعاة الاختصار على قدر الحاجة .

(١) مجموع رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٠ ، ١٢ طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

- ٩- استعمال الألفاظ الفصيحة .
- ١٠- خلو آثاره العلمية من الألفاظ المأجنة والأشعار التي فيها تغزل وابتذال .
- ١١- نسبة الأقوال والآراء إلى أصحابها والإحالة عليها في مصنفاتهم .
- ١٢- عدم التعصب لرأيه أو الإلتزام بقول مذهبه فيما خالف الدليل الصحيح بل كان رأيه دائماً مع الدليل الصحيح والرأي السديد .
- ١٣- مخاطبة كل شخص بما يناسب مستواه الفكري والثقافي فقد وجد في بعض رسائله ألفاظ عامية مع ثبوت فصاحة لسانه وسلامة منطق له لكنه ذكر هذه الألفاظ غير الفصيحة تنزلاً لمستوى المخاطب .
- ١٤- الاحتجاج على المخالف بما في كتب مذهبه ، وأقوال شيوخه .
- ١٥- عرض قضايا السلوك والآداب الإسلامية بأسلوب تربوي مما كان له الأثر الطيب في نفس المتلقي .
- ١٦- الثناء على صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه والترضي عنهم والكف عما شجر بينهم .
- ١٧- الثناء على عامة العلماء بالترحم عليهم وسؤال الله العفو عن أخطائهم وزلاتهم .
- ١٨- تخول الناس في النصيحة والإرشاد كلما دعت الحاجة إلى ذلك .
- ١٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة على انتهاك محارم الله .
- ٢٠- العفو والتسامح عمن أساء إليه ، وعدم الانتصار لنفسه .
- ٢١- الحرص الشديد على هداية المخاطب وارتفاعه بما يسمع .
- ٢٢- زهده في متاع الدنيا وورعه عن التشابه أو الطمع في حق أحد .
- ٢٣- مواساة الفقراء والمحتاجين والضعفاء من طلاب العلم وغيرهم .
- ٢٤- الرفق في دعوة الناس ؛ وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .
- ٢٥- الصبر والاحتساب في الدعوة إلى الله ، وعدم اليأس في حال عدم الاستجابة ، والثبات على الحق ، والثقة بوعده الله بالنصر لمن ينصره .

هذه أهم خصائص منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته السلفية المباركة .

أما الفصل الأخير من هذه الدراسة فقد تناولنا فيه مدى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتشارها في آفاق الدنيا الرحبة ، وتأثير الدعوات الإصلاحية والدينية بها ومساهمتها في تصحيح عقيدة المسلمين ودعوتهم إلى أخذ شعائر الإسلام من مصدرها الأصلي : كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثمرات الدعوة السلفية:

وفي نهاية هذه الدراسة نختمها بأهم المصالح والفوائد التي حققتها هذه الدعوة المباركة على هذه البلاد ، وعلى غيرها من بلاد المسلمين الواسعة ونلخص هذه الفوائد في النقاط التالية :

- ١- تصفية العقيدة الإسلامية مما علق بها من شوائب الشرك والوثنية .
- ٢- إزالة آثار الشرك ومظاهره بجميع أشكاله وصوره .
- ٣- عودة الناس إلى التوحيد الخالص .
- ٤- الرجوع بالإسلام إلى مصدره الأساسي وهو كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .
- ٥- مقاومة البدع والخرافات ودجل الكهان والسحرة والمشعوذين .
- ٦- رفض دعاوى الصوفية وتخيلاتهم الكاذبة .
- ٧- انتشار العلم والمعرفة والارتقاء بالفكر الإنساني .
- ٨- بروز علماء أجلاء ومفكرين ازدهرت بهم حركة الفتوى والتصنيف والتأليف ونشر الكتب النافعة وارتقى أساليب العلم والمعرفة .
- ٩- فتح باب الاجتهاد لدى العلماء إذا توافرت شروطه ، وعدم التعصب لمذهب معين .

- ١٠- إحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعيين رجال الحسبة والدعاة .
- ١١- تشييد صرح التعاون بين العلماء والحكام فيما يصلح البلاد والرعية .
- ١٢- التزام الناس بتأدية شعائر الإسلام والمحافظة على الصلوات المفروضة وأداء الواجبات .
- ١٣- غرس مبدأ السمع والطاعة في نفوس الناس لولاة الأمور وعدم الخروج عليهم إلا بمسوغ فيه من الله برهان .
- ١٤- اجتماع أهل هذه الجزيرة على إمام واحد بعد التفرق والتناحر والتباعد والاختلاف .
- ١٥- تحكيم شرع الله في جميع نواحي الحياة .
- ١٦- انتشار الأمن والاستقرار وتيسير السبل .
- ١٧- ازدهار البلاد عمرانياً واقتصادياً وتيسير سبل العيش .
- ١٨- كما أن هذه الدعوة السلفية المباركة ساهمت بشكل واضح في توعية الشعوب الإسلامية وقيام الحركات والدعوات الإصلاحية والدينية في أقطار كثيرة من العالم الإسلامي لتصحيح العقيدة والقضاء على مظاهر الشرك والفساد والإلحاد .
- ١٩- قيام دولة إسلامية في ربوع الجزيرة العربية على أيدي الغر الميامين من آل سعود تشبه دولة الإسلام الأولى وعهد الخلفاء الراشدين حمت الديار وأمنت الطرق ونشرت العلم وعمرت الأوطان ورفعت راية الإسلام وحمت الحرمين وشيدتهما ويسرت سبل الحج ، وطورت البلاد حضارياً حتى أصبحت في مصاف الدول المتحضرة ، ولها مكانة عالية في المحافل الدولية .

مقارنة بين عهدين:

وحتى يعرف القارئ قدر قيمة الأمن والاستقرار ورغد العيش في بلاد الحرمين وغيرها في عهد الدولة السعودية نعقد مقارنة بينه وبين عهد الإشراف والدولة العثمانية .

يقول المؤرخ المكي أحمد زيني دحلان في كتابه (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام)^(١) .

يقول في حديثه عمّا وقع في مكة وجده سنة (١١٨٤هـ) في عهد أحد الأشراف يقول :

لكن عسكر الشريف وجنوده لما دخلوا جدة وملكوها في هذه الواقعة نهبوا غالب دور أعيانها الكبار ، والخواصل التي فيها أموال التجار ، وتركوا البلد خراباً بعد العمار وكان في جدة من الأقوات شيء كثير فنتج عن هذا حصول غلاء بمكة وجدة وبقية الأطراف واشتد الكرب على المسلمين حتى إن البادية كانوا في مدة هذا الغلاء يأكلون الهرات ويشربون الدم المسفوح . . . إلخ انتهى .

أما عن وضع الحجاج وما يلاقونه من مشاق وويلات فيحدثنا عنه مؤرخ آخر وهو المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي فيقول :

في ٣ ديسمبر سنة ١٧٨٩م أي في عام ١٢٠٢هـ نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة وهم في أسوأ حال من العري والجوع ، ونهبت جميع أحمال أمير الحج أحمال التجار وجمالهم واثقالهم وأمتعتهم ، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال ، وكان أمراً شنيعاً جداً ، ثم إن الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزائر أمير الحج الشامي فتكلم مع العرب في أمر النساء فاحضروهن عرايا ليس عليهن إلا القمصان

(١) ص ٢٠٦ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية مصر .

واجلسوهن جميعا في مكان ، وخرج الناس أفواجا من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها اشتراها ممن هي في أسره . . انتهى^(١) .

هذه حال البلاد الحجازية في عهد الأشراف صورها لنا هذان المؤرخان أما في العهد السعودي فالحال مختلفة تماماً .

ويقول المؤرخ النجدي عثمان بن بشر :

ذكر لي شيخنا عثمان بن منصور أن رجلاً من سراق الأعراب وجدوا عنزاً ضالة في رمال نفود السر المعروف في نجد وهم جياع ، وأخبرني أنهم أقاموا يومين أو ثلاثة مقوين فقال بعضه لبعض لينزل أحدكم إلى هذه العنز فيذبحها لتأكلها فكل منهم قال لصاحبه انزل إليها فلم يستطع أحد منهم النزول خوفاً من العاقبة على الفاعل .

ويقول أيضاً : وكان الحجاج والقوافل جباة الغنائم والزكاة والأخماس وجميع أهل الأسفار يأتون من البصرة وعمان وبلاد العجم والعراق وغير ذلك يحجبون ويرجعون إلى أوطانهم ولا يخشون أحداً من جميع البوادي لا بحرب ولا سرق وليس يؤخذ منهم شيء من الإخوات^(٢) . والقوانين . . إلخ^(٣) .

ويقول في موضع آخر من تاريخه في الحديث عن سنة (١٢٢٥هـ) :

في هذه السنة رخص الله الأسعار وبلغ البر ثلاثة عشر صاعاً^(٤) . بالريال ، والتمر سبع وثلاثين وزنه^(٥) . بالريال ، ورخصت أسعار الحرمين ، وبيع الأردب^(٦) . بأربعة ريالات . . إلخ^(٧) .

(١) من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي ص ٦٧ .
(٢) الإخاوة شيء من المال كان الحجاج يبدلونه لبعض القبائل مقابل حراسة القافلة من اعتداءات قطاع الطرق .
(٣) عنوان المجد لابن بشر ج ١ : ١٧٠ طبعة وزارة المعارف .
(٤) الصاع : مقدار من الكيل يساوي ثلاثة كيلو جرام تقريباً .
(٥) الوزنة : مقدار من الوزن يساوي كيلو ونصف كيلو جرام .
(٦) الأردب : مقدار من الكيل يساوي (٢٤) صاعاً أي (٥٠) كيلو جراماً .
(٧) عنوان المجد لابن بشر ج ١ : ١٩٩ طبعة وزارة المعارف .

ويقول صاحب كتاب «لمع الشهاب» وقد عرف بتجنيه على أهل هذه الدعوة (والحق ما شهدت به الأعداء).

يقول : إن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود قال لأحد أمرائه وهو إبراهيم بن عفيصان عند توليه لإمارة الأحساء والقطيف وما حولهما : قم يا إبراهيم سر على بركة الله تعالى إلى الأحساء وكن أميرها ، وأمير القطيف من توابعك ، وكل ما تراه صلاحاً للدين ومقويا لأحوال المسلمين افعله . .^(١) ، انتهى .

ويقول العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - :

لما منَّ الله علينا بدخول مكة نصف النهار يوم السبت الثامن من شهر محرم سنة ١٢١٨ هـ بعد أن طلب أشراف مكة وعلمائها وكافة العامة من الأمير سعود الأمان . . . وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف دخلنا وشعارنا التلبية آمين ، محلقي رؤسنا ومقصرين ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون لم يعضدوا شجراً ولم ينفروا صيداً ولم يريقوا دماً إلا دم الهدى أو ما أحل الله من بهيمة الأنعم . . . إلخ^(٢) .

ويقول المستشرق الأوربي (برك هارت) :

ما زال أهل مكة يذكرون اسم سعود بالشكر والرضى حتى الآن ، وما زالت معاملة الجنود الطيبة تذكر بثنا ومدح بالخصوص معاملتهم أيام الحج والزيارات ، ولم يستطيعوا أن ينسوا تلك المعاملة العادلة التي شاهدوها من جيوشه . . . إلخ^(٣) .

(١) لمع الشهاب تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمه ص ٧٦ .

(٢) الدرر السنية ج ١ : ١٢٤ طبعة دار الإفتاء .

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب . لسعود الندوي ص ١١٠ .

هذه صور تنطلق بما كان عليه الأمن والاستقرار والرخاء في عهد الدولة السعودية في بلاد الحرمين بخاصة وفي البلاد الأخرى بعامة .

أما وضع الحرمين في وقتنا الحاضر ، وما بذل لحجاج بيت الله الحرام فإن اللسان والقلم يعجزان عن وصفه وعدّه ، وما فيهما من التشييد والخدمات كل ذلك يتحدث عن نفسه .

هذا ما تيسر والله نسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه نافعاً لعباده . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أهم المصادر والمراجع

- ١- آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب : سجل بيليو جرافي / أحمد بن محمد الضبيب .. ط ١ .. الرياض : دار المريخ ، ١٩٨٢ م .
- ٢- إبطال التنديد (مختصر شرح كتاب التوحيد) / حمد بن علي بن عتيق .. ط ٣ .. الرياض : مكتبة التوفيق ، ١٣٨٨ هـ .
- ٣- أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها / محمد حامد الفقي .. القاهرة : مطبعة النهضة ، ١٣٥٤ هـ .
- ٤- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل / محمد ناصر الدين الألباني .. ط ١ .. بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٥- الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد / سليمان بن سحمان .. ط ٢ .. الرياض : المؤلف ، [١٩-] .
- ٦- أضواء على الخليج العربي ومسقط وعمان / إبراهيم الشريقي .. ط ١ .. القاهرة : المطبعة السلفية ، [١٩-] .
- ٧- أعلام العراق / محمد بهجة الأثري .. ط ١ .. القاهرة : المؤلف ، ١٣٤٥ هـ .
- ٨- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث : تراجم / أحمد تيمور ؛ قدم له السيد محمد يوسف .. القاهرة : لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٩- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان / للعلامة شمس الدين ابن القيم .. ط ٣ .. القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م .
- ١٠- ألوان / طه حسين .. ط ٣ .. القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١ م .

- ١١- الإمام محمد بن عبد الوهاب في التاريخ / عبدالله بن سعد الرويشد ..
القاهرة : مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٢هـ / ١٩٧٢م .
- ١٢- انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / محمد كمال جمعة ..-الرياض :
دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١٣- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..- ط ١ ..-الرياض : جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / محمد بن علي الشوكاني ..- ط ١ ..
القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٤٨هـ .
- ١٥- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد . . . / إبراهيم بن صالح بن عيسى ..
الرياض : دار اليمامة للطباعة والنشر ، [١٣٨٠هـ] .
- ١٦- تاريخ البلاد العربية السعودية / منير العجلاني ..- ط ١ ..-بيروت : دار الكتاب
العربي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٧- تاريخ الشعوب الإسلامية / كارل بروكلمان ..- ط ٥ ..-بيروت : دار العلم
للملايين ، ١٩٨١م .
- ١٨- تاريخ نجد وملحقاتها / أمين الريحاني ..-بيروت : دار الريحاني ، [١٩-] .
- ١٩- تاريخ نجد / سنت جون فليبي ؛ تعريب عمر الديراوي ..-بيروت : المكتبة
الأهلية ، [١٩-] .
- ٢٠- تاريخ نجد (روضة الأفكار والأفهام) / حسين بن غنام ؛ تحقيق ناصر الدين
الأسد ..- ط ١ ..-القاهرة : دار الشروق ، ١٣٨٠هـ .
- ٢١- تاريخ نجد / محمود شكري الألوسي ، عنى بتحقيقه محمد بهجة الأثري ..
القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٤٣هـ .

- ٢٢- تأسيس التقديس / عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين .. القاهرة : المؤلف ، ١٣٤٤هـ
- ٢٣- تبرئة الشيخين الإمامين / سليمان بن سحمان .. ط ١ .. القاهرة : [د.ن] ، ١٣٣٥هـ .
- ٢٤- تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد / محمد بن عبدالله بن عبدالقادر الانصاري .. ط ١ .. الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٢٥- التعليم في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / عبدالله بن يوسف الشبل .. ط ١ .. الرياض : المؤلف ، [١٩-] .
- ٢٦- تفسير القرآن العظيم / إسماعيل بن كثير .. ط ١ .. القاهرة : المطبعة الحسينية ، ١٣٠١هـ .
- ٢٧- تلخيص الإستهانة / لشيخ الإسلام ابن تيمية .. القاهرة : [د.ن] ، ١٣٤٦هـ .
- ٢٨- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبدالله آل الشيخ .. ط ١ .. دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .
- ٢٩- الجامع لأحكام القرآن / محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .. ط ٣ .. القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ٣٠- جامع الأصول في أحاديث الرسول / محمد بن الأثير الجزري ؛ حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبدالقادر الارنؤوط .. بيروت : مكتبة دار البيان ، ١٣٨٩هـ - ١٣٩٢هـ .
- ٣١- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن : تفسير الطبري / أبي جعفر بن جرير الطبري .. القاهرة : دار المعارف ، [١٣٧٤هـ / ١٩٥٧م] .
- ٣٢- حاضر العالم الإسلامي / لوثر وب ستودارد الأمريكي ؛ ترجمة عجاج نويهض .. ط ٣ .. القاهرة : المطبعة السلفية ومكبتها ، ١٣٤٣هـ .

- ٣٣- الحركة الوهابية : رد على مقال الدكتور محمد البهي في نقد الوهابية / محمد خليل هراس .. المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية ، [١٩-] .
- ٣٤- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / حسين خلف الشيخ خزعل .. ط ١ .. بيروت : مطابع دار الكتب ، ١٩٦٨ م .
- ٣٥- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام / أحمد زيني دحلان .. القاهرة : المطبعة الخيرية ، ١٣٩٧ هـ .
- ٣٦- الدخان في نظر الإسلام : حقائق ... / صالح بن عبد العزيز المنصور .. ط ١ .. الرياض : مؤسسة النور للطباعة ، [١٩-] .
- ٣٧- درب الانتصار / عبد الوهاب فتال .. بيروت : المؤلف ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٣٨- الدعوة الوهابية / عبد الكريم الخطيب ؛ مع تعليقات عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ .. ط ٢ .. القاهرة : دار الشروق ، [١٩-] .
- ٣٩- الدرر السنية في الأجوبة النجدية / جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .. ط ٢ .. مكة المكرمة : دار الافتاء ، ١٣٥٢ هـ .
- ٤٠- الدرر السنية في الرد على الوهابية / أحمد زيني دحلان .. ط ٣ .. القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
- ٤١- الدولة السعودية الأولى ١١٥٨ - ١٢٣٣ هـ / ١٧٤٥ - ١٨١٨ م / عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم .. ط ٣ .. القاهرة : دار الكتاب الجامعي ، ١٩٧٩ م .
- ٤٢- رسالة الإمام عبد العزيز الأول بن محمد بن سعود .. الرياض : ، [١٩-] .
- ٤٣- سنن الترمذي / محمد بن عيسى الترمذي ؛ تحقيق إبراهيم عطوة .. ط ١ .. القاهرة : المحقق ، [١٩-] .
- ٤٤- سنن أبي داود / سليمان بن الأشعب السجستاني .. القاهرة : دار إحياء السنة ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

- ٤٥- زاد المعاد في هدي خير العابد / ابن قيم الجوزية .. ط ٢ .. القاهرة : المطبعة الميمنية ، ١٣٣٧ هـ .
- ٤٦- زعماء الإصلاح في العصر الحديث / أحمد أمين .. القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ م .
- ٤٧- سبل السلام (شرح بلوغ المرام) / محمد بن إسماعيل الصنعاني .. الرياض : مطبعة الكليات والمعاهد العلمية ، [١٩-] .
- ٤٨- سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / أمين سعيد .. ط ١ .. مكة المكرمة : شركة الصحافة والطبوعات المتحدة ، ١٣٨٤ هـ .
- ٤٩- الأحكام : شرح أصول الأحكام / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .. ط ١ .. دمشق : مطبعة الترقى ، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٧ م .
- ٥٠- شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العزي الحنفي .. ط ٣ .. دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٣٩١ هـ .
- ٥١- شرح صحيح مسلم / للإمام يحيى بن شرف النووي .. [د.م : د.ن ، ١٣٤٩ هـ] .
- ٥٢- الشيخ محمد بن عبد الوهاب / أحمد بن حجر بن محمد آل بوكامي آل بن علي ؛ راجعه عبد العزيز بن عبدالله بن باز .. ط ٣ .. الرياض : المراجع ، ١٣٩٣ هـ .
- ٥٣- الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ؛ قدم له عبدالعزيز بن باز .. القاهرة : مطبعة المدني ، [١٩-] .
- ٥٤- الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه / مسعود عالم الندوي ؛ ترجمة عبدالعليم عبدالعظيم البستوي .. ط ١ .. مكة المكرمة : المؤلف ، [١٩-] .

- ٥٥- صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري .. استانبول : المكتبة الإسلامية ، [١٩-] .
- ٥٦- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ؛ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي .. الرياض : دار الإفتاء السعودية ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ٥٧- صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان / للشيخ محمد بشير السهسواني .. ط ٢ .. الرياض : دار الافتاء السعودية ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م .
- ٥٨- الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق / سليمان بن مصلح بن سحمان .. ط ١ .. القاهرة : [د.ن ، -١٩] .
- ٥٩- عجائب الآثار في التراجم والأخبار / عبد الرحمن بن حسن الجبرتي .. القاهرة : المطبعة الاميرية ، [١٩-] .
- ٦٠- علماء الدعوة / عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .. القاهرة : مطبعة المدني ، ١٣٨٦هـ .
- ٦١- علماء نجد خلال ستة قرون / عبدالله بن عبد الرحمن البسام .. ط ١ .. مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، ١٣٩٨هـ .
- ٦٢- عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد / إبراهيم فصيح الحيدري .. بغداد : مطبوعات دار البصري ، [١٩-] .
- ٦٣- عنوان المجد في تاريخ نجد / عثمان بن عبدالله بن بشر ؛ بتعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .. الرياض : مطبعة وزارة المعارف السعودية ، [١٩-] .
- ٦٤- الفتاوى السعدية / عبد الرحمن بن ناصر السعدي .. ط ١ .. دمشق : المكتب الإسلامي ، [١٩-] .

٦٥- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية/ جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ..
ط ١ .. الرياض : مطابع الرياض ، ١٣٨١ هـ .

٦٦- فتح الباري : شرح صحيح البخاري / للحافظ ابن حجر العسقلاني ؛ مراجعة
وتقديم طه عبدالرؤوف سعد ، مصطفى محمد الهواري .. القاهرة : مكتبة
الكلية الأزهرية ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٦٧- فتح القدير / للإمام محمد بن علي الشوكاني .. ط ٢ .. القاهرة : شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

٦٨- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .. ط ٦ ..
القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ - ١٩٥٤ م .

٦٩- القاموس المحيط / للفيروز آبادي .. ط ٢ .. القاهرة : دار الطباعة : المطبعة
الحسينية المصرية ، ١٣٤٤ هـ .

٧٠- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة / لشيخ الإسلام ابن تيمية .. ط ٢ ..
بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٧١- قاموس الأعلام/ خير الدين الزركلي .. ط ٢ .. بيروت : دار العلم للملايين ،
[١٩-] .

٧٢- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين/ للشيخ عبد الرحمن بن
حسن آل الشيخ .. ط ٢ .. الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، [١٩-] .

٧٣- قيام الدولة السعودية العربية / عبد الكريم غرايبة .. ط ١ .. القاهرة : معهد
البحوث والدراسات العربية ، قسم البحوث والدراسات التاريخية
والجغرافية ، ١٩٧٤ م .

٧٤- كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب
في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب / سليمان بن عبدالله آل الشيخ ..
ط ١ .. الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- ٧٥- كنز الأنساب ومجمع الأمثال / حمد الحقييل .. ط ٢ .. الرياض : مكتبة الرياض الحديثة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .
- ٧٦- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب / تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمه .. ط ١ .. بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٧ م .
- ٧٧- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب / تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .. ط ١ .. بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٧ م .
- ٧٨- مجلة دار الملك عبد العزيز .. ع ٢ ، س ٤ (١٣٩٨هـ) .
- ٧٩- مجلة الزهراء .. مج ٣ (١٣٤٥هـ) .
- ٨٠- مجلة العرب .. مج ٩ (١٣٩٠هـ) .
- ٨١- مجلة العرب .. مج ٩ ، ١٠ (١٣٩٨هـ) .
- ٨٢- مجلة كلية العلوم الاجتماعية .. ع ١ (١٣٩٧هـ) .
- ٨٣- مجموعة التوحيد النجدية / لعدد من أئمة الدعوة السلفية .. الرياض : مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، [١٩٨٣ م] .
- ٨٤- مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب / تصنيف عبدالعزيز بن زيد الرومي ، محمد بلتاجي ، سيد حجاب .. الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٩هـ .
- ٨٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ للحافظ نور الدين الهيثمي .. بيروت : دار الكتاب العربي ، [١٩-] .
- ٨٦- مختصر الفتاوى المصرية/ محمد بن علي البعلبي .. القاهرة : [د.ن] ، ١٣٦٩هـ .
- ٨٧- المستدرک على الصحيحين/ لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم .. ط ١ .. بيروت : دار الكتاب العربي ، [١٩-] .

- ٨٨- المُسند / للإمام أحمد بن حنبل الشيباني .. ط ٤ .. بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٣ م .
- ٨٩- مشاهير علماء نجد وغيرهم / عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .. ط ٢ .. الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ٩٠- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام / عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .. بمبي : [د.ن] ، [١٩-] .
- ٩١- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة / عمر رضا كحالة .. دمشق : المطبعة الهاشمية ، ١٣٤٩ هـ .
- ٩٢- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث / لعدد من المستشرقين ؛ نشره ا.ي . فسك .. ط ١ .. لندن : مطبعة بريل ، ١٩٣٦ م .
- ٩٣- الموطأ / للإمام مالك بن أنس .. ط ٦ .. بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .
- ٩٤- من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي / محمد أديب غالب .. ط ١ .. الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ٩٥- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار / محمد بن علي الشوكاني .. القاهرة : دار الحديث ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- ٩٦- النهضات الحديثة في جزيرة العرب / محمد عبدالله ماضي .. ط ٢ .. القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .
- ٩٧- الوهابيون والحجاز / سيد محمد رشيد رضا .. القاهرة : مطبعة المنار ، ١٣٤٤ هـ .
- ٩٨- الوهابيون حركة الفكر والدولة الإسلامية / عبد الرحمن بن سليمان الرويشد .. ط ١ .. الرياض : المؤلف ، [١٩-] .

- ٩٩- الهدية السنية / سليمان بن سحمان؛ تعليق محمد رشيد رضا .. مكة المكرمة :
مكتبة التوفيق ، ١٣٨٩ هـ .
- ١٠٠- الهدية السنية والتحفة الوهابية/ لعدد من أئمة الدعوة .. ط ٢ .. القاهرة :
مطبعة المنار ، ١٣٤٢ هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تصدير	٧
المقدمة	٩
التمهيد : الاحوال الدينية والسياسية في نجد قبل الدعوة السلفية وقيام	
الدولة السعودية الأولى	١٣
- الحالة الدينية	١٣
- الحالة السياسية	١٨

الباب الأول

حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الفصل الأولي : نسبة .. مولده .. نشأته	٢٥
- نسبه	٢٥
- مولده	٢٦
- نشأته	٢٦
الفصل الثاني : رحلات الشيخ محمد وشيوخه	٣١
أولاً : رحلاته	٣١

- رحلته إلى مكة
- رحلته إلى المدينة
- رحلته إلى البصرة
- رحلته إلى الأحساء

- نفى رحله . . الشيخ الى القصيم وإلى بلاد الفرس والترك والشام
ومصر

ثانياً : شيوخه ٤٦

- شيوخه في نجد

- شيوخه في المدينة

- إجازة الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف له

- إجازة الشيخ محمد حياة السندي

- شيوخه في البصرة

- إجازة الشيخ محمد المجموعي له

- شيوخه في الأحساء

الفصل الثالث : مؤلفات الشيخ ٥٩

أولاً : ما يختص بالعقائد :

- كتاب التوحيد (الذي هو حق الله على العبيد) ٦٥

- كشف الشبهات ٦٩

- ثلاثة الأصول ٧١

- مسائل الجاهلية ٧٢

- أصول الإيمان ٧٣

- القواعد الأربع ٧٣

- فضل الإسلام ٧٥

- مفيد المستفيد ٧٥

- ستة الأصول ٧٦

- نواقض الإسلام ٧٧

- بطلان الشرك ٧٨

- إقامة الملة الحنيفية ٧٨
- تفسير كلمة التوحيد ٧٩
- مجموعة الرسائل الشخصية ٧٩
- ثانياً : ما يختص بالعلوم الشرعية الأخرى :
- في الحديث النبوي الشريف ٨٣
- في الفتن والحوادث ٨٣
- مختصر الإنصاف ولشرح الكبير ٨٤
- مجموع في الفقه يحتوي على رسائل قصيرة ٨٦
- إبطال وقف الجنف والإثم ٨٧
- مختصر زاد المعاد في هدي خير العباد ٨٨
- ما يختص في تفسير القرآن الكريم ٨٩
- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٩٠
- كتاب الكبائر ٩٢
- الفصل الرابع : عقيدة الشيخ محمد ونهاية حياته ووفاته ٩٥**
- أولاً : عقيدته :
- في الإيمان ٩٦
- في توحيد الأسماء والصفات ٩٦
- ثانياً : نهاية حياة الشيخ محمد ووفاته وما قبل في رثائه : ١٠٥
- تاريخ ومكان وفاته
- ما كان يتمثل به دائماً
- ما خلف من الذرية
- ما قيل في رثائه

الباب الثاني

الدعوة السلفية وانتشارها في نجد وما حولها

- ١١٥ - التمهيد
- ١١٨ - بدء الدعوة
- ١١٩ - الدعوة في حريملاء
- ١٢٣ - الدعوة في العيينة
- ١٢٩ - الدعوة في الدرعية
- ١٣٤ - الدعوة في سائر بلدان نجد
- ١٣٥ - الدعوة في الأحساء
- ١٣٩ - الدعوة في الحجاز وبلاد الحرمين
- ١٥٣ - الدعوة السلفية في تهامة

الباب الثالث

ما أثير حول الدعوة السلفية وصاحبها من شبهات وافتراءات الرد عليها

- ١٥٩ - التمهيد
- ١٦١ - إفتراءات سليمان بن محمد بن سحيم والرد عليها
- ١٧٣ - شبهات الشيخ سليمان بن عبد الوهاب بن مشرف والرد عليها
- ١٨٥ - إفتراءات صاحب كتاب «لمع الشهاب» والرد عليها
- ٢٠١ - إفتراءات عثمان بن عبدالعزيز بن منصور والرد عليها
- ٢٢٠ - شبهات داود بن سليمان بن جرجيس العراقي والرد عليها
- ٢٥٥ - إفتراءات أحمد بن زيني دحلان والرد عليها
- ٢٦٤ - التنوية بكاذبين آخرين هما علوي بن أحمد الحداد ، وجميل صدقي الزهاوي

الباب الرابع

الدعوة السلفية وصاحبها في نظر العلماء والأدباء

والكتاب العرب والغربيين

وآثارها في أنحاء العالم الإسلامي

الفصل الأول : الدعوة في نظر العلماء والأدباء العرب والغربيين

المبحث الأول : رأي علماء الشريعة وأصحاب الفكر الإسلامي ٢٧١

المبحث الثاني : رأي الكتاب والأدباء العرب ٢٨١

المبحث الثالث : رأي بعض مفكري الغرب من الرّحالة والمستشرقين ٢٨٩

الفصل الثاني : آثار الدعوة السلفية في أنحاء العالم الإسلامي

٢٩٧ - التمهيد

٣٠٠ - آثار الدعوة في الخليج العربي

٣٠٢ - آثار الدعوة في اليمن

٣٠٧ - آثار الدعوة في العراق

٣١٠ - آثار الدعوة في الشام

٣١٤ - آثار الدعوة في مصر

٣٢١ - آثار الدعوة في السودان

٣٢٢ - آثار الدعوة في المغرب العربي

٣٢٤ - آثار الدعوة في إفريقيا

٣٢٦ - آثار الدعوة في الهند

٣٣٠ - آثار الدعوة في أندونيسيا

٣٣٣ الخاتمة

٣٤٩ أهم المصادر والمراجع



Bibliotheca Alexandrina



0324769